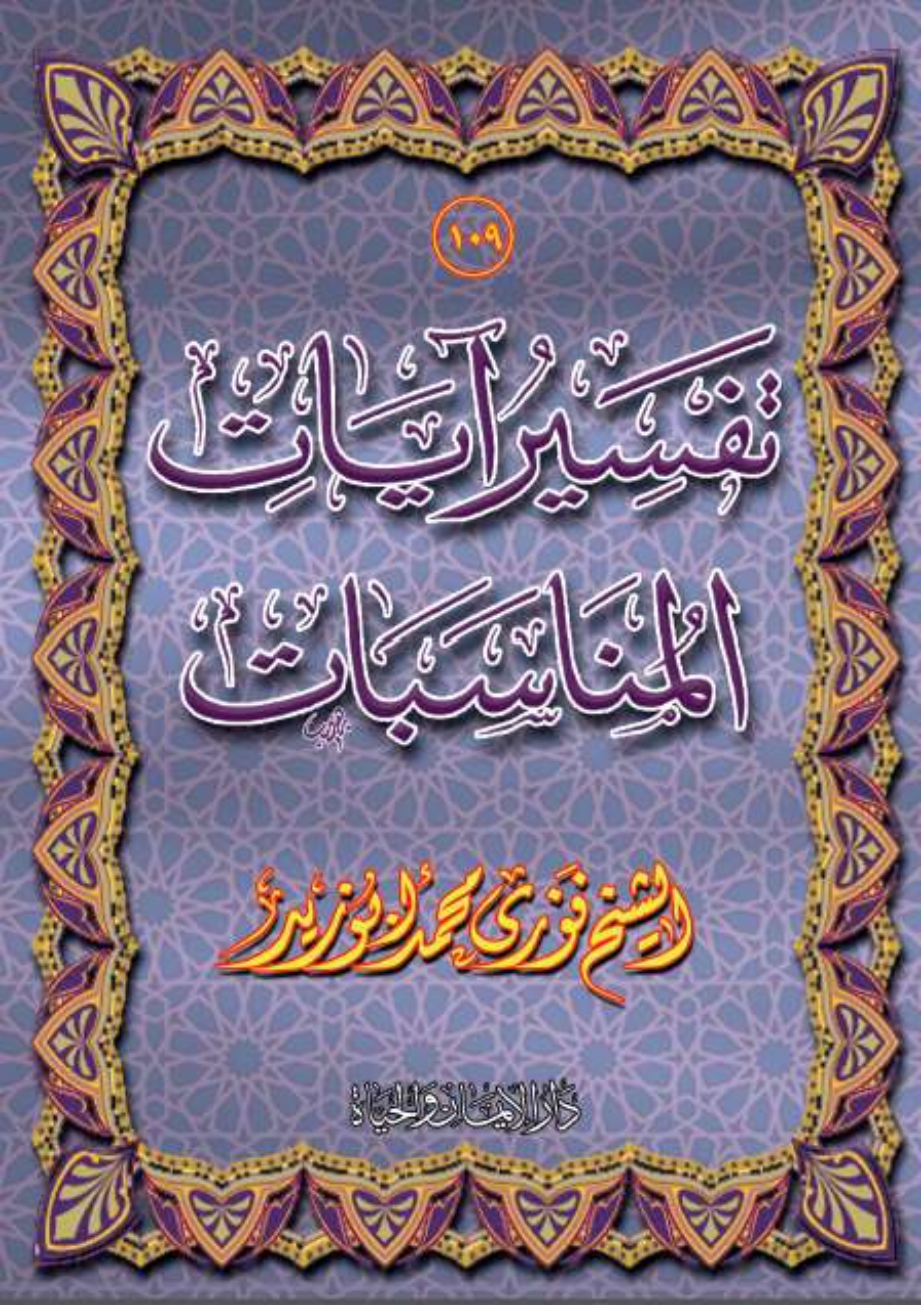

١٠٩
تفسير آيات المناسبات
الشيخ فوزي محمد أبوزيد
دار الإيمان والحياة

(١٠٩)

تفسير آيات المناسبات

★ الهجرة ★ الإسراء والمعراج ★ تحويل القبلة ★ شهر رمضان ★ أحكام الصيام ★ بدر وأحد إشارات ★ ليلة القدر ★ فتح مكة ★ الحج ★ إمامة إبراهيم ★ قصة الفداء ★ الأضحية ★

الشيخ فوزي محمد أبوزيد

الطبعة الأولى

ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ

Again on Us (devolves) the explaining of it. [75:19]

الكتاب	تفسير آيات المناسبات
المؤلف	الشيخ فوزي محمد أبوزيد
الطبعة	١٧ شوال ١٤٣٩ هـ ايوليو ٢٠١٨ م
كتاب رقم	المائة والتسعة من المطبوع
سلسلة	تفسير القرآن الكريم، الكتاب الحادى عشر
الداخلى	٢٢٤ ص×٨٠جم /١٧×٢٤، ١ لون
الغلاف	كوشيه مط×٣٥٠ جم×٤ لون، سلوفان مط
إشراف	دار الإيمان والحياة، ١١٤ ش ١٠٥ ، المعادى، القاهرة، ت: ٢٥٢٥٢١٤٠-٢-٢٠٠٠، ف: ٢٥٢٦١٦١٨-٢-٢٠٠٠
إيداع محلى	٢٠١٨/٠١٣١١٠
ترقيم دولى	٨-٥٤٣٩-٩٠-٩٧٧-٩٧٨



طباعة	مطابع النوبار بالعبور

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله واهب الفضل العظيم، وفاتح كنوز الجود لكل مؤمن على العهد مديم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد القائل :

{إنَّ لِربكُمْ ﷻ فِي أَيَّامِ دَهْرِكُمْ نَفَحَاتٍ ، فَتَعَرَّضُوا لَهَا ، لَعَلَّ أَحَدَكُمْ أَنْ تُصِيبَهُ مِنْهَا نَفْحَةٌ لا يَشْقَى بَعْدَهَا أَبَدًا}[1]

وبعد، تنفيذا للوصايا الإلهية في قول الله تعالى : ﴿ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ﴾ (إبراهيم)

وتعرضا للعطاءات القدسية والنفحات الجودية الرحمانية يحرص كل مسلم على احياء مواسم الخيرات وأيام وليالي الجود والفضل والبركات، ومن ثم يحتاج إلى التذكير بهذه الأيام من العلماء الأجلاء والأولياء والحكماء.

ولما كان خير تذكير يذكر به أي عالم هو ما استند إلى كتاب الله تعالى وآياته البينات فقد حاولنا في هذا الكتاب جمع الآيات القرآنية التى تتحدث عن المناسبات الدينية التى تمر على المسلم خلال العام فبدأنا بآيات سورة التوبة التى تتحدث ن الهجرة النبوية وآيات الحشر التى تتحدث عن المهاجرين والأنصار باعتبار أن الهجرة هي فاتحة العام الهجري الذي يمشي على هديه

١ رواه الطبراني في الأوسط عن محمد بن مسلمة ﷺ.

وتوقيته تشريعنا الإسلامي، ولما كان الحدث الجلل بعد الهجرة هو ذكرى ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم في ربيع الآخر وكنا تعرضنا للآيات القرآنية التى تتحدث عن الأدب الواجب من المسلمين نحو نبيهم وذلك في كتابنا (الأداب القرآنية مع خير البرية) فقد اكتفينا به ولم نتعرض لهذه المناسبة في هذا السفر وخاصة أننا أشبعنا جوانب الكمالات والجمالات المحمدية في كتبنا الكثر التى خصصناها للحقيقة المحمدية.

وتعرضنا بعد ذلك للإسراء في آيات الإسراء وللمعراج في آية النجم، وأوضحنا تحويل القبلة في آيات تحويل القبلة في سورة البقرة، ثم فصلنا مناسبات شهر رمضان فشرحنا آيات الصيام، وآيات غزوة بدر، وآيات فتح مكة، وسورة القدر، وختمنا بذكر مواقف سيدنا ابراهيم واسماعيل وأحكام الأضحية في أيام الحج الأعظم، ولم نتعرض لآيات أحكام الحج لأننا شرحنا أحكام الحج شرحا عصريا ووافيا في كتابنا (زاد الحاج والمعتمر).

فجاء هذا الكتاب الجديد في بابه السلس في أسلوبه شافيا ووافيا للمناسبات الدينية من خلال الآيات القرآنية علماً بأننا قد استوفينا هذه المناسبات كلها قبل ذلك في مجلد كبير على هيئة خطب منبرية في كتابنا الخطب الإلهامية (المناسبات الدينية).

والله تعالى أسأل أن يجعله عملا خالصا لوجهه الكريم وأن يقيمنا أبداً في خدمة دينه القويم ويعيننا بعونه ويمدنا بمدده ويدفع عنا ما لا طاقة لنا به.

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (٢٨٦البقرة)

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

اليوم الجمعة ١٨ من مايو ٢٠١٨

الموافق ٢ من رمضان ١٤٣٩هـ

فوزي محمد أبوزيد

البريد : الجميزة ـ محافظة الغربية ،جمهورية مصر العربية

تليفون : ٠٠٢٠-٤٠-٤٣٤٠٥١٩

موقع الإنترنت: WWW.Fawzyabuzeid.com

البريد الإليكترونى: fawzy@Fawzyabuzeid.com

fawzyabuzeid@hotmail.com,

fwzyabuzeid48@gmail.com,

fawzyabuzeid@yahoo.com

الفصل الأول: الهجرة

نصر الله لرسوله في الهجرة

الصادقون والمفلحون

أسرار التقويم الهجري



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾(التوبة)

□

١. نصر الله لرسوله في الهجرة□

تدبر القرآن□

نصرة الله لنبيه□

ميثاق النبيين□

إيمان تُبَّع ونُصرته للنبي□

شرف الصديق□

حسن تخطيط النبي في هجرته□

الإمدادات الإلهية للنبي□

□

١ .نصر الله لرسوله في الهجرة[1]

الحمد لله الذي نصـر حبيبه ومصـطفاه، وأعزَّه وأعلى شـأنه ورفع كتابه وجعل دينه دين الختام، وجعله في الدنيا للنبيين والمرســلين وســائر الخلق إمام، وجعله في الآخرة هو الشــفيع الأعظم لجميع الأنام يوم الزحام، اللهم صــلِ وســلِّم وبارك على سـيدنا محمد نور النبيين، ورسـول المرسـلين، وقائد الغُر المحجلين يوم الدين، صـلى الله عليه وعلى آله الطيبين وصــحابته المباركين وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وعلينا معهم أجمعين بمنِّك وجودك وكرمك يا أرحم الراحمين.

تدبر القرآن

كلام الله ﷻ يحتاج إلى تمعُّن وإلى تدبُّر، لا إلى تمعنٍ بالفكر فإن الفكر عاجزٌ بنفسه عن فهم هذا الكلام، لكن يحتاج إلى تدبر بالقلوب التي صفت ووفت وصدقت في الإيمان لحضرة علام الغيوب، فيُلهمها الله ﷻ من عنده علماً فيَّاضاً يكشف عن جمال كتابه المكنون وسره المصون وغيبه المضنون الذي أخفاه في هذا الكتاب لكل المؤمنين من بدء الدنيا إلى يوم الدين، ولذلك قال الله ﷻ لنبيه ليُبلغنا: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ أوىك ليست التلاوة ولكن التدبر.

وعندما رأى الحق ﷻ أُناساً من المسلمين مشغولين بالتلاوة، ويعُدُّوا على الله، مع أن الله ﷻ لا يعُد علينا نعماً، يقول: أنا أختم القرآن كل مدة معينة، ويريد أن يقدم كشف الحساب ليأخذ الأجر والثواب من الكريم الوهاب، وهذا أمرٌ مفروغٌ منه.

[1] بني سويف ـ الفشن ٣ من محرم ١٤٣٧هـ ٢٠١٥/١٠/١٦م

ولكن ليست هذه الغاية العُظمى من كتاب الله، فلما رأى رب العزِّة قوماً شُغلوا بالتلاوة، ولم ينتبهوا إلى ما في القرآن من جميل المعاني ومن كريم العلوم، قال رب العزة لهم معاتباً: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ (٢٤محمد) لماذا لا يتدبروا هذا الكلام؟!.

يسَّر الله هذا الكلام لجميع الأنام، حتى أنه من فضل الله وجميل عطائه أن أي مسلم ولو كان أُمياً عندما يستمع إلى من يتلو كتاب الله لابد أن تكون له درجة من الفهم يمنحها له الله جل في علاه.

لا بد وأن يفهم شيئاً من كتاب الله، صحيح أنه تتفاوت الأفهام، لكن الكل له نصيبٌ من الفهم من كلام الله جل في علاه، لأن الله يسَّره للأنام، وعندما يسره ذكر السبب في ذلك فقال عز شأنه: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ (٢٢القمر) لم يقل للتلاوة ولكن للذكر، ولم يقل: فهل من تال، فتلاوة القرآن التي تُرضي حضرة الرحمن والتي وصفها في القرآن هي التلاوة مع الفهم والتدبر.

والتدبر يكون بالقلوب إذا خلت من العيوب، وأنزل الله ﷻ فيها نوره الموهوب فيكشف لها عن باطن المعاني وعن غيب العلوم التي جعلها ﷻ في كتابه المكنون.

نصرة الله لنبيه

فعندما ننظر في الآية التي بين أيدينا اليوم يُعاتب الله ﷻ قوماً جفوا نبيهم وتخلوا عن نصرته، ورفضوا كل الرفض أن يعينوه على نشر دعوته، أو حتى يؤمنوا به وبرسالته، وقال لهم الله ﷻ ليعلمنا أجمعين أن النصر من عند الله؛ إن كان لحبيبه ومصطفاه، أو لعباد الله، وأنبياء الله ورسل الله، أو للمؤمنين بالله في كل زمان ومكان كما نصَّ على ذلك كتاب الله ﷻ، فقال لهم رب العزِّة معاتباً: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾.

لم يقل رب العزة إلا تنصروه فقد ينصره الله، ولكن جاء بالفعل الماضي لأن الله نصره من قبل القبل، حتى أنه ﷺ عندما جاءته النبوة ظهر في كتفه الأيسر في ظهره مقابل قلبه خاتم النبوة، وكان من شَعرٍ وكان مكتوباً فيه: **(توجَّه حيث شئت فإنك منصور)**.

وهذا خاتم الحق الذي ختم به كتف رسول الله ﷺ تأييداً ونصرةً ومؤازرةً لهذا النبي الصفيِّ الوفيِّ صلوات ربي وتسليماته عليه.

ميثاق النبيين

وكيف نصره ربنا قبل خلق الأكوان؟ وضَّح ذلك الله ﷻ في القرآن، ونحن نأخذ كل ما نريد أن نتحدَّث فيه من بيان القرآن، لأنه تنزيلٌ من حكيم حميد وقوله فصلٌ وليس بالهزل.

بيَّن الله ﷻ أنه عندما خلق الأنبياء أرواحاً نورانية قبل خلق الأجسام، والأشباح ونزولها إلى دار الدنيا الدنية، خلق أرواح النبيين جملةً واحدة، ونحن كذلك، ولذلك يقول لنا الله: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَـٰكُمْ ﴾ لا يوجد إستثناء خلقكم كلكم: ﴿ ثُمَّ صَوَّرْنَـٰكُمْ ﴾ أعطى لكل روحٍ صورتها، وبعد الخلق والتصوير: ﴿ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ ﴾ (11الأعراف)

فنحن كلنا خُلقت أرواحنا ووُضعت صورنا من المصور ﷻ قبل خلق جسم آدم، وهذا بنص كلام الله في سورة الأعراف.

خلق الله أرواح النبيين ثم جمعهم في غيبه العليّ حيث لا زمان ولا مكان ولا أفلاك ولا أكوان، وأخذ عليهم العهد بنبي الختام والشفيع الأعظم يوم الزحام سيدنا رسول الله ﷺ: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ ولم يقل المرسلين، لأنه متى يُصبح رسولاً؟ إذا نزل إلى الدنيا وكُلِّف بإبلاغ رسالة، لكن هم كانوا أرواحاً في عالم المليك الكريم الفتاح ﷻ: ﴿ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ﴾ (81آل عمران) هذا موقف عظيم نتيه به فخراً في الدنيا ويوم الدين على الأولين والآخرين، لأنه صاحب أكرم مقام بين جميع الرسل والأنبياء عليه وعليهم أفضل الصلاة وأتم السلام.

أخذ عليهم العهد أن يؤمنوا به وينصروه، وهذا قبل خلق الأفلاك والأكوان والأرض، ونزول آدم إلى الدنيا الدنية لتخرج منه الذرية التي نحن منها أجمعين، لنعرف صدق القرآن أن النصر قبل القبل، فقد نصره الله من وقت أن أخذ العهد على

وكونهم أن يؤمنوا به فمعناه أنه رسول المرسلين ونبي النبيين، وليس في ذلك شك، لأنهم جميعاً لا بد وأن يؤمنوا به، ولذلك لما سألوا الله ﷻ أن يجددوا الإيمان بعد بعثته وتكليفه برسالته أحيا الله أرواحهم وجمعهم في بيت المقدس حتى يجددوا البيعة للحبيب، ويصلُّوا وراءه ليكونوا من أمته.

موسى وعيسى كانا يتمنيان أن يكونا من أمته صلوات ربي وتسليماته عليه، وكان الواحد فيهم يقول: النبي الذي يأتي من بعدي اسمه أحمد أتمنى أن أحمل حذاءه، لماذا؟ لكرامته على الله، وعلُّو درجته عند مولاه جل في علاه:

صُفُّوا وراءك إذا أنت الإمام لهم قد بايعوك على صدق المتابعة
صليت متوجهاً لله معتصماً بالله حتى بدا نور المفاضلة
أبوهمُ أنت يا سر الوجود ولا فخر وسرهمُ قبل المعاهدة

فأخذ عليهم العهد أنهم لا بد أن يؤمنوا به وينصروه، فكيف ينصروه وهم لم يلحقوا زمانه ولم يُبعثوا في عصره وأوانه؟ بأن يكشفوا عن أوصافه لأممهم، وأن يُبينوا صفاته الكريمة لأتباعهم، ويأمروهم أنهم إذا حضروا زمانه يتخلوا عن معتقداتهم ويؤمنوا به ويتبعوه ويدخلوا في دينه ﷺ.

ولذلك كان كل واحد منهم يوصي أتباعه وأحبابه بالإيمان بهذا النبي الذي يخرج في آخر الزمان ونصرته ومؤازرته، حتى أن هذه الأسرار شاعت عند الناس، فاليهود عرفوا بما ذكره لهم نبي الله موسى عن أوصاف النبي والزمن الذي يظهر فيه النبي والبلد التي يظهر فيها النبي، والأصحاب الذين يكونون حول النبي، كل هذا سيدنا موسى عرَّفه لهم، وأنظر ماذا قال عنهم الله: ﴿ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴾

هل يوجد من لا يعرف أولاده؟ سيدنا موسى ظل معهم حتى عرَّفهم معرفةً كمن يعرِّف أولاده حتى لا يضيعوا منه، ولذلك كانوا يعرفون كل شيء عن رسول الله ﷺ.

لما قرُب ظهور حضرته في الأكوان وعرفوا أين يظهر، تركوا بلاد الشام وكانت مملوءة بالبساتين والخيرات والمبرات، وذهبوا للصحراء طامعين أن يكون هذا النبي نبي الختام منهم، مع أنهم يعرفون ومتأكدون أنه من ولد إسماعيل عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام، لأنه كان دعوة أبيه إبراهيم، ولذلك قال ﷺ:

{ أَنَا دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبُشْرَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ }[٢]

﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ من الذي دعا بهذه الدعوة؟ سيدنا إبراهيم!

ولمن كانت؟ .... لرسول الله ﷺ.

٢ جامع البيان عن تأويل آي القرآن .

فذهبوا إلى هناك، .... فمنهم من سكن في مكة، ... ومنهم من سكن على جبل عرفات ...، ومنهم من سكن في المدينة .....، وكان اسمها في هذا الوقت (يثرب) ويعرفون أنها مكان هجرته.

ولذلك تروي كتب السيرة أن النبي ﷺ عندما وُلد وبعد الولادة بقليل أُصيب برمدٍ في عينيه، فحزن عليه جده عبد المطلب فقالوا له: هنا راهب يهودي على عرفات يعالج هذه الأمراض، فعندما رأى الراهب حضرة النبي ﷺ قال: إن هذا دواؤه معه خذ من ريقه وضع في عينيه يُشفى بإذن الله، فكانوا يعرفونه ولا يتوهون عنه أبداً.

ولما نزلت الملائكة وهو عند السيدة حليمة رضي الله عنها وأخذوه وأضجعوه وشقُّوا صدره وأخرجوا قلبه وغسلوه بماء زمزم، وختموه بخاتم النبوَّة، وخافت عليه السيدة حليمة وذهبت لأحد هؤلاء اليهود، فعندما رآه قال: يا معشر يهود اقتلوني واقتلوا هذا الغلام فإنه نبي هذه الأمة، فطالما أنك تعرف أنه نبي هذه الأمة، فنبي هذه الأمة معصوم، فكيف يُقتل؟!! ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ .

فكانوا يعرفونه تمام التمام، حتى أن الأخبار كانت قد وصلت إلى كل البقاع والأمصار أن النبي المختار نبي آخر الزمان آن آوان بعثته، وسيُبعث في مكة ويهاجر إلى المدينة وينتشر منها نور الله ﷻ، ونور شرعه وكتابه إلى كل بقاع الأرض.

إيمان تُبَّع ونُصرته للنبي□

ومن ضمن العجائب في نصرة الله لنبيه في حادثة الهجرة شيء عجيب وغريب، فأهل اليمن كان ملكهم تُبَّع، وكان اسمه أسعد الحَمْيَري، من قبيلة حِمير والتي كانت تحكم اليمن، أعطاه الله مالاً وصنع سلاحاً وكوَّن جنوداً وقال: أريد أن أُوسِّع المملكة وأملك كل الأرض، وهذا كان قبل بعثة النبي ﷺ بثلاث مائة سنة.

ظل يمشي حتى وصل إلى المدينة وكان اسمها يثرب واليهود كانوا هناك ومنتظرين، حتى أيام هجرة النبي كانوا كل يوم يخرجون في الصباح يقفون على الطرق لينظروه، وبعضهم كان يصعد النخل حتى يروه من بعيد فيعرفون الميعاد وحدَّده سيدنا موسى لهم كما أمره مولاه.

فلما أراد أن يُغير ويهجم على البلد خرج له أحبار اليهود وقالوا له: لن تتمكن من دخول هذه البلدة، فقال لهم: لماذا؟ قالوا: إن هذه البلدة هي مُهاجر نبي آخر الزمان، والله جهَّزها لهجرته.

وكان رجلاً حكيماً، فكان دائماً معه مجموعة من العلماء يستشيرهم في الأمور الهامة وكان عددهم حوالي أربعمائة، معه الجيش ولكن مع الجيش مجموعة من العلماء في كل التخصصات ليستشيرهم في الأمور المهمة، فاستشارهم، فقالوا له: إن هذا الكلام حقٌّ، وجاء في الكتب السماوية السابقة في التوراة والإنجيل على لسان موسى وعيسى عليهما السلام.

ماذا يفعل الرجل؟ قال للعلماء الذين معه: أنا سأبني لكل واحدٍ منكم بيتاً، وأُزوِّجكم، وأترك لكم نفقاتكم وتمكثوا في هذه البلد حتى إذا جاء هذا النبي تعاونوه وتؤازروه وتنصروه، وكبير العلماء بني له بيتاً من دورين، وبقية العلماء كل واحد بيتاً من دور واحد، وترك مع كبير العلماء رسالة وقال له: هذه الرسالة لنبي آخر الزمان إذا أردكته، وإذا لم تُدركه تعطيها لأولادك يسلموها لمن بعدهم حتى تصل لمن يُدرك هذا النبي فيُسلِّم هذه الرسالة لهذا النبي.

هاجر رسول الله ﷺ، وكانوا واقفين على أبواب المدينة وكلهم مجهزين تحية على قدر استطاعتهم لخير البرية، يريدون أن يحيُّوه، فمنهم من جهَّز لبناً، ومن جهَّز تمراً ومن جهَّز حلوى.

ومن يحاول أن يمسك بناقته، فيقول لهم: دعوها فإنها مأمورة، والناقة تمر ببيت المسلم الذي نطق بالشهادتين وتقف وحدها حتى يقدِّم تحيته، وتمر مسرعةً إذا مرَّت ببيت اليهودي، فمن الذي عرفَّها بأنه يهودي؟! ومن الذي عرفها بأن الآخر مسلماً؟! عناية الله، كان معها خط سير من ملك الملوك ﷻ.

تركوها فظلت تمشي حتى وصلت عند مكان واسع وبركت فيه، أين بركت؟ عند البيت ذو الدورين، ومن كان معه هذا البيت؟ كان مع سيدنا أبو أيوب الأنصاري وكان من ذرية كبير هؤلاء العلماء.

فكل واحد يريد أن يأخذ رحل الرسول فقال لهم: انظروا إلى أقرب باب لنا وندخله، قالوا: أقرب باب هو باب أبو أيوب، فدخل على باب أبي أيوب.

وبعد أن دخل واستقر قال له: أين رسالة تُبَّع يا أبا أيوب؟ فكان تُبَّع بني هذا البيت لكبير العلماء، وقال له: هذا يكون للنبي عندما يهاجر إلى هذا المكان.

أرأيتم كيف كان نصر الله له؟ منذ ثلاثمائة سنة، حتى إذا هاجر لا يسكن عند أحد، ولكن يسكن في بيته هو، والذي جهزَّه له المولى العلي ﷻ، والرسالة كتبها تُبَّع ببعض الحكم النظمية ويقول فيها:

شـــــهـدت عـلــى أحـمـد أنــه	**رســــولٌ مــن الله بــاري الــنســـم**
فـلــو مُــدَّ عـمـري إلـى عـمـره	**لـكـنـت وزيـراً لــه وابــن عـم**
وجـاهـدتُ بـالســـيـف أعـداءه	**وفـرجـت عـن صــــدره كـل هـم**

وقد قال ﷺ:

{ لا تَسُبُّوا تُبَّعًا ، فَإِنَّهُ كَانَ قَدْ أَسْلَمَ }[3]

فنحن نقول: أن أول من آمن به ﷺ سيدنا أبو بكر وكان هذا في عصر حضرة النبي، لكن أول من آمن في عالم الحقيقة بعد النبيين والمرسلين تُبَّع ملك اليمن.

وهؤلاء الذين سكنوا المدينة هم الأنصار، والذين نصروا النبي وآووه ونصروه وأعانوه حتى يُبلِّغ رسالة الله ﷻ إلى كل الآفاق:

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾.

٣ مسند أحمد والطبراني عن سهل بن سعد رضي الله عنه

شرف الصديق

﴿ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾!

هذه الآية تبين شرف الصديق رضوان الله تبارك وتعالى عليه، أدخله الله مع حضرة النبي خمس مرات، (ثاني إثنين) – (إذ هما في الغار) – (إذ يقول لصاحبه) - (لا تحزن) – (إن الله معنا) دخل سيدنا أبو بكر في معية حضرة النبي في هذه الآية الواحدة خمس مرات، حتى نعرف فضله ولذلك قال ﷺ:

{ لَوْ وُضِعَ إِيمَانُ أَبِي بَكْرٍ عَلَى إِيمَانِ هَذِهِ الأُمَّةِ لَرَجَحَ بِهَا } [٤]

وقال ﷺ : { مَا لأَحَدٍ عِنْدَنَا يَدٌ إِلا وَقَدْ كَافَيْنَاهُ ، مَا خَلا أَبَا بَكْرٍ ، فَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا يَدًا يُكَافِيهِ اللَّهُ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ } [٥]

وأنا أقول هذا الكلام لنتحسَّب عندما نسمع أو نذكر هذه الثُّلة المباركة من أصحاب رسول الله ......

يحظُر على أي إنسان أن يخوض أو يسمح لأحدٍ جالسٌ معه أن يخوض:

---

٤ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للألكاني عن ابن عمر رضي الله عنهما
٥ جامع الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه

{ إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا }[٦]

كل إنسان يمسك لسانه، لأن هؤلاء الذين قال فيهم الله ﷻ: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الفتح) وبعد كلام الله عنهم هذا، هل يصِّح لنا أن نتكلم فيهم؟! الله ﷻ رضي عنهم وانتهى الأمر، والله يقول للنبي: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ (الضحى) ويقول للصديق: ﴿ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾ (الليل) آيات بينات تدل على قدر هؤلاء الأقوام عند الملك العلام ﷻ.

حسن تخطيط النبي في هجرته

﴿ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾

سيدنا رسول الله ﷺ مع أن الله سخَّر له كل الأشياء إلا أنه آثر أن يأخذ بطريق الأسباب، لماذا؟ لأنه قدوة، فقبل هذه الرحلة ذهب إلى بيت المقدس وصلَّى بالأنبياء والمرسلين، ثم صعد إلى السماوات السبع وذهب إلى الجنة، وذهب إلى النار، ورجع بعد كل هذه المسافات وفراشه الذي ينام عليه لم يبرُد بعد.

٦ معجم الطبراني والبيهقي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

فكان يستطيع بخطوة واحدة أن يصل إلى المدينة، وما الذي يجعله يخرج خائفاً، ويختبئ في الغار، ويأتي بدليل؟ لأن القدوة لا بد أن تكون كذلك، لأنه لو لم يفعل هذا لقلنا: لا نستطيع فعل هذا لأننا لسنا مثل حضرة النبي فقد أخذها في خُطوة، ونتخذها حُجة، ولكن أراد الله أن تكون له الحُجة البالغة.

مع أن في إمكانه أن يخرق الأسباب، إلا أنه أصَّر أن يأخذ بالأسباب، وعلَّمنا كيف نرتِّب الأمور كلها كما ينبغي مع حُسن التوكل على مسبب الأسباب ﷻ.

وما ضيَّع هذه الأمة الإسلامية في زمننا إلا الهمجية التي انتشرت بين الناس، فلا يريد أحدٌ أن يُرتب شيئاً ويقول: خليها بالبركة، والبركة في الترتيب، ويقول لك: تظل متوكلاً على الله!!، وها هو التوكل فمن يتوكَّل على الله كحبيب الله ومصطفاه؟!.

فرتَّب الأمور كما ينبغي تماماً:

- متى يخرج من البيت؟
- ومن ينام مكانه ليرُدَّ ودائع الناس؟
- وأعطاه كشفاً بأصحاب الودائع حتى يقولون عنه: لا يزال أميناً كما عهدناه.
- ويدخل الغار من طريق غير مطروق!
- وغيَّر طريق المدينة ودار من جهة اليمن حتى لا يعرف أحدٌ عنه شيئاً ولا ينتبه أحد لذلك ..

- ويمكث ثلاثة أيام !
- والدليل متفقون معه ويعرف الدروب ويعرف الصحاري!
- ومعه الجملان مجهزان!
- والبنت تأتي بالطعام.
- والولد يسمع الأخبار.
- ويأتي بها، مع أنه يعلم الأخبار من الله ﷻ، لكن ليعلِّمنا حسن ترتيب الأمور.

ولذلك عندما جاء رجل إلى مجلس رسول الله ﷺ وكان راكباً ناقة، فنزل من عليها، وقال:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أُرْسِلُ نَاقَتِي وَأَتوَكَّلُ؟، فَقَالَ: اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ }[7]

يعني اعقلها أولاً أي اربطها، ثم توكَّل، فالتوكل يحتاج من الإنسان أن يعتمد على الله ويأخذ بالأسباب التي أوجدها الله جل في علاه.

دخلا الغار !!

وسيدنا أبو بكر لم يخف على نفسه، ولكن يخاف على رسول الله ...

ولذلك قال الله له على لسان الحبيب: (لا تحزن) ولم يقل له لا تخف، لأن الحزن على الغير، ولذلك عندما يتكلم الله على الأولياء قال: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (يونس) ما هذا؟

---

[7] البيهقي والحاكم عن عمرو بن أمية رضي الله عنه

في أصحابهم وأتباعهم وأحبابهم .... الذين التزموا المنهج السوي على قدم حضرة النبي الصفي ﷺ.

فقال له: ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾!

وسيدنا أبو بكر كان خائفاً، يحكي صاحب السيرة الحلبية رحمة الله عليه نقلاً عن الروايات المعتمدة: ((عندما وجد رسول الله أن سيدنا أبو بكر شديد الخوف فقال له: يا أبا بكر انظر، فنظر وجد في آخر الغار بحراً متلاطم الأمواج، وسفينة مجهزة، والبحارة على أُهبة الإستعداد للسفر، فقال: يا أبا بكر إن جاءوا من هاهنا، خرجنا من هاهنا)).

الإمدادات الإلهية للنبي□

ما الأسلحة التي أمدَّ الله بها حضرة النبي؟ أسلحة لا تُعد ولا تُحد، أولها وأعظمها والتي ينبغي أن نبحث عنها أجمعين:

﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ ﴾!

أنزل عليه السكينة والطمأنينة، وهل هو وحده؟ لا، ونحن معه أجمعون: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ وماذا تفعل السكينة؟

﴿ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ﴾ (الفتح) ودائماً المؤمن يطلب من الله السكينة ويطلب الطمأنينة بذكر الله: ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ (الرعد) الشيء الوحيد الذي يُطمئن القلب بالله ذكر الله جل في علاه.

﴿ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾:

نحن جميعاً نحفظ أنه أيَّده بالعنكبوت وبالحمامتين، لكن هذه أشياء رأيناها، والله يقول: ﴿لم تروها﴾ يعني جنود لم تروها، وما هذه الجنود؟

أول هذه الجنود قول الحبيب ﷺ:

{ نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ }[8]

الدولة التي تسمع أن رسول الله ذاهبٌ تجاهها وبينه وبينهم سفر مسيرة شهر، يحدث لهم هلع وجزع وخوف ويُعلنوا التسليم، وهذا الكلام حدث، ملك الروم جهَّز خمسين ألف جندي وقال لهم: تذهبوا للمدينة وتجهزوا على هذا الرجل وننتهي من أمره، فخرجوا لبلاد الشام، وحضرة النبي بلغته هذه الأخبار من الخبير الأعلى ﷻ، فخرج وجنده لهم، وكان الزمن زمن صيف وكان شديد الحرارة، وكان المحصول الرئيسي النخل، وكان يطيب في هذه الفترة، فكيف يسافرون في هذا الوقت في شدة الحرارة ويتركون النخل؟ فكان اختباراً للمؤمنين.

---

٨ البخاري ومسلم عن جابر رضي الله عنه

فالذين خافوا قالوا: ﴿ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّ ﴾ (التوبة) لكن الله فضحهم وقال لهم: ﴿ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴾ (التوبة) ولذلك سورة التوبة تُسمَّى الفاضحة لأنها فضحت المنافقين كلهم.

فكان المنافقون يعتذرون، لكن المؤمنين لا يعتذرون أبداً، بل الواحد منهم كان عندما يسمع دعوة رسول الله يلبي فوراً، كانت ليلة دخلة أحدهم وهو سيدنا حنظلة على زوجته، وبمجرد أن سمع نداء رسول الله للجهاد، هب لتلبية النداء، فقالت له زوجته: انتظر حتى تغتسل، فقال لها: لو انتظرت لتأخرتُ عن رسول الله، فخرج ولم يغتسل وذهب للمعركة واستشهد، وبعد المعركة سأل النبي ﷺ عن أمره، وقال:

{ لَقَدْ رَأَيْتُ الْمَلائِكَةَ تُغَسِّلُهُ }[9]

مع أن الشهيد لا يُغسَّل، لكن عندما يسمع النداء فوراً يذهب إلى رسول الله، وكان هذا حال المسلمين أجمعين.

خرج رسول الله ﷺ ومعه جيشه ومشي خمسة عشر يوماً وبحثوا هناك عن الجيش فلم يجدوا، ولا آثار له على الأرض، لماذا؟ سلاح الرعب جعلهم يخافون وجبُنُوا وعادوا مرةً ثانية: ﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ﴾ (الأحزاب).

٩ سير السلف الصالحين للأصبهاني عن ابن عباس رضي الله عنهما

وهناك سلاح آخر، وهو سلاح التوفيق: ﴿ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ (٨٨هود) السيدة عائشة تقول لرسول الله:

{ مَا أُرَى رَبَّكَ إِلا يُسَارِعُ فِي هَوَاكَ }[10]

وما معنى ذلك؟ أن أى كل شيء يتمناه يحدث فوراً، لماذا؟

لأن الله ﷻ حالفه بتوفيقه، ولازمه بتوفيقه، فكان موفقاً في كل حركاته وسكناته لأنه لا يريد شيئاً من الدنيا إلا رضاء الله ووجه الله جل في علاه:

﴿ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾.

نسأل الله ﷻ أن يجعل في هذا الزمان دين الإسلام هو الأعلى على كل الأديان، وأن يمحو الكفر والكافرين، واليهود ومن عاونهم أجمعين، وأن يطهر منهم بيت المقدس وأرض فلسطين، وأن يجعل المسلمين أخوةً متآلفين متكاتفين متحابين، وأن يُطفئ نار الحروب المشتعلة في البلاد الإسلامية، وأن يوحد صفوفهم ويجمع شملهم، ويجعلهم أجمعين عاملين بكتاب الله، آخذين بسنة رسول الله حتى يكتب لنا النصر كما كتبه لحبيبه ومصطفاه.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

---

١٠ البخاري ومسلم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ (٦) مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ (٧) لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ (٨)



وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾

(الحشر)

٢. الصادقون والمفلحون□

سبب نزول الآيات□

الغنائم والفيء□

إيثار الأنصار□

أوصاف الصادقين□

الفضل والرضوان□

سبب نزول آية الإيثار□

التابعون□

□

الصادقون والمفلحون[1]

في مناسبة هجرة النبي المختار ﷺ نسأل الله ﷻ أن يجعلنا أجمعين نهجر فيها المعاصي والمحرمات، ونهاجر إلى الطاعات والقربات.

خير من يتحدَّث عن النبي وأصحاب النبي كتاب الله تبارك وتعالى العليُّ، لأنه: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (٤٢فصلت).

والآيات التي معنا اليوم من سورة الحشر تتحدث عن هجرة النبي ﷺ، وأصحاب النبي، وأوصاف أصحابه في زمانه وعصره ومَن بعدهم إلى يوم الدين.

ولذلك قال بعض الصالحين: جعل الله ﷻ الناس ثلاثة أصناف: الذين هاجروا، والذين آووا ونصروا، والذين اتبعوهم بإحسان، فإياك أن تُخطئ واحدة من هذه الثلاث، إن لم تلحق بالأولى والثانية فعليك بالثالثة: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ ﴾ (١٠٠التوبة).

سبب نزول الآيات

وهذه الآيات الكريمة لها مناسبةٌ عظيمة نزلت فيها، فالنبي ﷺ بعد هجرته علمَّنا حُسن المعاشرة حتى مع أعدائه، فعندما هاجر من مكة إلى المدينة وكان اليهود يسكنون في المدينة، وقد خرجوا أصلاً طلباً بأن يكون نبي آخر الزمان الذي يجدون وصفه ونعته منهم، ولما جاء النبي عربي وليس منهم بهتوه وقبَّحوا شأنه وأعلنوا الحرب عليه صلوات ربي وتسليماته عليه.

[1] المعادي ٥ من محرم ١٤٣٨هـ ٦/١٠/٢٠١٦م

يقول الله في شأنهم: ﴿ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ يستفتحون بالنصر بالنبي إذا تقاتلوا مع أعدائهم، فكانوا يقولون: اللهم بحق النبي الذي ستبعثه في آخر الزمان انصرنا عليهم، فيمكنهم الله من أكتافهم، ثم يقول الله:

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ﴾ هم يعرفونه: .....﴿ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾.

ومن دقة هذه المعرفة يقول رب العزة: ﴿ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ هل هناك رجلٌ يتوه عن أولاده؟! لا، فهم يعرفون النبي بدقة بالغة كما يعرف الرجل أولاده الذين خرجوا من صُلبه.

لكن حسدهم وبغيهم وإفكهم هو الذي منعهم من الإيمان به، ومع ذلك ومع هذه الخصال الذميمة والأوصاف القبيحة إلا أن النبي ﷺ يُعلمنا الجار ولو جار، فلأنهم جيرانه في المدينة ذهب إليهم وكتب كتاباً ينُص على بنود يتعايشون بها فيما بينهم، وكان من جملة هذه البنود أنه إذا وقع قتيلٌ من أحد الطرفين أي من المسلمين أو من اليهود اشتركوا في دفع ديته.

وتصادف أن قُتل قتيلان بأيدي المسلمين واتفقوا واصطلحوا مع أهلهم على أخذ الدية، فذهب النبي ﷺ ومعه أبو بكر وعمر إلى يهود بني النضير في مكانهم، وكانوا يسكنون خارج المدينة بحوالي إثنين كيلو متر، فذهب لهم بنفسه ليعرض عليهم الأمر، وجلس ﷺ في ظلِّ حائطٍ لرجلٍ منهم، يعني لم يدخل بيتا تواضعاً منه ﷺ، لكنهم عندما رأوا النبي تهامسوا فيما بينهم، وقالوا لن تجدوا فرصةً في هذا الرجل كهذه، هل منكم رجلٌ يصعد إلى سطح المنزل ويحمل صخرة كبيرة ويُلقيها عليه فنستريح منه؟ لأن طبيعتهم الغدر.

ولم ينتهوا من خُطتهم إلا ونزل الأمين جبريل يُنبئ الرسول ﷺ بأمر هؤلاء القوم الغادرين، فانتفض النبي وقام ولم يتكلم، وتبعه أبو بكر وعمر ولم يحدثهم بشيء حتى وصل إلى المدينة، ثم أمره الله ﷻ أن يحاصر بني النضير بعد أن نقضوا العهد معه، فأعلن النبي ﷺ حصار بني النضير.

وحاصروهم عدة وعشرين يوماً، ولما طال الحصار ووجدوا أن لا مفر أخذوا يتساومون في الصُلح مع النبي ﷺ، وأخيراً اتفقوا معه على أن يخرجوا من المدينة، على أن يخرج كل ثلاثة من الرجال معهم جملٌ واحدٌ بما يحمله، ولا يحملون سلاحاً ولا مالاً.

فلما وجدوا ذلك عزَّ عليهم أن يتركوا هذه المباني وهذه الدور إلى المسلمين فهدموها، ولذلك قال الله ﷻ: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (الحشر).

وكانت هذه الواقعة بعد واقعة بدر بحوالي ستة أشهر، وواقعة بدر تحدثنا عنها عند الحديث عن سورة الأنفال، وقلنا فيها أن المسلمين منهم من كان يحارب العدو في الميدان، ومنهم من تبع المحاربين الذين فروا من الميدان، ومنهم من كان يحرس متاع المؤمنين وخيامهم خلف الميدان، وبعد انتهاء المعركة اختلفوا وتنازعوا في تقسيم الغنائم.

الغنائم والفيء

والغنائم هي الخيرات التي تأتي من الأعداء بعد حرب مع الأعداء، والفيئ هي الغنائم التي تأتي بدون حرب نتيجة الصلح أو الاستسلام أو شيء من هذا القبيل.

فلما اختلفوا في غزوة بدر نزع الله ﷻ الأمر منهم وقال في آياته القرآنية: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ (الأنفال) وجعل الرسول صلوات ربي وتسليماته عليه يوزعها، وكان التوزيع سهمٌ للرسول، والباقي للمحاربين، على اختلاف أصنافهم وتخصصاتهم وأعمالهم.

لكن في بني النضير لم تكن هناك حربٌ، بل هناك صُلحٌ واستسلام، وغنم المؤمنون منهم ما تركوه من أموال، وما تركوه من دور، وما تركوه من سلاح، وما تركوه من أنعامٍ، لأنه لا يُسمح لهم إلا بجملٍ واحدٍ لكل ثلاثة رجال.

وأراد المسلمون أن يكون التوزيع كما تمَّ في غزوة بدر: - يعني تُقسَّم على المحاصِرين - فنزعها الله ﷻ عنهم وجعلها لحبيبه ومصطفاه، لأنها جاءت بدون حربٍ ولا قتال.

﴿ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ ﴾ أفاء يعني جاء بلا حربٍ ولا قتال ولا رفع سيف ولا قذفٍ برُمحٍ، وإنما جاء نتيجة صُلح أو استسلام أو معاهدة أو ماشابه ذلك.

والفيئ: كما قال الله: ﴿ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ ﴾ يعني ما حركتم خيل ولا ركائب، ولا قاتلتم بسلاح ولا رُمح ولا سهم ولا أي شيء من هذا.

﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ﴾ إذاً فالنصر جاء بسبب الرعب الذي قذفه الله في قلوب هؤلاء، فهذا تسليط الله ﷻ، والخوف الذي أنزله الله في قلوبهم، وهذه خصوصية للأنبياء والمرسلين وأولها الذي قال فيها ﷺ:

{ نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ }[٢]

يعني عندما كان يسمع الأعداء أنه متوجهٌ إليهم، وبينه وبينهم مسيرة شهر، كان يأخذهم الهلع والفزع والجزع فيستسلمون قبل أن يتحرك إليهم بشهر كامل.

فالنصر هنا جاء بسبب الفزع والهلع والجزع والرعب الذي قذفه الله في قلوب هؤلاء: ﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ﴾ [الحشر٢].

﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ وهذا أمرٌ كلنا متفقون عليه لأن الله ﷻ لا يُعجزه شيء، وإنما أمره بين الكاف والنون: ﴿ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس٨٢].

ثم دخل الله ﷻ في توضيح هذه الخصوصية وكيفية توزيع هذه الغنيمة التي جاءت بدون قتال: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ ﴾ أي أن ما جاء به الله للرسول - وهذا إعجاز القرآن - سواءٌ من بني النضير، أو ما يأتي بعد ذلك من القُرى اليهودية التي بجوار خيبر، لأن خيبر فُتحت بالقتال، لكن بجوارها فدكٌ وغيرها فُتحت بغير قتال، فكانت هذه إشارة إلى هذه القرى والمدن.

---

٢ البخاري ومسلم عن جابر رضي الله عنه

والقُرى تشمل القرى والمدن، بل القُرى تشمل المدن الكبيرة، ولذلك يُقال لمكة أم القُرى، وهي القرية الكبيرة.

هذا النصيب لمن؟ ﴿ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾ ومن الذي يقوم بتقسيمه؟ الرسول ﷺ، والرسول يُعطيه لمن؟ ﴿ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ يعني يخصُّ به الفقراء دون الأغنياء.

إيثار الأنصار

ولذا لمَّا نزلت هذه الآية - وهذا من إعجاز التربية النبوية التي نحن في أمسّ الحاجة إليها للقضاء على كل مشاكلنا العصرية - جمع النبي ﷺ الأنصار وخيَّرهم بين مشاركة إخوانهم المهاجرين فيء بني النضير، أو أن يتركوه للمهاجرين ويتركون لهم ما أخذوه من ديارهم وأموالهم، فقال سعد بن معاذ وقال سعد بن الربيع وقال زعماء الأنصار: بل قسمِّها على المهاجرين ويبقون معنا على ما هم عليه، ولا نرجع في شيء خرجنا به لله ﷻ!!.

ما هذه الروح؟!! نحتاج إلى هذه الروح في زماننا، فنكبة المسلمين سببها التكالب على الدنيا، وأشار إليها النبي حيث قال:

{ يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَتَدَاعَى عَلَيْكُمْ ، كَمَا تَتَدَاعَى عَلَى الْقَصْعَةِ أَكَلَتُهَا ، قِيلَ : أَوَ مِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ : لا ، بَلْ أَنْتُمْ أَكْثَرُ ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ ، وَلَيَقْذِفَنَّ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ ، قيل : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ : حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الآخِرَةِ }[٣]

هذا هو المرض الذي أصاب المؤمنين بالجُبن والبُخل والفزع والجزع والهلع والبُغض والحقد والحسد ولكل الشرور والآثام ...

يقول فيه الحبيب عليه أفضل الصلاة وأتم السلام:

{ حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ }[٤]

ولكن انظر لهؤلاء الأقوام، يقول لهم: أُوزِّع عليكم هذه الغنيمة أنتم وهم، وهم كانوا قد اقتسموا معهم الدور واقتسموا معهم الأموال، حتى أن بعضهم كان يقتسم معهم النساء، فكان يقول لأخيه: انظر إلى زوجاتي فمن تُعجبك أطلقها لك، فإذا انقضت عدتها تتزوجها.

فما هذا الإيثار؟! لنعرف من هم الأنصار، ولذلك حضرة النبي فرح وقال:

---

٣ معجم الطبراني وأبي داود عن ثوبان رضي الله عنه
٤ الزهد لابن أبي الدنيا

{ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلأَنْصَارِ ، وَلأَبْنَاءِ الأَنْصَارِ ، وَأَبْنَاءِ أَبْنَاءِ الأَنْصَارِ } [٥]

دعا لهم لفرحه بهم لهذا الخُلق العظيم الذي اتصفوا به نتيجة بشاشة الإيمان في قلوبهم رضوان الله تبارك وتعالى عليهم أجمعين.

والمهاجرين قالوا: والله يا رسول الله ما رأينا قوماً كهؤلاء يقتسمون معنا أموالهم ودورهم ونساءهم لعلنا لن نلحق بهم، لأننا لن نستطيع أن نفعل كفعلهم، فقال ﷺ معلماً لهم ولكل من وُهب جميلاً أن يفعل مع من أسدى إليه الجميل: إنكم معهم ما دمتم تدعون لهم.

فلا أقابل الجميل بالصدِّ والهجر والتقبيح، ولكن بالدعاء كما قال ﷺ:

{ مَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ } [٦]

وعاد سيدنا رسول الله ﷺ مرةً أُخرى بعد بُرهةٍ من الزمن وقد فُتحت عليه البحرين: **{ فأَرَادَ النَّبيُّ ﷺ أَنْ يُقْطِعَ مِنَ الْبَحْرَيْنِ ، فَقَالَتْ الأَنْصَارُ : حَتَّى تُقْطِعَ لإِخْوَانِنَا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مِثْلَ الَّذِي تُقْطِعُ لَنَا }** [٧].

---

٥ البخاري ومسلم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه
٦سنن أبي داود والنسائي عن ابن عمر رضي الله عنهما
٧ صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه

بالله عليكم أصدقوني، ألسنا نحن في أمسِّ الحاجة إلى هذه الروح الإيمانية الآن؟ وهل يحُلُّ كل مشاكلنا إلا هذه البشاشة الإيمانية؟! هي هذه.

فوزَّع النبي ﷺ غنيمة بني النضير على المهاجرين ولم يُعطي للأنصار إلا لثلاثة منهم كانوا من الفقراء، واصطفى منها جزءاً لنفسه لأنه تفرَّغ لدعوة الله ليكفيه هو وزوجاته فلا يحتاجون لأحدٍ إلا لحضرة الله جل في عُلاه.

وكان ﷺ إذا جاءت الغنائم من التمر من النخيل يترك لكل زوجة من زوجاته قوت سنة، ثم يوزِّع الباقي على فقراء المسلمين، وهذا الفيئ الذي خُصَّ به سيدنا رسول الله صلوات ربي وتسليماته عليه.

بعد ذلك ذكر الله ﷻ ما سيحدث في كل الغزوات والمعارك بعد ذلك فألحقه بغزوة بدر، فجعله كما كان في غزوة بدر لأنه نتيجة الحرب:

﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ

وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ﴾!

حتى لا يتداولهم الأغنياء ويجعلونهم عالةً ويجعلونهم هَمَلاً ويجعلونهم موضعاً لإظهار مكنون عُجبهم أو كبريائهم أو ثرائهم أو ماشابه ذلك.

ثم وضع الله ﷻ الأمر الجامع لجميع المؤمنين من عصر النبي إلى يوم الدين أمراً قاطعاً في كل شأنٍ من شئون الدنيا أو الدين:

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾

وهذا في كل أمر من أمور الدين، أو من أمور الدنيا، أو من أمور الأسرة، أو من أي أمرٍ يتعلق بالإنسان ظاهراً أو باطناً، عليه أن يلتزم بما أتى به رسول الله، ويبتعد عما نهى عنه رسول الله، وإلا فليحذر عقاب الله:

﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ :

لمن ترك هذا الإلتزام، وقد قال فيه في آية أُخرى:

﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

أوصاف الصادقين

ثم وضَّح الله ﷻ أصناف المؤمنين الصادقين وأولهم المهاجرين، فوصف الله ﷻ في القرآن المهاجرين بأوصافٍ عظيمة في كلماتٍ محدودة ومعدودة:

﴿ لِلْفُقَرَآءِ ﴾ هذه واحدة ! .... ﴿ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ﴾ وهذه الثانية !

﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ ﴾ وهذه الثالثة !

﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ وهذه الرابعة! ... ﴿ وَرِضْوَٰنًا ﴾ وهذه الخامسة!

﴿ وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ وهذه السادسة !

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾: وانظر إلى عجيب قول الله ﷻ، قال عن هؤلاء::

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ !

وقال عن الأنصار: ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (الحشر) !! هؤلاء هم الصادقون، وهؤلاء هم المفلحون، يعني إياك أن تترك منزلةً من هاتين المنزلتين، إما أن تكون من الصادقين وإما أن تكون من المفلحين، لأن هذا وصف أكرم الأكرمين ﷻ.

﴿ لِلْفُقَرَآءِ ﴾!

فهم فقراء إلى الله ﷻ لا إلى الخلق، فحقيقة الفقر أن الإنسان يرفع حوائجه كلها إلى الله، ولا يمد يده إلا إلى مولاه، ولا يطلب شيئاً صغيراً أو كبيراً إلا من حضرة الله جل في عُلاه .... وإذا طلب من السبب يعلم علم اليقين أن السبب لا يفعل شيئاً بنفسه إلا إذا أذن له ربه ﷻ ... فلا بد من الأسباب وعندما أفعل السبب أعتقد أنه لا يستطيع فعل شيئاً بنفسه إلا إذا شاء الله: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ (الإنسان).

إذاً الفقر هنا ليس الفقر المادي لأنهم كانوا أغنياء:

فكلهم كانوا تجاراً، وكانوا أغنى الأغنياء في مكة، ولكن في سبيل الله ضحُّوا بكل ما يملكون طلباً لمرضاة الله ﷻ.

وأنتم تعلمون أن أبا بكرٍ كان من أغنى أغنياء مكة من التجار، ولما هاجر مع حضرة النبي حمل معه ماله كله، ولم يترك لأهله شيئاً، ولكن انظروا إلى التربية الحصيفة، وكان أبوه قد كُفَّ بصره، فجاء إلى المكان الذي يضع فيه ماله، وكان المال عبارة عن قطعٍ من الذهب، فجاءت السيدة أسماء بنت أبي بكر بأحجار ووضعتها في موضع المال ووضعت عليها قماشاً وجاءت بجدها عندما قال لها: أظنه فجعكم بماله ولم يترك لكم شيئاً ولم يكتفي بأن يفجعكم بنفسه، قالت: لا يا أبتاه بل ترك لنا خيراً كثيراً، هاتِ يدك وأخذت بيده ووضعتها على الأحجار فظنها ذهباً،

فقال: إن كان قد ترك لكم هذا فقد ترك لكم خيراً كثيراً، الكل تربَّى على قول الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم ﴾ (التوبة) كلهم باعوا ولم يرجع أحدٌ في بيعه، ونحن ندَّعي أننا نبيع ولكننا مترددين في البيع، كالذي يريد البيع ويعرض البضاعة وكلما جاءه مشتري يقول له: لن أبيع الآن، لكنهم باعوا وانتهى الأمر.

فالفقر هنا ليس فقراً حسياً ولكنه كما قلت ووضحتُ افتقاراً إلى الله وتصديقاً لقول الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ (فاطر) وكلمة الناس هنا يعني من هم الناس في نظر الله: ﴿ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾ (فاطر) يعني من يفتقر إلى الله فهو الغني، يغنيه الله عن جميع من سواه سبحانه وتعالى.

﴿ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ﴾ :

لأنهم تركوا دورهم وتجاراتهم وأموالهم هرباً ونجاةً للحاق بنبيهم، أو للفرار بدينهم، مرة يهاجروا إلى الحبشة، ومرة يهاجروا إلى المدينة، ولم يدفعهم إلى ذلك غير رضا الله ﷻ

وكان عندهم كل ما يحلم به الإنسان من طيبات الدنيا ولذلك قال فيهم الله:

﴿ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ ﴾:

ولم يقل: الذين خرجوا، لكن الذين أخرجوا رغماً عنهم من ديارهم، يعني كان عندهم دياراً وكان عندهم أموالاً، ولكنهم تركوها رغبةً فيما عند الله، ولكنهم أُخرجوا من ديارهم وأموالهم.

الفضل والرضوان□

ما نيتهم؟ وما طلبتهم؟ ﴿ يَبۡتَغُونَ فَضۡلاً مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ يريدون فضل الله، وفضل الله يعني العطاء الذي يتفضل به الله من عنده على من يشاء من عباده: ﴿ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ (الحديد).

ويطلبون مع فضل الله مقام الرضوان الأعظم في جنة الله: ﴿ وَرِضۡوَٰنًا ﴾ فيعطيهم الفضل، ويعطيهم مقام الرضوان، ويبرهنون على صدقهم في طلبهم فجعلوا حياتهم وأموالهم وكلهم وقفاً على نصرة الله ورسوله: ﴿ وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ باستمرار ينصرون الله ورسوله بالتمسك بشرعه، وبالجهاد في سبيله، وبالمعاونة معه في نشر ما بُلِّغ به من ربه، سائرين على هذا المنهاج.

ومن يمشي على هذا المنهاج من الأولين أو الآخرين يدخل في قول الله:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾

والصادقون يقول فيهم الله: ﴿ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِ ﴾ وفُّوا بما عاهدوا الله عليه وصدقوا معه فأصبحوا من الصادقين.

هذه هي الفئة الأولى الذين هم المهاجرين الأولين، ويلحقهم المهاجرين الآخرين:

﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾

تبوءوا يعني لزموا الدار، وانظر إلى دقيق ألفاظ كتاب الله، فالدار هي المدينة المنورة، أو طيبة أو طابا فكل هذه أسماء عظيمة سمَّاها ساكن المدينة صلوات ربي وتسليماته عليه، لم يقُل الله الذين لزموا الدار فقط، ولكن الدار ومعها الإيمان، وهذا كلامٌ بديعٌ ووصفٌ عظيمٌ من حضرة الرحمن ﷻ.

فكأن الإيمان سكن في قلوبهم، كما أنهم سكنوا هذه الدار وهي المدينة المنورة، فأصبح الإيمان سكنٌ لهم كما أن الدار سكنٌ لهم:

﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَـٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾ :

فهم لزموا المدينة، ولزموا الإيمان، ويحبون من هاجر إليهم، يحبون رسول الله ﷺ ومن هاجر معه من المؤمنين الصادقين في عصره وأوانه ومن كل مكانٍ من الجزيرة العربية أو غيرها، وأظن كلنا سمعنا عن فضلهم في هذا الأمر والذي يعجز الإنسان عن أن يبينه كل البيان، لأنه حالٌ لا يفعله إلا من استقرَّ الإيمان في قرارة قلبه فضلاً من حضرة الرحمن ﷻ.

﴿ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ ﴾ الحب الذي جعل الواحد منهم - كما قلنا - يسع غيره وهو غير شريك له في النسب ولا في التجارة ولا في مصلحة، يشاركه في ماله ويشاركه في مسكنه ويشاركه في تجاراته ويشاركه في مصلحته وزراعته.

بل كانوا - كما قيل - عندما يأتي مهاجر إلى المدينة ويعرضه النبي ﷺ على هؤلاء القوم الكرام، كانوا يستبقون إليه حتى قيل: كان الرجل يتنافس عليه خمسون رجلاً، وكل رجلٍ منهم يريد أن يظفر به، فكان النبي ﷺ يستهم بينهم، يعني يُجري قُرعة بينهم ليرى من الذي سيفوز منهم بهذا الرجل!! ما هذه البشاشة التي خالطت هذه القلوب؟!.

ومع هذا العطاء، ومع هذا الفضل:

﴿ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ ﴾ وحاجة يعني لا حسد ولا كُره ولا منٌّ ولا معايرةٌ ولا شيء من الأحوال التي تعتري البشر في مثل هذه الأحوال.

فالإنسان إذا وسع إنسانٌ آخر بماله أو في بيته - إلا من عصم ربي - يريد أن يسمع ثناءاً منه، أو يريد أن يسمع كلمة شكر منه، أو يريد أن يسمع من الآخرين مدحٌ فيه، لكن هؤلاء ليس عندهم مثل هذا الكلام:

﴿ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ ﴾ ليس في صدورهم إلا الصفاء والنقاء والمحبة والمودة والشفقة والعطف والحنان لإخوانهم المؤمنين في أي زمان ومكان.

سبب نزول آية الإيثار

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ :

وسبب نزول هذه الآية له رواياتٌ عدة:

الأولى: أن سيدنا أبو طلحة ﵁ زوج السيدة أم سليم رضي الله عنها وكانت من الصالحات القانتات، لذلك كان النبي يُحبها وكان دائماً في الصيف يقيل عندها، وهي أم سيدنا أنس بن مالك والدليل على صدقها أن زوجها أبو طلحة كان من أكابر أغنياء المدينة وشجعانها، طلبها للزواج قبل إسلامه، فماذا كان ردُّها؟ قالت: يا أبا طلحة مثلُك لا يُردُّ ولكن أنت على دينٍ غير ديني،

ولا أطلب منك مهراً إلا أمراً واحداً أن تنطق بالشهادتين، فإذا نطقت بهما فهذا مهري، فقال لها: سأُراود نفسي، فذهب وراود نفسه ورجع فقال لها: وافقتُ، فأخذته إلى حضرة النبي ونطق بالشهادتين وعقد عقدهما على سنة الله ورسوله.

وهي أم الغلام الذي مات وتزينت لأبي طلحة بعد أن غطته، وتهيأت له وأطعمته حتى نام معها، ثم قالت: يا أبا طلحة لو أن أحداً استودعك وديعة ثم طلبها، فماذا أنت فاعل؟ قال: أردَّها إليه، قالت: فإن الله أخذ وديعته، فغضب الرجل واشتد به الغضب، وقال: لِمَ لم تقولي لي من قبل؟! تركتيني حتى فعلتُ كذا وكذا ثم تخبريني، وذهب إلى النبي ﷺ يشكوها له، فقال ﷺ:

{ بَارَكَ اللَّهُ لَكُمَا فِي لَيْلَتِكُمَا }[8]

هذا الرجل أخذ رجلاً جاء ضيفاً إلى النبي، لأن النبي أرسل إلى زوجاته فكلهنَّ قلن ليس عندنا إلا الماء. فقال ﷺ:

{ أَلا رَجُلٌ يُضَيِّفُهُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ يَرْحَمُهُ اللَّهُ }[9]

فذهب به إلى امرأته أم سليم، قال: هل عندك شيء؟ قالت: ليس لنا إلا طعام يكفي الصبية، فإذا أكله الضيف لم يأكله الصبية وناموا جياعاً، قال: فعلليهم حتى يناموا، ثم إئتي بالطعام وتظاهري بأنكي تعالجي المصباح وأطفئيه، ونجلس أنا وأنتي مع الضيف نتظاهر بأننا نأكل معه، حتى يأكل الضيف ويشبع.

---

٨ مسند أحمد عن أنس رضي الله عنه
٩ البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

وهذا الكلام فيه أمورٌ كثيرة، لكي نعرف كلام المتشددين، من التي أتت بالطعام وجلست مع الضيف تأكل معه الطعام؟ هي أم سليم، وهذا من يُسر الإسلام الذي تركه لنا السلف الصالح رضوان الله تبارك وتعالى عليهم أجمعين.

فجاءت بالطعام وتظاهرت بأنها تعالج المصباح وأطفأته وجلست هي وزوجها يمضغان بأسنانهما ويُسمعونه صوت أسنانهما على أنهما يأكلان، وهم لا يأكلان حتى أكل الضيف، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ له:

{ قَدْ عَجِبَ اللَّهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ }[10]، وفي رواية أخرى:

{ لَقَدْ عَجِبَ اللَّهُ ﷻ أَوْ ضَحِكَ مِنْ فُلانٍ وَفُلانَةَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ : " وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ " }[11]

وإياكم أن تظنوا أن أُمة الإسلام خلت من هذا الصنف من الرجال، فلا يخلوا زمان أو مكان من رجالٍ على هذه الشاكلة، لكن لا تذكرهم الصُحف، ولا تُبرزهم وسائل الإعلام لأنهم لا يريدون الإكرام إلا من صاحب الجود والإكرام ﷻ.

---

١٠ البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه
١١ البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه

- ورُوي: أن جماعة من المجاهدين كانوا في إحدي المعارك، وأصبح معهم طعامٌ قليل لا يكفي إلا البعض، وكان النبي قد علمهم إذا حدثت قلة في الطعام أن يجتمعوا، وقال في ذلك:

{ اجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ، وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ، يُبَارَكْ لَكُمْ فِيهِ } [12]

فتكون فيه بركة ... ولذلك ننصح الأحباب بأن تكون لهم ولو على الأقل وجبة في كل يوم أو يوم بعد يوم مع أهل بيته لتكون فيها بركة، .. لأن الناس حالياً يأكلون فُرادى، فالإبن يأتي من الدرس ويأكل خارج البيت، والزوجة تأكل وحدها، والزوج وحده، فمن أين تأتي البركة؟!!

فقال لهم قائدهم: اجمعوا ما معكم من الطعام، وكان قد قرُب غروب الشمس، ونصلي المغرب ثم نأكل، وأوصى بعدم إضاءة المصابيح وجلسوا يأكلون، وبعد أن انتهوا من الطعام، أمر بإيقاد المصابيح، فوجدوا الطعام كله ولم يأكل منه أحدٌ والكل آثر إخوانه على نفسه .... وهذه هي الفتوة الإسلامية، وهي موجودة ولا زالت، لم يرض أحدٌ أن يأكل، وكل واحد ترك الطعام لأخيه، لماذا؟

---

١٢ سنن أبي داود ومسند أحمدعن وحشي بن حرب رضي الله عنه

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾.

ورُوي: أن هذه الآية نزلت في قومٍ من الأنصار أيضاً أُهدي إلى أحدهم رأس كبشٍ مشوية، فرأى أن أخاه في الإسلام أحوج بها منه، فجاء إليه وأعطاها له، ورأى الثاني أن أخاً له في الإسلام أحوج بها منه، فذهب إلى الثالث وأعطاها له، قيل مرَّت الرأس على سبعة بيوت، وفي رواية على تسعة بيوت، ثم رجعت إلى الأول مرة أُخرى، ولذلك نزل قوله: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾

والأعجب من ذلك في ساحات القتال: وفي واقعة اليرموك بجوار دمشق، وفي المعركة كان رجلٌ من الأنصار يُسمَّى حُذيفة العدوي ﷺ رأى ابن عمه جريحاً، فذهب إليه، فأشار أن يأته بماء، فرأى رجلاً آخر يطلب الماء، فأشار إليه أن اذهب إليه، فرأى الثاني رجلاً ثالثاً يطلب الماء فأشار إليه، فذهب إلى الثالث فوجده قد مات، فعاد إلى الثاني فوجده قد مات، فعاد إلى ابن عمه فوجده قد مات! مات الثلاثة ولم يشربوا، ولكنهم فازوا بوسام ﴿ وَيُؤْثِرُونَ ﴾.

من الذي يريد أن يكون من المفلحين، والفوز العظيم يوم الدين؟ يقتحم هذه العقبة:
﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾!

يحاول أن يُخرج نفسه ويعالج نفسه من مرض الشُحُّ والبخل .. لأنه لا يوجد مؤمنٍ بخيل، قال ﷺ:

{ لا يَجْتَمِعُ الشُّحُّ، وَالإِيمَانُ فِي قَلْبِ مُؤْمِنٍ أَبَدًا } [13]

لأنه كيف يكون مؤمناً ويكون شحيحاً؟! ... الشحيح لا يكون عنده ثقةً في الله تعالى لأن الله قال:

{ يَا ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ } [14]

فلكي يكون المؤمن من المفلحين : يجب أن يتحلَّى بخُلق الجود والإكرام والإنفاق: على فقراء المسلمين، وعلى المستضعفين، وعلى المساكين، وعلى اليتامى، وعلى كل من يستحق الإنفاق من بين المسلمين أجمعين ... حتى يجتاز عقبة الشُحِّ ويكون من الصادقين.

---

١٣ معجم الطبراني ومسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه
١٤ البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

التابعون

الصِنف الثالث والذين من بعدهم إلى يوم الدين، والذين نسأل الله أن نكون منهم أجمعين: .... ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ ﴾ :

من هم؟ كل أهل الإسلام السابقين من عصره إلى يوم القيامة.

ما الأدب الواجب عليهم نحو إخوانهم الذين سبقوهم بالإيمان أو عاصروهم وكانوا على طاعة الرحمن ﷻ؟ أدبنا الله بالواجب نحو ذلك فقال:

﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ﴾ : وهذا أولا ... ثم:

﴿ وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾ ! فإذا ذُكر أمامه رجلٌ من السابقين إن كان من الصحابة الأولين، يقول كما قال عنهم رب العالمين:

﴿ لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ (الفتح

فيقول: ق م، ومن الذي أثبت ذلك؟ الله ﷻ في كتابه الكريم، وإن كان سابقاً لعصره يقول: غفر الله له!، ولذلك كان العلماء السابقون والطلاب المهذبون مؤدبين، يقول مثلاً: قال الشيخ الغزالي غفر الله له، أو قال الشيخ بن تيمية رحمة الله عليه، أو قال الشيخ فلان أثابه الله، فلا بد أن يأتي بعد الكلام عنه بدعوة له، لأن الله أمرنا أن ندعو له طالما سبقنا بالإيمان، فنحن مطالبون بالدعاء له إما بالمغفرة، أو ندعو له بالرحمة، أو ندعو بأن يثيبه الله ﷻ، فندعو له دعوةً طيبة ولا نذكر إلا محاسنه، كما قال ﷺ:

{ اذْكُرُوا مَحَاسِنَ مَوْتَاكُمْ }[15]

يقولون: عمل كذا وكذا!! وما شأننا بذلك؟! لقد أفضى إلى الله ﷻ وسيُسائله عن ذلك، وما شأني بذلك وأنا لم أطلع على نيته، ولا أعرف سريرته؟!! والله ﷻ هو الذي سيحاسبه لأنه: **﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾** (١٩غافر).

والأدب الواجب نحو المعاصرين لنا: **﴿ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلاًّ ﴾**! والغلُّ شجرة كبيرة، فلا يكون هناك غل ولا كُره ولا حقد ولا حسد ولا بُغض للذين نعيش معهم في زماننا: **﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾**!

---

١٥ جامع الترمذي وأبي داود عن ابن عمر رضي الله عنهما

ومن ذوق القرآن العالي أنه قبل أن يقدم هذه الآداب طلب من المؤمن أن يطلب من الله أولاً أن يغفر له، لأنه لا يستطيع أن يقوم بهذه الحقوق كما ينبغي ... فيطلب من الله أن يغفر له في القيام بحقوق السابقين، أو القيام بحقوق المعاصرين، فيبدأ أولاً ويقول: ربنا اغفر لنا تقصيرنا وقصورنا وجهلنا وغفلتنا وبعدها: ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من عباده السابقين، وأن ينظمنا في ركب عباده المفلحين، وأن يعلمنا الأدب الراقي مع إخواننا السابقين والمعاصرين من المؤمنين أجمعين، وأن لا يجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا، وأن يملأ قلوبنا بمحبته، ومحبة حبيبه ومصطفاه، ومحبة كتاب الله، ومحبة كل عباده المتقربين إلى حضرة الله .. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡ ﴾(٣٦التوبة)

٣. أسرار التقويم الهجري

أسرار التقويم الهجري[1]

نحن ندعوا كل المسلمين إلى الاحتفاء بأول العام الهجري، لأن العام الهجري أو العام القمري - أيهما شئت - هو العام الذي اختاره رب العالمين وربط به شرعه في كل وقت وحين: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾ (التوبة) هذا الكلام في العام الهجري، فكل توقيتاتك وكل حساباتك في تشريعاتك مرتبطة بهذا العام، فالصيام مرتبط بشهر من أشهر التقويم الهجري وهو شهر رمضان:

{ صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِه }[2]

والزكاة إذا كانت زكاة الأموال أو زكاة الذهب أو زكاة عروض التجارة التي تجب مرة كل عام هجري، فيجب حسابها عليه لا على العام الميلادي، لأنى لو حسبتها على العام الميلادي سأنكسر عند الله ﷻ وأُصبح مديوناً، لأن العام الهجري ثلاثمائة وخمسة وخمسون يوماً، والعام الميلادي ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً وربع، فإذا حسبت زكاتي على العام الميلادي فإن كل عدة سنين سينكسر علىَّ زكاة سنة لله لم أؤدها.

---

[1] المعادى – الخميس ٢٦من ذى الحجة ١٤٣١هـ ٢/١٢/٢٠١٠م
[2] البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

ومن حرص الله على العام الهجري أن أهل الكهف كانوا من أتباع سيدنا عيسى - أي التقويم الميلادي - فلما تَحَدَّث الله عنهم ماذا قال؟ ﴿ وَلَبِثُواْ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ ﴾ وهذا بالتقويم الميلادي، ثم ذكر الهجري: ﴿ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴾ (الكهف٢٥) حتى نعتز بتقويمنا الهجري، لأننا نذكر الميلادي فقط!! لكن لا بد من الإثنين معاً، وبالحسابات الدقيقة فإن ثلاثمائة سنة شمسية هي ثلاثمائة وتسعة هجرية، وهذا إعجاز لرب البرية في الآيات القرآنية.

عاش رسول الله ﷺ ثلاث وستون سنة هجرية أى حوالى ستون سنة ميلادية، فكل الحسابات في شرعنا بالتقويم الهجري لأنه التقويم الإلهي الذي ارتبطت به كل الكائنات، فالكائنات غير مرتبطة بالشمس بل بالقمر، والحج: ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ﴾ (البقرة١٩٧) وهى شوال وذو القعدة وذو الحجة، ويوم عرفة يوم التاسع من ذى الحجة ولا يجوز أن يتغير، لأن هذا تقويم الله ﷻ.

جعل الله ﷻ كل هذه التوقيتات بالهجري حتى يمر علينا رمضان كل ثلاث وثلاثون سنة في كل الأزمان، في الحر والبرد والخريف، والحج يأتي في كل الأزمان، لأن الإسلام دين صالح لكل زمان ومكان، فيكون الجو المناسب لأهل أي زمان ومكان يذهبون فيه لحج بيت الله الحرام، لكن لو كان في الأيام الميلادية فإنه سيكون ميعاداً ثابتاً جامداً، وسيكون رحيماً بقوم وقاسياً على آخرين ....

لكن شرع الله رحمة تامة للخلق أجمعين.

جعل الله ﷻ حتى تشريعات النساء بالتقويم الهجري، فدورة النساء تمشي مع دورة القمر، إما ثماني وعشرون يوماً، أو تسع وعشرون، أو ثلاثون، ولا تزيد على ذلك، ولذلك من ضمن الأسرار التي نذكرها لمن يريدون الإنجاب أو تأخر عنهم الإنجاب، فنقول لهم: احسب أول يوم تجيئ فيه الدورة للسيدة ثم احسب حتى ليلة أربع عشرة حيث تكون البويضة في أكمل حالاتها وأتم هالتها كالقمر، وتكون جاهزة للتلقيح، وللاحتياط يتم الحساب لليالي الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر حيث تكون البويضة جاهزة للتخصيب في هذه الأيام، حتى من يريد ألا يستخدم وسائل لمنع للحمل نقول له تجنب هذه الأيام فلا يحدث حمل[3] ... أسرار ربانية في التشريعات الإلهية ..

ثم يأتي بعد ذلك عدة النساء، وحمل النساء، وولادة النساء كله على التقويم الهجري: ﴿ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ﴾ (الأحقاف) الحمل تسعة أشهر هجرية: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ (البقرة) بالتقويم الهجري، وعدة النساء إذا كانت عدة طلاق: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾ (البقرة)

٣ على من ترغب باتباع تلك الوسيلة مراجعة الطبيب المختص لأن عادات النساء تختلف وتتباين ولابد للمرأة من أن تستبين طريقة الحساب بالأعداد التى تتناسب معها على التحديد.

قروء وليست أشهر، بعض الأئمة أخذوها على أنها ثلاث حيضات، وبعض الأئمة أخذوها على أنها ثلاثة طُهر، المهم أن تأتيها الدورة ثلاث مرات، وإذا كانت عدة وفاة: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ بالهجري وليس بالميلادي، فكل حسابات الله ﷻ حسابات قمرية لأن فيه أسرار إلهية لا يستطيع البشر اكتشافها إلا ما أباح المولى ﷻ لهم بشأنها.

من ضمن الأسرار التي أباح لنا بها المولى: ما سر احتفاظ البحار بمياهها لا تأسن ولا تتعفن ولا تتغير؟ الموج، وما سبب الموج؟ المد والجزر للقمر، فالقمر يصنع المد والجزر فيتم عمل الأمواج التي تخلط مياه البحار مع الأملاح التي وضعها فيها الواحد القهار، فتُحفظ هذه المياه إلى ما شاء الله لا تتعطن ولا تأسن ولا تتعفن رغم ما يُلقى فيها مما لا حصر له من الأشياء القابلة للعفونة وغير ذلك، لكن هو الطهور ماؤه الحِل ميتته كما قال فيه صلوات ربى وتسليماته عليه:

{ هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ الْحِلُّ مَيْتَتُهُ }[٤]

ربما بعض علماء النبات ما زالوا يجرون بعض التجارب في هذا الأمر، لكن الفلاحين اكتشفوها بالسليقة والفطرة، اكتشفوا أن الثمار تنمو وتزيد في الليالي القمرية، وتجمد وتثبت في الليالي المظلمة، ما علاقة القمر بإطالة هذا الثمر؟!! سرٌّ لا يعرفه إلا من اصطفاه الله ﷻ، حتى أن بعض علماء الطب حالياً قالوا أن ما يفعله القمر من مد وجزر في البحار يعمله في ضغط الإنسان، فالضغط فيه مد وجزر بسبب الدورة الدموية، من الذي يحركها؟ القمر.

---

٤ سنن أبي داود والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه

فالسنين الهجرية فيها أسرار ربانية لا بد أن نبينها ونكشفها للمسلمين، الذين أدارو ظهرهم لهذه الأشهر وركزوا في الأشهر الميلادية!! لكن الأشهر الهجرية عليها مدار حياتنا التشريعية ...

العمر للإنسان لا يحسبه الرحمن بالأيام ولا بالليالي ولا بالشهور ولا بالسنين: ﴿ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ۝١١٢ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ (المؤمنون) لأن هناك أيام لله غير أيامنا، فأيامنا حسب شروق الشمس، من السبت إلى الجمعة، لكن أيام الله: ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ (47الحج) ويوم الجمعة بخمسين ألف سنة، ويوم الجمعة هو يوم القيامة لأنه ستقوم فيه القيامة كما أخبر النبى ﷺ: ﴿ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ (4المعارج) ومقداره أي كما تحسبون أنتم، أما حسبته الصادقة الحقيقية لا يعلمها إلا الله ﷻ، فالله ﷻ لا يحسب أيامنا وأعمارنا بذلك وإنما يحسبها بالأنفاس التي تتردد في داخل الإنسان، نفَس داخل ونفَس خارج، والنفَس الأخير من الجائز أن يدخل ولا يخرج أو يخرج ولا يرجع.

كم عدد أنفاس الإنسان؟

أهل علوم المكاشفة قالوا أن الإنسان يتنفس في اليوم والليلة أربعة وعشرون ألف نفَس، ومن حكمة الله ﷻ أنه جعل حروف (لا إله إلا الله) اثنى عشر، وحروف (محمد رسول الله) اثنى عشر، فمن قال (لا إله إلا الله محمد رسول الله) غفر الله ﷻ له ذنوب الأربع والعشرين ساعة ....

ولذلك قال فيها ﷺ:

{ مَا قَالَ عَبْدٌ : لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ فِي سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ إِلا طُمِسَتْ مَا فِي صَحِيفَتِهِ مِنَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى يَسْكُنَ إِلَى مِثْلِهَا مِنَ الْحَسَنَاتِ } [٥]

إذا قال العبد (لا إله إلا الله) ذهبت إلى صحيفته فمحت كل سيئة تقابلها حتى تجد حسنة تقف بجوارها.

ومع ذلك فإن الإنسان المسلم يعلم علم اليقين أن له سجلاً يومياً يبدأ من اليقظة إلى المنام، وله سجل سنوي يعلم علم اليقين أنه يبدأ مع بداية العام الهجري، فلا بد للمؤمن من وقفة مع السجل الماضي حتى يُعرج إلى الله ﷻ خالياً من الهفوات والمخالفات والزلات والمعاصي والذنوب ....

٥ مسند أبي يعلي الموصلي واتحاف الخير المهرة للبوصيري عن أنس رضي الله عنه

ولذلك كان سلفنا الصالح يجعلون آخر أيام العام في التوبة والاستغفار والندم وفعل الأعمال الصالحة التي تستوجب مغفرة الغفار ﷻ، ويجعلون بداية العام استفتاح السجل الجديد لما يُستقبل من الأيام، فيفتتحونه بالإكثار من البسملة، ويفتتحونه بالصيام ليكون أول أيام العام صياماً، خاصة أن الحبيب دعا إلى ذلك فقال ﷺ:

{ أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمُ }[٦]

ويبدأونه بتلاوة خير الكلام، فيقرأون ما تيسر من كتاب الله، حتى تكون بداية الصحيفة طيبة، ولو كانت البداية طيبة والخاتمة طيبة فإن الله يتغاضى عما بينهما، قال الله تعالى في حديثه القدسي:

{ ابْنَ آدَمَ ، اذْكُرْنِي بَعْدَ الْفَجْرِ وَبَعْدَ الْعَصْرِ سَاعَةً أَكْفِكَ مَا بَيْنَهُمَا }[٧]

إذاً يجب علينا ألا يمر بداية العام كما تمر بقية الأيام:

مع أن أهل الكفر اللئام يجعلون لباطلهم شكلاً وهيئة كما نرى !!

وكثير من المسلمين يشاركونهم في احتفالاتهم!!!

إذاً يجب علينا أجمعين أن نُحي هذه الذكرى، ويا بشرانا إذا فعلنا ذلك لأننا سندخل في قول الحبيب ﷺ:

---

٦ صحيح مسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه
٧ الزهد لابن حنبل وحلية الأولياء لأبي نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه

{ مَنْ تَمَسَّكَ بِسُنَّتِي عِنْدَ فَسَادِ أُمَّتِي فَلَهُ أَجْرُ مِائَةِ شَهِيدٍ } [8]

فيجب أن نُعَرِّف أهلنا وجيراننا ومن يصلون معنا في المسجد بفضل العام الهجري، نُعرفهم بأن له شأنه، وله قيمته، وله الموالاة التي ينبغي أن تكون منا نحو أنفسنا ونحو حضرة الله جل في علاه.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

---

8 الزهد الكبير للبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما

الفصل الثاني: الإسراء والمعراج

آية الإسراء

آيات المعراج


بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ
﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ (الإسراء)

٤. آية الإسراء

خبر الإسراء في كتاب الله

تنزيه الله ﷻ

الإسراء بالروح والجسم

بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى

مشاهد الرحلة

أسرار الإسراء والمعراج

٤. آية الإسراء[1]

بسم الله الرحمن الرحيم – الحمد لله الذي منَّ علينا بفضله وعطاياه، وأكرمنا أولاً بخير دين أنزله على خير خلق الله، وزاد في إكرامنا فجعلنا من أمة حبيبه ومصطفاه، ومنَّ علينا في هذا الزمن الكريم فدلَّنا بفضله ومنِّه على الوارث المحمدي لسيدنا رسول الله، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سر كل عناية، ومصدر كل ولاية، وكنز كل رعاية، ألف البداية وياء النهاية، وسر الإله ﷻ لجميع أهل العناية؛ سيدنا محمد وآله وصحبه وأتباعه والمُسَلِّمين لهديه، والمستضيئين بنوره، واجعلنا منهم أجمعين ... آمين يارب العالمين.

خبر الإسراء في كتاب الله

عندما يقرأ الإنسان خبر الإسراء في كتاب الله يأخذه العجب والاندهاش لدقة كلام من يقول للشيء كن فيكون .... فإن الله ﷻ ساق كل أخبار هذه الرحلة النبوية في كل مراحلها الأرضية والملكوتية والقدسية، وردَّ على المعترضين، ودللَّ بدليل ليس بعده ظن ولا وهم ولا شبهة على سيد الأولين والآخرين ﷺ في كلمات معدودات ... آية واحدة من كتاب ربنا ﷻ إذا أصغينا إليها بآذان القلوب كشف الله ﷻ عنَّا الران وأشهدنا ما فيها من سواطع الغيوب ومن مقامات عليِّة أقام بها الحبيب المحبوب ﷺ.

[1] مسجد الإمام أبو العزائم ٢٤ من رجب ١٤٣٦هـ ٢٠١٥/٥/١٣م

تنزيه الله ﷻ

ردَّ الله ﷻ عليهم رداً شديدً ليس بعده يقين ولا برهان بآية كلام الله ﷻ في القرآن، بدأ الآيات بكلمة (سبحان) يعني نزِّه الله ﷻ عن قيود الزمان، ونزِّه الله ﷻ عن حيطة المكان، واعلم أن قدرة الله ﷻ لا يحيزها زمان ولا يحيط بها مكان، فما دام الذي أسرى هو الله فلا حرج على فضل الله جل في علاه.

ولذا وردت الروايات الصحيحة عن رسول الله ﷺ أنه عندما حدَّث القوم عن هذه الحادثة وكان كما قال فيه ربه ﷻ: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ (النجم)

وكان في هذه الليلة في بيت الله الحرام، أو في الحجر، أو في بيت ابنة عمه أم هانيء على اختلاف الروايات، المهم أنه كان في حيطة بيت الله الحرام، وفي الصباح جلس بجوار الكعبة، وجاءه أبو جهل وقال:

{ هَلْ كَانَ مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : نَعَمْ، قَالَ: مَا هُوَ؟ قَالَ: إِنَّهُ أُسْرِيَ بِي اللَّيْلَةَ، قَالَ: إِلَى أَيْنَ؟، قَالَ: إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، قَالَ: ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْنَا؟!، قَالَ: نَعَمْ }[٢]

وانظر إلى دقة اللفظ النبوي لم يقل (أسريت) ولكن قال: (أُسري بي) نسب الإسراء إلى ذات الله ﷻ، وما دام الذي تولى الإسراء هو الله، والذي تولى المعراج هو الله فلا حرج على فضل الله ﷻ لأن أمره بين الكاف والنون

٢ مسند أحمد عن ابن عباس رضي الله عنه

.

الإسراء بالروح والجسم

توهم البعض أن الإسراء كان رحلة منامية، ولو كان رحلة منامية هل كان سيعترض عليه الكافرين؟! ما المانع لأي إنسان أياً كان أن يبيت في فراشه وتذهب روحه إلى أي بقعة في الأرض، أو إلى أي موضع في الملأ الأعلى، وجسده كما هو في مكانه لم يتحرك، وهذا شيء ليس بعجيب.

ولكن العجب العجاب أن يذهب النبي ﷺ بجسده وروحه، ويذهب إلى بيت الله المقدس، ويجمع الله النبيين والمرسلين، وكانوا كما رُوي عن أبي ذر رضي الله عنه عندما قال:

{ كَمِ النَّبِيُّونَ؟ قَالَ : مِائَةُ أَلْفِ نَبِيٍّ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ نَبِيٍّ ، قُلْتُ : كَمِ الْمُرْسَلُونَ مِنْهُمْ؟ قَالَ : ثَلاثُ مِائَةٍ ، وَثَلاثَةَ عَشَرَ } [3]

جُمعوا له، وصافحوه، وحادثوه، وقال الله ﷻ له في شأنهم: ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ ﴾ (45الزخرف) فسألهم عن رسالات الله التي كلفهم بها، وعن إجابات قومهم، ثم تقدم الأمين جبريل وأمسك بيده وقال: يا رسول الله تقدم فصلِّ بهم فأنت الإمام لهم:

---

[3] سنن البيهقي والحاكم في المستدرك

صُفُّوا وراءك إذ أنت الإمام لهم قد بايعوك على صدق المتابعة
أبوهُمُ أنت يا سرَّ الوجود ولا فخر وسرِّهم قبل المعاينة

ثم صعد إلى السماوات في رحلة المعراج، وكما أخبر ﷺ بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام، وبين كل سماء وسماء مسيرة خمسمائة عام، وعرض كل سماء مسيرة خمسمائة عام، سافر كل ذلك، ثم إلى سدرة المنتهى، ثم إلى الجنة وما فيها، ثم إلى العرش، ثم إلى العوالم القدسية، ثم رجع وفراشه الذي كان نائماً عليه لم يبرد بعد؛ ما زال ساخناً عندما كان نائماً صلوات ربي وتسليماته عليه.

هذا هو موضع العجب، أزال الله ﷻ ذلك كله في هذه الآيات الكريمة التي افتتح بها سورة الإسراء، فبيَّن أن الإسراء أولاً بالروح والجسد، لأنه قال: ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾ والإمام أبو العزائم ؓ يقول في ذلك:

لفظ عبد يقتضي الجسم الذي فيه روح بل وعقل والخيال

إذا كان الإنسان روح فقط فنقول (روح فلان) وإذا كان جسداً بلا روح فنقول (جثة فلان) ولكن لا نطلق كلمة عبد إلا على جسم حي بروح حلَّت فيه من خالقه وباريه ﷻ ... فكلمة عبد تقتضي أنه كان ﷺ بروحه وبجسمه، وهذا هو الإعجاز الرباني، ولذلك فإن الإسراء معجزة ربانية خالدة خصَّ بها الله ﷻ خير البرية سيدنا محمد ﷺ.

هذه الآية بيَّن الله ﷻ فيها بدايات رحلة الإسراء ونهاياتها وكل المرائي التي رآها الحبيب ﷺ فيها، فالإسراء الذي تتحدث عنه الآية حددته من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.

بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى□

﴿ ٱلَّذِى بَـٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ ﴾ واحتفظ الله ﷻ للمسجد الحرام بقدره، لأن المسجد الأقصى

بارك الله حوله بركة حسية في الزرع الذي حوله، وبركة معنوية لأن حوله مقامات الانبياء والمرسلين السابقين، موضع ولادتهم، وموضع وفاتهم، وموضع وضع أجسامهم، وموضع تنزل الوحي الإلهي عليهم ... هذه بركات معنوية جعلها الله ﷻ حول المسجد الأقصى أو بيت الله ﷻ المقدس.

لكن المسجد الحرام قال الله تعالى فيه: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا ﴾ (آل عمران) هو نفسه مبارك، فليست البركة حوله بل البركة فيه لأنه بيت الله ﷻ الأعظم الذي جعله الله ﷻ قبلة لأمة الحبيب المصطفى ﷺ.

مشاهد الرحلة

لماذا كانت هذه الرحلة؟ ﴿ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآ ﴾ لم يقل الله (ليرى من آياتنا) وإنما نسب الإراءة إلى الله حتى لا يعترض معترض، مَن الذي كشف له الحجاب وأراه؟ الله جل في علاه، وما دام الله ﷻ هو الذي أراه فلا حرج على فضل الله.

﴿ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآ ﴾ آيات في الملك، وآيات في الملكوت، وآيات في الجنة، وآيات في القدس الأعلى، وقد فصَّل شيخنا الشيخ محمد على سلامة هذه الآيات فقال: أن يُشْهِدَ الله رسوله ﷺ الآيات الكونية والآيات الملكوتية والآيات القدسية، وأن يكاشفه بهذه الآيات في مواقعها وعلى طبيعتها، حتى يعاينها بكل ما فيها وما يحيط بها من معان وأسرار وغيوب.

وكان من الممكن أن يرى رسول الله كل شيء وهو في مكانه، ولكن أراد الله أن يشرف به عوالم الملك والملكوت وحضرات القدس الأعلى، وأيضا ليسري عنه ﷺ ما قد ألمَّ به من أحزان وآلام بسبب تكذيب قومه وجحودهم له.

والحكمة الأعلى من كل ذلك هي أن يريه الله آياته الذاتية الكبرى، وهذه الآيات القدسية الكبرى وهي رؤية حضرة الذات الأحدية منزهة عن الكم والكيف والحيثية بجميع جمالاتها وجلالاتها وكمالاتها وأسمائها وصفاتها وغيوبها وأنوارها وبهائها وتجلياتها، وهذا سر قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ ﴾ (النجم)

وسر قوله تعالى: ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨ ﴾ (النجم)

والآيات الكونية التي رآها ﷺ في إسراءه هي دار هجرته، وأرض مدين، وقبر موسى عليه السلام، وبيت لحم مكان مولد المسيح عليه السلام، والمسجد الأقصى، والصخرة، والآيات الملكوتية مثل الجنة والنار، وعالم السموات، والرسل والأنبياء، وأحوال المكذبين والكافرين، وكذلك رؤيته للملائكة وعمار السموات، والحديث إليهم، وسدرة المنتهى، والبيت المعمور، وكل ما أخبرنا به رسول الله ﷺ من غيوب هذه الرحلة، والله سبحانه هو الذي أراه هذه الآيات بقدرته وبحكمته كما قال تعالى: ﴿ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾.

آيات لاعد لها ولا حد لها ذكرها الله ﷻ وأجملها في قوله: ﴿ مِنۡ ءَايَٰتِنَآ ﴾ لأنه ﷺ جمَّله مولاه بصفتين كريمتين من أوصاف الله: ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ فإذا كان الله ﷻ إذا أكرم عبداً لصلاحه وتقواه يهبه كما قال ﷺ في الحديث القدسي الذي يرويه عن حضرة الله:

{ مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمِعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي عَلَيْهَا، وَلَئِنْ سَأَلَنِي عَبْدِي لأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ } [٤] □

إذا كان العبد المؤمن إذا اتقى الله جمَّله الله ﷻ بسمعه فيسمع بالله ويُبصر بالله، فما بالكم بحبيب الله ومصطفاه ﷺ؟!! فنيَ عن نفسه، وفنيَ عن حسه، وفنيَ عن كونه، وفنيَ عن كل شيء عُرض عليه في هذه الليلة، حتى أن الله ﷻ كلما كاشفه بجمال نزَّه ذاته الشريفة عن النظر إلى هذا الجمال، لأنه لا يريد إلا النظر إلى الجمال الكلي الإلهي، ولذا قال فيه ربه ﷻ: ﴿ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ (١٧النجم).

---

٤ صحيح البخاري وابن حبان عن أبي هريرة ﷺ

لم يلتفت إلى عالم الملكوت، وإلى عالم الجنان، ولا إلى أي عالم من عوالم الرحمن، وإنما كان شغله كله بمولاه؛ لا يريد إلا أن يتمتع ويحظى بمولاه جل في علاه، فجعله الله ﷻ مجملاً بأوصافه الإلهية فقال في شأنه: ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ﴾ لأن الله تجلى عليه بأوصافه

﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ السميع بسمع الله، والبصير ببصر الله لما كاشفه الله ﷻ به من كبرياء الله وجمال الله وجلال الله وكمال الله جل في علاه.

هذه الرحلة المباركة الإلهية يتسائل البعض: وهل الله ﷻ كان فوق السماوات حتى يذهب إليه الحبيب المصطفى ويراه؟ حاشا لله ﷻ، بيَّن هذه الحكمة إمامنا أبو العزائم ﵁ فقال:

وحكمة إسراء الحبيب إغاثة	لعالمه الأعلى ورحمة حنان
ولم يك رب العرش فوق سماءه	تنزه عن كيفٍ وعن برهان
ولكن لإظهار الجمال لأهله	من العالم الأعلى ونيل أمان

أسرار الإسراء والمعراج

إذاً لِمَ كان الإسراء والمعراج؟

والرسول ﷺ كان قربه من ربه:

وهو على الفرش كقربه من ذاته ﷻ وهو فوق العرش!!!، فكما أنه فوق العرش لم يغب عن ربه طرفة عين ولا أقل، فهو على الثرى دوماً لم يغب عن مولاه ﷻ طرفة عين ولا أقل، بل كان دائماً وأبداً لا تتمتع عيونه إلا بجمال الله، حتى أنه عندما أحب شيئاً من الدنيا كشف لنا أن الذي حببه في ذلك هو مولاه، لأنه ليس في قلبه موضع للحب غير الله جل في علاه، فقال ﷺ:

{ إِنَّمَا حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ }[٥]

لم يقل أحببت ولكن قال (حُبِّب إليَّ) وقال: (من دنياكم) لأنه ﷺ لا دنيا ولا آخرة تجعله يغيب عن الله، وإنما شغله في كل أنفاسه بحضرة الله، ولذا قال له مولاه: ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ (الطور) فكان بأعين الله على الدوام لأنه كان قلبه ليس فيه موضع سُمُّ الخياط لغير الواحد الأحد الفرد الصمد ﷻ.

فكانت حكمة الإسراء أولاً: ليجدد للأنبياء والمرسلين العهد الذي أخذه عليهم في أزله القديم، فإن الله ﷻ عندما أخذ العهد على الأنبياء والمرسلين وهم أرواح نورانية؛ خلق الله ﷻ أولاً روح الحبيب المصطفى ﷺ،

---

٥ سنن البيهقي عن أنس ﷺ

ثم خلق من روحه أرواح النبيين والمرسلين، وأخذ له البيعة عليهم، وهم أنبياء قبل تكليفهم برسالات السماء، وقال الله تعالى في ذلك: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾

لم يقل (المرسلين) لأنهم لم يكونوا قد أرسلوا إلى قومهم بعد، وإنما كانوا في عالم النبوة، وعالم النبوة قبل الخلق يقول فيه ﷺ:

{ كُنْتُ أَوَّلَ النَّبِيِّينَ فِي الْخَلْقِ وَآخِرَهُمْ فِي الْبَعْثِ }[٦]

ويقول ﷺ:

{ إِنِّي عِنْدَ اللَّهِ لَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ }[٧]

أي لم يُخلق جسده بعد، ولكن كان نبياً وكانوا أنبياء، فأخذ الله ﷻ البيعة على النبيين أجمعين وهم أرواح مجردة قبل ملامسة الهياكل الإنسانية والأجساد الطينية ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ ﴾

والرسول لا يكون رسولاً إلا بعد تكليفه من الله ﷻ برسالة إلى أقوام يبلغونهم رسالات الله: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ يبلغونها لأقوام بأمر من الله جل في علاه،

فقال الله لهم: ﴿ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ ﴾.

---

٦ مسند الشاميين للطبري ودلائل النبوة لأبي نعيم عن أبي هريرة ﵁
٧ مسند البزار والحاكم في المستدرك عن العرباض بن سارية ﵁

فأخذ عليهم هذه البيعة: ﴿ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ (81آل عمران).

أراد الله ﷻ أن يجدد لهم هذه البيعة بعد بعثة رسول الله ﷺ ليكتمل المشهد، فجمعهم الله ﷻ كلهم في المسجد الأقصى، منهم من قصَّ الله أخبارهم في القرآن ومنهم من لم يقصصهم: ﴿ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ (78غافر) جمع الله المائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبي ورسول، وصُفُّوا - كما قالت بعض الروايات –ثلاثة صفوف للمرسلين، وأربعة صفوف للنبيين، وصلَّى بهم رسول الله ﷺ لتثبت إمامته لهم في الدنيا؛ لأنه إمامهم في الدنيا والآخرة، ولنعلم جميعاً علم اليقين أن الدين عند الله دين واحد: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ (19آل عمران) وأن النبيين والمرسلين السابقين أرسلوا بدين الإسلام: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (132البقرة).

أما المصطلحات التي اطلقت فهم الذين أطلقوها على أنفسهم، وليست من شريعة الله ولا من دين الله: ﴿ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ﴾ ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَـٰرَىٰٓ ﴾ هم الذين قالوا، لكن الدين عند الله واحد وهو الإسلام.

وكان الرسل السابقون نواباً عن حضرة المصطفى ﷺ في تبليغ الإسلام لأممهم على حسب ما تتحمله قلوبهم وعقولهم، فلمَّا اكتملت القلوب، وتثقفت العقول؛ اكتمل الدين، ونزل الحبيب المصطفى معلناً كلام رب العالمين: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾ ولذلك يقول الإمام أبو العزائم رضي الله عنه:

الرسل من قبل الحبيب محمد … نوابه وهو الحبيب الهادي
موسى وعيسى والخليل وغيرهم … يرجون منه نظرة بوداد
رغبوا يكونوا أمة لمحمد … وبحبه فازوا بكل مراد
وبمحكم القرآن عاهدهم له … أن يؤمنوا بسراجه الوقاد

فكان الإسراء لتجديد العهد للنبيين والمرسلين ليبايعوا رسول الله ﷺ بعد تكليفه بالرسالة، لأن الله عز وجل أمرهم أن يكونوا به مؤمنين وله متبعين ﴿ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ﴾ ونصرهم لحضرته أن بيَّنوا أوصافه، وأوصاف دينه، وأوصاف أصحابه لأقوامهم، وطلبوا منهم إذا حضروا زمانه أن يؤمنوا به، وأن يعاونوه ويساعدوه على إبلاغ رسالات الله صلوات ربي وتسليماته عليهم.

الأمر الثاني في هذه الرحلة العظيمة المباركة أن الله ﷻ أرسل النبي ﷺ كافة للناس بشيراً ونذيراً، كان كل نبي يُرسل لقومه أو لأمته، والنبي ﷺ مسك الختام هو الذي أُرسل للإنس وللجن وللملائكة وللمقربين ولحملة العرش ولكل ما سوى الله ﷻ، فكلهم مطالب بأن يُصدِّق في النبوة رسول الله ﷺ، ويأخذ نصيبه من رحمته.

فكان الملأ الأعلى في شوق للتصديق برسول الله، وإلى تجديد البيعة لحضرته، وأن يتمتعوا بالنظر إليه، وأن يحظو بحضرته ﷺ، فجاءه الأمين جبريل وقال: يا محمد شرِّف بقدميك السماء كما شرَّفت بها الأرض، فالرسول ﷺ كان هو وآله شرفاً لأهل الأرض، ولذلك يقول إمامنا أبو العزائم رضي الله عنه:

وي عجيب صارت الأرض سما والسما قد سُخِّرت بالمنزل
أيها الأرض بِمن نلت العلى؟ بالحبيب محمد وبآله بالأمثل

فأهل السماء يفتخرون بالنظر إلى النور الذي يشع في عالم الأرض:

وأقوى هذا النور كان الذي وصفه الله وقال في شأنه: ﴿ **وَسِرَاجًا مُّنِيرًا** ﴾ [illegible]

وهذا السراج المنير جعل الله نوره :

- في قلوب المتقين ...

-

- وفي قلوب آل البيت الطاهرين، ينظروا إلى الملأ الأعلى فيهتدوا به في كل وقت وحين، فهم النجوم لأهل السماء كما أن النجوم هي التي تضيء لنا عالم الأرض لأهل الأرض.

فأراد أهل السماء أن يحظوا برسول الله صلوات ربي وتسليماته عليه فكانت هذه البعثة النورانية، ليتمتع به كل العوالم العلوية !!!

ولذلك يحكي سيدي محي الدين بن العربي ﷺ في إحدى إشراقاته أن الرسول ﷺ لما وصل إلى العرش تمسك العرش بأذياله وناداه بلسان حاله وقال:

- يا محمد أنت المرسل رحمة للعالمين، ولا بد لي من نصيب من هذه الرحمة، ونصيبي يا حبيبي أن تشهد لي بالبراءة مما تقوَّله أهل الزور عليَّ، ونسبه أهل الغرور إليَّ، زعموا أني أسع من لا مثيل له، وأحيط بمن لا كيفية له ...
- يا محمد إذا كان الرحمن اسمه والاستواء صفته، وعزته وجلاله لست بالقريب منه وصلاً، ولا بالبعيد عنه فصلاً، خلقني فجعلني أعظم مخلوقاته، فكنت أشدهم له هيبة، فكتب على قائمتي (لا إله إلا الله) فزدت لهيبة اسمه ارتعاداً وارتعاشاً، فكتب (محمد رسول الله) فسكن لذلك قلقي وهدأ لذلك روعي، فإذا كانت هذه بركة اسمك عليَّ، فكيف إذا وقع جميل نظرك إليَّ؟!

فقال له ﷺ: أيها العرش إني مشغول عنك لا تُكدر علىَّ صفوتي، ولا تشوش علىَّ خلوتي ..... فكان ﷺ كما قال إمامنا:

وحكمة إسراء الحبيب إغاثة　　　لعالمه الأعلى ورحمة حنان

يُعطي لكل حقيقة حقها من رحمة الله التي أعطاها له الله، والتي يقول فيها:

{ وَاللَّهُ الْمُعْطِي وَأَنَا الْقَاسِمُ }[8]

والإسراء والمعراج فيه من الأسرار ما أشار الله ﷻ به للأخيار في آية الإسراء في كلمة ﴿ أَسْرَىٰ ﴾ فإن الألف هي ألف البداية، والياء هي ياء النهاية، وما بينهما (سر) لا يعلمه إلا أهل العناية.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

٨ البخاري ومسلم عن معاوية ﷺ



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ ﴾ (النجم)

٥. آيات المعراج

القَسَم بالنجم

دفاع الله عن نبيه

شديد القُوى

الأفق الأعلى

دنا فتدلى

حقيقة الرؤية

٥. آيات المعراج[1]

بسم الله الرحمن الرحيم – الحمد لله الذي تعالى في نوره وجماله وقدره وبهاه، فلا يصل إليه واصل إلا بنور منه ﷻ له أعطاه، ولا ينكشف لقلب حجاب إلا إذا مولاه ﷻ رقَّاه وحباه وأدناه، سبحانه سبحانه واحد في أحديته، أحد في نزاهته، تعالى في علو قدرته، ليس له كفء ولا مثيل ولا نظير ولا مشير: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ (الشورى١١)، والصلاة والسلام على الحبيب الأكرم، والسيد السند الأعظم، الذي أعلى قدره مولاه، وتولاه في كل أحواله في الدنيا والآخرة وفي مشاهد قربه وعلاه .. سيدنا محمد ..نجم الهداية الربانية، وعَلَم التنزلات القدسية، وسر كل الوحي الإلهي من الله ﷻ إلى عالم البشرية، صلى الله عليه وعلى آله أهل الخصوصية، وأصحابه أهل مقامات اللدنية، وأتباعه الذين فازوا به بالعندية، وكل من تابعهم على هذه الأحوال التقية النقية، واجعلنا معهم ومنهم أجمعين ... آمين آمين يارب العالمين.

أخبر الله ﷻ في قرآنه، وبيَّن في تبيانه شأن الحبيب الأعظم ﷺ عنده، لمَّا علم ﷻ جهل الخلق بقدره، وعدم إدراكهم لما خصَّه الله ﷻ به؛ بيَّن الله ﷻ بذاته ذلك في قرآنه، وبيان الله ﷻ لا يحتاج منا جماعة المؤمنين إلا كمال اليقين في التصديق بكلام رب العالمين، والتسليم التام في كل ما يخاطب به المؤمنين، ومع ذلك يُقسم رب العزة ويقول: ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ (النجم١).

[1] الإسماعيلية ٢٥ من رجب ١٤٣٦هـ ١٤/٥/٢٠١٥م

القَسَم بالنجم

ما النجم الذي يُقسِم به الله ﷻ في هذه الآية؟ وقديماً قال الأئمة: أن الله ﷻ - من طلاقة قدرته - له أن يُقسم بأي شيء، ويعظم أي كائن، فمرة يُقسم بالضحى، ومرة يُقسم بالليل: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ﴾ (الليل) ومرة يُقسم بالسماء والأرض: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴾ (الشمس) فله ﷻ لطلاقة قدرته أن يُقسم بما شاء من بريته؛ إن كان من العوالم العلوية، أو العوالم السفلية.

لكن الله ﷻ له غاية يبينها لأهل العناية في أي قَسَم يبدأ به أي آية، فكلمة ﴿ وَٱلنَّجۡمِ ﴾ احتار الأقدمون في تفسيرها، فقال بعضهم: إن الله يقول (ورب النجم إذا هوى) وفيها ضمير مضمر وهذا الخطاب، وقال بعضهم إنه يقصد بالنجم الثُريا، وكانت العرب تعظمه لشدة ضياءه واهتدائهم في الليل البهيم به، وقال بعضهم: يقصد الله ﷻ بالنجم الشواظ من النار الذي كان يُلحق بالشياطين عندما يتسلقون إلى الفضاء للتصنت على الأسرار: ﴿ يُرۡسَلُ عَلَيۡكُمَا شُوَاظٞ مِّن نَّارٖ وَنُحَاسٞ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴾ (الرحمن) وقال بعضهم: أراد الله ﷻ بالنجم أي نجم يدور في فلك الوجود، لأن الله ﷻ جعل النجوم كلها مصدر الأشعة في الكون عاليه ودانيه.

والنجوم كلها تدور في فلك جعله لها الله ﷻ: ﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (٤٠يس) ومع ذلك لم نر نجماً غيَّر مساره واختلط بنجم، أو اصطدم بكوكب، أين المرور الإلهي الذي يُنظم هذه الطرق السماوية، وهذه المسيرات الفلكية في دقة وانضباط ليس له مثيل في عالم الأكوان؟ ربما أحدث ما وصل إليه الإنسان تنظيم المرور بالكمبيوتر والوسائل التكنولوجية الحديثة، وهي أيضاً لا بد لها من أخطاء ولو قليلة، لكن قدرة الله التي تنظم هذه الأفلاك، وتنتظم هذا الدوران، لو أخطأت قدر أنملة لهلك الكون عاليه ودانية، ستتغير كل المسارات، وستحدث القيامة الكبرى، لكن: ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (٤٠يس).

مَن الذي يُمسك؟ هو الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ﴾ (٤١فاطر)

ولذلك رُوي عن النبي ﷺ أنه قال:

{ إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَأَلُوا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامَ، هَلْ يَنَامُ رَبُّكَ؟ قَالَ: اتَّقُوا اللَّهَ فَنَادَاهُ رَبُّهُ، ﷻ: يَا مُوسَى، سَأَلُوكَ هَلْ يَنَامُ رَبُّكَ، فَخُذْ زُجَاجَتَيْنِ بِيَدِكَ، فَقُمِ اللَّيْلَ، فَفَعَلَ مُوسَى، فَلَمَّا ذَهَبَ مِنَ اللَّيْلِ ثُلُثَاهُ نَعَسَ، فَوَقَعَ لِرُكْبَتَيْهِ ،ثُمَّ انْتَعَشَ فَضَبَطَهَا، حَتَّى إِذَا جَاءَ آخِرُ اللَّيْلِ نَعَسَ فَسَقَطَتِ الزُّجَاجَتَانِ فَانْكَسَرَتَا، فَقَالَ: يَا مُوسَى، لَوْ كُنْتُ أَنَامُ لَسَقَطَتِ السَّمَوَاتُ عَلَى الأَرْضِ، وَهَلَكُوا كَمَا هَلَكَتِ الزُّجَاجَتَانِ بِيَدِكَ }[٢]

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓ ﴾ (٤١فاطر) لئن زالتا لا يستطيع أحد أن يمسكهما إلا رب الوجود ﷻ.

ومن العلماء من رجع للمعنى اللغوي لكلمة النجم، فالنجم لغوياً هو النبات الذي يخرج من الأرض وليس له ساق كالنباتات العشبية البسيطة، ولذلك يقول الله فيه: ﴿ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ﴾ (٦الرحمن) واستشهدوا بهذه الآية، فالنجم هو النبات الذي ليس له ساق، والشجر له سيقان، فالاثنين يسجدان لله ﷻ.

---

٢ الأحاديث المختارة عن ابن عباس رضي الله عنهما

كل هذه معاني تحتملها الآية، ويحتملها قَسَم رب العزة ﷻ، وقال بعض السادة العارفين في مضمون هذه الآية، وهذا كلام يوضحه العلم الحديث، فإن العلم الحديث يُثبت إلى الآن أنه لم يُكتشف سرعة أكبر من سرعة الضوء، وأي شيء فيه نور فيه ضوء وفيه طاقة وله سرعة ثابتة ١٦٨ ألف ميل في الثانية، وقالوا: قال الله لنا: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾ (المائدة١٥) وقد ورد في بعض الأثر: **(كنت نوراً بين يدي ربي قبل خلق السماوات والأرض بألفي عام).**

وقال ﷺ إجابة لجابر عندما سأله: ما أول ما خلق الله يا رسول الله؟ فقال ﷺ:

{ أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ نُورُ نَبِيِّكَ يَا جَابِر } [٣]

فإذا كان رسول الله ﷺ نور، فإنه يسير بسرعة الطاقة النورانية، لا أقول بسرعة الضوء لأننا لم نعرف إلى الآن إلا سرعة الضوء، لكنه يسير بسرعة لا يعلمها إلا الله؛ لا سرعة فوقها، وإذا كانت ذات الله ﷻ لا طلاقة لقدرتها فإنه لا زمن عنده ﷻ، ولا مكان يحيزه ﷻ، فقدرته لا يحيزها زمان ولا يحيطها مكان، فالنجم إذاً هو رسول الله ﷺ.

٣ مسند عبد الرزاق عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه

﴿ إِذَا هَوَىٰ ﴾!

قال بعض الصالحين: (هوى) أي هواه لمحبوبه ﷻ، وليس له هوى في غير ذات الله، فإن الله ﷻ عرض عليه في هذه الرحلة الميمونة كل مباهج السماء، وكل مسرات الجنة، وكل تحف عوالم القُدُس الأعلى، لكنه لم يلتفت إلى شيء من ذلك: ﴿ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ (النجم) لم يلتفت إلى هذا ولا إلى ذاك، وإنما كان همه كله في ذات مولاه، وفي قربه ورضاه، وفي الوصول إلى ما يليحه له الله من نوره جل في علاه؛ على قدر ما أهَّله له حضرة الله، وعلى قدر ما يتحمله من أنوار ذات الله جل في علاه.

وبعضهم قال: إنه كان في هذه الحيطات العلية، وفي ميادين الأزل القدسية، مبتهجاً ومنشرحاً بما يلوح لعين فؤاده من التجليات الإلهية والمشاهد القدسية التي يقول فيها الله ﷻ: ﴿ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾ (النجم) فأهوى به الله ﷻ إلى خلقه ليأخذ بأيديهم إليه، ويدلهم به عليه، ويوَصِّلهم بفضله وجوده ﷻ إليه، وفي هذه الآية معاني كثيرة لا نستطيع الكلام فيها الآن حتى لا يستغرقنا الوقت.

دفاع الله عن نبيه

﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾ أعظِم بنبي يدافع عنه ويدفع عنه الله العلِي، عندما تتدبر في آيات كتاب الله تجد الأنبياء السابقين - سلام الله ورحمته عليهم وعلى نبينا أجمعين - يدافعون عن أنفسهم، منهم من يقول: ﴿ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ ﴾ (الأعراف) ومنهم من يدفع عن نفسه السفه، ومنهم من يدفع عن نفسه الجهل، لكن حبيب الله ومصطفاه أدَّبه الله ﷻ بأدبه العالي ألا ينطق لسانه مدافعاً عن نفسه، والذي يدافع عنه هو الله ﷻ:

- يقولون شاعر، فيقول الله تعالى: ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ﴾ (الحاقة)
- يقولون مجنون، فيقول الله تعالى: ﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴾ (التكوير)
- من الذي يدافع عنه؟ الله ﷻ.

هذا درس عملي لأمَّة النبي وأتباع النبي ﷺ، أنَّ من لم يدافع عن نفسه وترك الأمر لربه فإن الله ﷻ يدافع عنه بذاته، ولذلك قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ (الحج)

يدافع عنهم ضد من يريد أن يشينهم أو يهينهم أو يسيء إليهم، أو يصِمهم بما ليس فيهم، وفي قراءة قرآنية: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ يدفع عنهم ما لا قِبل لهم به، من نوائب الدهر ومصائبه، ومن كوارث الأيام، ومن الأحداث الجسام، ومما يحاول أن يعرضهم له أهل الشر واللئام؛ فإن الله ﷿ كذلك يدفع عنهم لأن الله يدفع عن المؤمنين.

دفع الله ﷿ عن النبي ما نسبه أهل الزور والغي والضلال إلى حضرة النبي:

﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾!

ما ضل عن المنهاج المستقيم، ولا الطريق القويم الذي رسمه الله ﷿، وجعله إماماً فيه لكل الأنبياء والمرسلين، فهو إمامهم، وهو قدوتهم، وهو زعيمهم، وأمره الله أن يقول لنا ولمن قبلنا ولمن بعدنا: ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾ (الزخرف) .

تجاوز الملائكة المقربين، وحملة العرش، والكروبيين، مَن أول العابدين؟ هو رسول الله ﷺ، سواء من الملائكة أو من النبيين أو من المرسلين أو من أي عالم من عوالم رب العالمين؛ أول العابدين لله هو رسول الله ﷺ ... ما ضل وما زل وما غفل عن الله طرفة عين ولا أقل، ولا التفت إلى الدنيا وطيباتها وزخرفها وزينتها وزهرتها لمحة ولا أقل.

﴿ وَمَا غَوَىٰ ﴾!

لم يغوه شيء في الدنيا، لم تغوه مناصبها ولا مطارفها ولا مباهجها لانه يريد ما عند الله جل في علاه.

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝ ﴾:

لم يقل الله ﷻ (وما ينطق بالهوى) انظر إلى دقة الألفاظ القرآنية، ليس في باطنه إلا الحق، النطق يكون عن شيء يجول بالخاطر أو بالبال، فإذا كان بالبال هوى كان النطق معبراً عن هذا الهوى، وإذا كان بالبال مشاغل كان النطق معبراً عن هذه المشاغل، وإذا كان البال مشغولاً بطلبات وأماني كان النطق معبراً عن هذه الطلبات وعن هذه الأماني، لكن هذا الرجل شهد له مولاه أنه ليس في قلبه إلا مولاه: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾ إنما ينطق عن المولى، فهو الذي يُلهمه، وهو الذي يوحي إليه، وهو الذي يسدده، وهو الذي يُلقي في روعه كل كَلِم ينطق به لسانه صلوات ربي وتسليماته عليه.

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾:

تحذير شديد ووعيد أكيد من الله ﷻ لكل من لا يرضى أو يشكك أو يعترض في سُنَّة وأقوال هذا النبي الرشيد ﷺ.

وهذا أفضل رد على الطائفة التي ظهرت في هذا الزمان ومن قبله؛ ويقولون: لا نعترف إلا بكتاب الله، ولا شأن لنا بالسُنَّة!!، السُنَّة ككتاب الله؛ كلها من عند الله، هذا وحي نزل من عند الله على يد الأمين جبريل، وهذا وحي نزل عن طريق ملك الإلهام، او ألقاه الله في روعه، أو أمده الله ﷻ به، وأنواع الوحي قال الله ﷻ في شأنها:

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾! كل كلام حضرة النبي ﷺ وحي، ولذلك كان سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما يكتب عن رسول الله ﷺ، فنهاه نفر من قريش

!

{ إِنَّكَ تَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ تَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَشَرٌ ، يَتَكَلَّمُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا ، فذهب إلى حضرة النبي ﷺ وحكى له ما دار ، فقال ﷺ : اكْتُبْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا خَرَجَ مِنِّي إِلا حَقٌّ }[4]

لا يخرج منه إلا الحق لأنه وحي من الله ﷻ، فالقرآن الكريم وحي من الله على يد أمين الوحي جبريل، والسُنَّة النبوية بطرق الوحي المتعددة التي أشرنا إلى بعضها، وبيَّن الحبيب ﷺ قبساً منها لنعلم أن الكل من الله ﷻ.

---

٤ مسند أحمد والنسائي وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

شديد القُوى

﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴾ مَن الذي علَّمه؟ ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ۝ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾ بعض علماء التفسير وقفوا بعقولهم عند الآية، واستكثروا على الحبيب ﷺ العناية، فقالوا: (شديد القوى) هو جبريل، أي علَّمه جبريل، مع أن الإمام القشيري ﵁ له كتاب عظيم اسمه (لطائف التفسير) ذكر فيه بعض اللطائف الموجودة في آيات التفسير عن الصالحين والعارفين، ومن جملة هذه اللطائف يقول راوياً عن بعض الصالحين: أن جبريل ﵇ عندما نزل على رسول الله ﷺ بأول سورة مريم قال: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ ك ﴾ فقال ﷺ: علمت، فقال جبريل:﴿ هيـ ﴾ قال: علمت، قال: ﴿ عـ ﴾ قال: علمت، قال: ﴿ص﴾ قال: يا محمد علمت ولم أعلم وأنا الذي نزلت به؟! فقال: يا أخي يا جبريل أما تقرأ قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥ ﴾ (114طه) لا تستعجل قبل أن ينزل الوحي.

لكن مَن الذي علَّمه؟

الله، لأن الله ذكر ذلك في كتاب الله: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ﴾ (113النساء) مَن الذي علَّمه ما لم يكن يعلم؟ الله.

وهناك آية أخرى من كتاب الله تبين حقيقة الوحي: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ (النمل) هل من لدن جبريل؟ لا، جبريل من أجل الحكم التشريعي، لكن الذي علَّمه شديد القوى وهو الله، وإلا بالله عليكم كيف يُعلِّمه جبريل وهو شديد القوى ثم يقف عند سدرة المنتهى ويقول: هاهنا انتهى مقامي، أنت لو تقدمت لاخترقت، وأنا لو تقدمت طرفة أنملة لاحترقت؟! إذاً الذي علَّمه هو العليم ﷻ.

﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۞ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴾ ذو قدرة، وذو كبرياء، وذو كمال، وذو جلال، فاستوى بذلك على كل مخلوقاته ومكوناته الدانية والعالية، وكشف قبساً منها لحبيبه ومصطفاه، فعلَّمه الله ﷻ بتعليمه ما ينبغي له أن يتعلمه ليبلغ رسالة الله ﷻ.

الأفق الأعلى

﴿ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾:

والأفق الأعلى أخذه الناس على أنه منزلة أو مكانة كونية أو علوية محددة، لكن الأفق الأعلى كان كمال الفناء مع كمال التوحيد في عالم البقاء لسيد الرسل والأنبياء بين يدي من يقول للشيء (كن فيكون).

فإن الله ﷻ لا يُعلِّم عبده إلا إذا تجمَّل بجمال العبودية لحضرته، وفنى عن كل الشواغل الكونية شغلاً بذاته العلية وبهاءه وسماه، ولذلك قال في الاسراء: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾ (الإسراء1) جمَّله بجمال العبودية ليفيض عليه هذه الحقائق الإلهية تعليماً من الله ﷻ مباشرة لحضرة النبي صلوات ربي وتسليماته عليه.

الكلام في هذه الآيات ذات المقام العالي؛ الخلاف في وجهات النظر فيه يرجع إلى أن بعض المتحدثين فيه لجأ إلى التجسيم والحيز والزمان والمكان، والكلام كله فوق الحيز والزمان والمكان.

الزمان والمكان في عالم الأرض لارتباطهما بالشمس والنجوم والليل والنهار:

أما عالم الملكوت الأعلى:

لا زمان فيه، ولا ليل فيه، ولا نهار فيه، وعالم الأفلاك السرعة فيه سرعة الضوء، لكن عند الله ﷻ لا زمان ولا مكان ولا سرعات ولا حركات ولا سكنات، وإنما عنايات من الله ﷻ وتجليات وفيوضات وأسرار وأنوار ومكاشفات.

وهو في الأفق الأعلى بالقرب من الله:

ليس قرباً حسياً فإن الله تعالى لا تلحقه العبارات، أو تشير إليه الإشارات، أو يُحَس بالمحدثات، فإن الله ﷻ تعالى عن ذلك كله ... فكان بالأفق الأعلى في أعلى مقام يرفع الله ﷻ فيه عبد في حضرته، وفي قربه، وفي علُوه وكبرياءه ﷻ.

دنا فتدلى

﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾

اختلف العلماء كثيراً في هذه الآية كذلك للتجسيم والمحسوسات، منهم من يقول: دنا من جبريل ورآه على حقيقته لأنه لم يره على حقيقته على هيئته إلا مرتين!! وهذا كلام عجيب، إذاً كيف كان ينزل عليه بالوحي في كل مرة؟! هل كان ينزل بدون أن يراه؟! أو هل القرآن نزل مرتين فقط؟! لا، لكن من أجل حفظ القرآن وصدق الحنان المنان لا بد أن ينزل على صورته في كل مرة عند نزول القرآن.

ومنهم من يقول أن النبي ﷺ لم ير ربه، مع أن الحبيب ﷺ قال لنا أجمعين:

{ هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ، ضَوْءٌ لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ؟ قَالُوا: لا، قَالَ: وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، ضَوْءٌ لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ؟ قَالُوا: لا، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ اللَّهِ ﷻ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا } [٥]

والقرآن الكريم يقول ذلك:

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (القيامة) لا نستطيع أن نرى الله ﷻ بالأجساد الفانية، وعيون الرأس التي في هذه الأجساد، لكن نراه إذا جَهَّزنا بنور منه، فنرى بما جَهَّزنا الله من نور الله ما نستطيع أن نتحمله من جمال الله جل في علاه.

---

٥ البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

والذي يحدث لنا يوم القيامة هل هناك حرج أن يحدث مثله لرسول الله ﷺ وهو في هذه الأكوان؟ لا حرج على فضل الله، لكني أُقَرِّب هذه الحقيقة وأقول: أما سمعتم الحديث القدسي الذي يرويه حضرة النبي عن الله، ويقول فيه الله جل في علاه:

{ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي ، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا ، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً }[٦]

﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾ الدُنُو هنا ليس دنواً حسياً، وإنما دنواً معنوياً، دنا بروحه وبقلبه وبحقائقه العالية من جمال ربه القدسي الذي خبَّأه له ولمن صار على منواله بعد أن رأى بما جمَّله الله جمالات الله ﷻ في عالم الأكوان، وجمال الأنبياء والمرسلين في بيت المقدس، ثم رأى بما جمَّله به مولاه جمالات الله في ملكوت الله، وجمالات الملائكة الذين خلقهم الله بأصنافهم وأنواعهم، وجمالات الجنان التي أوجدها عليها الله، وجمالات العرش، وجمالات الكرسي، وجمالات عوالم الله الأزلية الأبدية، كاشفه الله بعد أن هيأه بذاته ليرى ما يستطيع تحمله من أنوار حضرة ذاته ﷻ.

٦ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﵁

﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾ تدلى له الله بأنواره، وتدلى الله له بأسراره، وتدلى الله له بكشوفاته، وتدلى الله له بغيوب ذاته.

﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾!

فكان في القرب يكاد يكون محوٌ للبَينْ، ومحوٌ للغَين، ومحوٌ لكل رين، فكأنما وقعت العين على العين ...

﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾:

والدليل على ذلك أن الله ﷻ لم يكشف لنا في الآيات الأسرار التي أباحها له، أو العلوم التي أباحها لحضرته، وقد ورد ببعض الأثر هذه القصة العظيمة: فقلت الصلوات الطيبات لله بعد أن نزل على لساني قطرة أحلى من العسل وألين من الزبد وأبرد من الثلج، فوضع الجبار يده على ظهري - ولا تظن أنها يد كيَدِنا، نزِّه الله عن الحواس، لا يُقاس بالحواس، ولا يدركه الناس، وإنما هو ﷻ: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ قال:

ثم علَّمني ثلاثة علوم؛ علم أمرني بتعليمه، وعلم خيَّرني فيه، وعلم أمرني بكتمه.

قال السادة العارفون في ذلك: أن العلم الذي أُمر به هو علم الشريعة، لأنه أُمر بتبليغه لكل الأنام، وأما العلم الذي خُيِّر فيه فهو علم الحكمة: ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ ولذا قال ﷺ:

{ إِنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ قَامَ فِي قَوْمِهِ ، فَقَالَ : يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ، لا تَكَلَّمُوا بِالْحِكْمَةِ عِنْدَ الْجَاهِلِ فَتَظْلِمُوهَا ، وَلا تَمْنَعُوهَا أَهْلَهَا فَتَظْلِمُوهُمْ }[7]

وأما العلم الذي أمره الله بكتمه فهي العلوم الخاصة لحضرته، والتي لا ينبغي أن يُصرِّح بشيء منها وهو في طور بشريته، وإنما يُصرح بها في أطوار أخرى، ومنه على سبيل المثال عندما يسجد تحت العرش يوم القيامة ليشفع فيقول:

{ فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّيَ وَقَعَتُ لَهُ سَاجِدًا ، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدَعَنِي ، فَيُقَالُ : ارْفَعْ مُحَمَّدُ ، وَقُلْ تُسْمَعْ ، وَسَلْ تُعْطَهْ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ ، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمَحَامِدَ يُعَلِّمُنِيهَا ، ثُمَّ أَشْفَعُ }[8]

لم يذكر هذه المحامد لأنه إذا ذكرها فإن العقول لا تتحمل ذكرها.

٧ المطالب العالية لابن حجر عن ابن عباس رضي الله عنه
٨ سنن النسائي ومسند أبي داود الطيالسي عن أنس رضي الله عنه

حقيقة الرؤية

والدليل على الرؤية قول الله تعالى: ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾

﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾ أي أن الرؤية كانت بالفؤاد، وليست بالعين المجردة،

وإن كان هذا ليس مستبعداً على حضرة الله، ولا على نبي الله إذا أولاه الله عطاياه، لكن الله ﷻ أثبت أن الرؤية كانت بعين البصيرة، وبعين السريرة:

﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (الشعراء).

ولذلك عندما رأى الشيخ ابن حجر العسقلاني رحمة الله عليه اختلاف العلماء في هذه القضية، وبعضهم ينسب إلى السيدة عائشة أنها قالت: لم ير رسول الله ﷺ ربه إنما رأى جبريل، وبعضهم كسيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: إنه رأى ربه، فقال رحمة الله عليه: أنا أرى أن الخلاف وقع لأنهم حددوا الرؤية بعين الرأس، لكن الله قال في الآية: ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾ فإذا قلنا أن الرؤية بعين القلب نكون قد خلصنا من هذا الخلاف وأصبح لا محل للخلاف، لأنه لا مانع أن يرى بقلبه الغيب العلي الذي يُليحه له ربه ﷻ.

ولذا عاتب الله ﷻ مَن يُكذِّب الرؤية فقال: ﴿ أَفَتُمَـٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾ أي أفتجادلونه في هذا؟! وكأن الله ينهى عن الجدال في هذه القضية؛ قضية الرؤية، لأن الذي يفتح السجال والجدال في هذه القضية كأنه يعترض على قدرة الذات الإلهية.

ما دام الله ﷻ هو الذي تولَّى أمر حبيبه ومصطفاه من بدءه إلى منتهاه فلا حرج على فضل الله، هل هناك حرج على فضل الله؟ أبداً، وفي قراءة أخرى للآية: ﴿ أَفَتُمرُونَهُ عَلَى مَا يَرَى ﴾.

﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ رآه مرة أخرى في تجلِّي آخر، في تجلِّي أعظم، في تجلِّي أكرم، في نور أفخم عند سدرة المنتهى.

وسدرة المنتهى هي التي ينتهي إليها ما تحتها، وينتهي إليها نزول ما فوقها، قيل: أنها شجرة تنزل عليها العلوم الإلهية، والأسرار الربانية من عالم الغيب والهُوية لتتلقاها الملائكة المكلفين، وإليها ينتهي أعمال العباد، ولذا ذُكر أن لكل رجل منا ديوان تحت هذه السدرة يُسَجَّل فيه ملف عمله، وإليها ينتهي علوم كل من تحتها، فلا يستطيعون أن يصعدوا فوقها ولا أن يعرفوا ما بعدها.

وإذا عرفنا أن جبريل وهو أعلى الملائكة وقف عند سدرة المنتهى وقال: إلى هاهنا انتهى مقامي، فقد قال بعض العارفين: أن سدرة المنتهى في الحقيقة هي حقيقة سيدنا رسول الله ﷺ الباطنية، فإليها تنتهي كل العلوم المُلكية والملكوتية، وتتنزل عليها كل العطاءات الإلهية، ومنها تُفاض على كل العوالم العلوية والسفلية، قال الله تعالى له: ﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴾ (ص) وقال ﷺ مُعبراً عن هذه الحقيقة:

{ وَاللَّهُ الْمُعْطِي وَأَنَا الْقَاسِمُ }[9]

فكل عطاءات الله تتنزل على حبيب الله ومصطفاه ومنه إلى جميع عوالم الله، وكل ما يحدث في الأكوان يرتفع إلى رسول الله لأنه هو الذي سيشهد للخلق أو عليهم جميعاً يوم لقاء الله: ﴿ فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ﴾ (النساء) وهل الشهيد يشهد على شيء لم يره؟! أو لم يعلمه؟! حاشا لأنه يكون في هذا الوقت شاهد زور، فهو شاهد على كل ما حدث للأولين وللآخرين، يقول ﷺ:

---

٩ البخاري ومسلم عن معاوية ﷺ

{ يَجِيءُ النَّبِيُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَعَهُ الرجل، يَجِيءُ النَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلانِ، وَيَجِيءُ النَّبِيُّ وَمَعَهُ الثَّلاثَةُ، وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ وَأَقَلُّ، فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَّغْتَ قَوْمَكَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ فَيُدْعَى قَوْمُهُ، فَيُقَالُ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: لا، فَيُقَالُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ } [10]

فهو الذي يشهد لكل الأنبياء السابقين، حتى قال الله له عندما التقى بهم في بيت المقدس: ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ ﴾ (٤٥الزخرف) سألهم كلهم، وعرف عنهم كل شيء.

فعلَّمه الله علم ما كان، وعلم ما هو كائن، وعلم ما سيكون، وإياك أن تقول كما يقول أهل البعد: كيف يعلم ذلك؟! الذي علَّمه الله، ما دمت أقول لك أن الذي علَّمه الله فهل في ذلك شيء؟! هو عبد، لكن الله يقول في كتاب الله: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ﴾ (٥٩الزخرف).

عبد وأنعم عليه مولاه، فأعطاه الله ﷻ كل ما يتمناه حتى قال له: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ (٥الضحى).

[10] سنن ابن ماجة ومسند احمد عن أبي سعيد الخدري ﷺ

﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ وسدرة منتهى العارفين والمحققين هي حقيقة سيد الأولين والآخرين، ففيها كل علوم الحقائق، وكل الأسرار والدقائق، وكل المواجهات والمكافحات والمكاشفات، وأنتم تعلمون جيداً أن كليم الله وهو أعلى منصب بعد رسول الله أخذ يردده على مولاه، ليس إشفاقاً على الأُمة فقط ولكن لأنه كلما يراه يرى ما فيه من جمال مولاه، فيتمتع بذلك، فأراد أن يزيد من التمتع بجمال مولاه فأخذ يردده إلى حضرة الله عندما فرض عليه الصلاة، ولذلك قيل:

**وإنما السر في موسى يردده		ليجتلي حُسن مولاه حين يشهده**

ليرى ما جمَّله به الله، أو ليرى الجمال الإلهي الظاهر في رسول الله، فكان في كل مرة يرى جمالاً آخر من جمالات الله ظاهراً في حبيب الله ومصطفاه، وهو يريد أن يستزيد من هذا الجمال، وأن تشبع روحه من هذا الكمال، فأخذ يردده لأنه سدرة المعاني الإلهية، ومصدر كل الأنوار الظاهرة والباطنة، إن كان للملائكة المقربين، أو للأنبياء والمرسلين، أو لكل الكائنات العلوية الروحانية والسفلية أجمعين.

وأنتم تعلمون - أيضاً – أن الله عندما أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم؛ إنما سجدوا لنور حبيب الله ومصطفاه الذي ظهر فيه، فالذي نظر إلى آدم ولم ير هذا النور امتنع عن السجود، والذي رأى النور سجد فوراً لحضرة المعبود، ويقول في ذلك سيدي علي وفا ﷺ وأرضاه:

لو أبصر الشيطان طلعة نوره	في وجه آدم كان أول من سجد
أو رأى النمروذ بعض جماله	عبَدَ الجليل مع الخليل وما جحد
لكن نور الله جل فلا يُرى	إلا بتخصيص من الله الصمد

فكان نوره هو الذي تجلى في هيكل آدم، ونوره ﷺ هو الذي يُعرض فيه لأرواح المقربين ولحضرات الصالحين الجمالات الإلهية والكمالات العلية ليحظو بهذه المزية، فهو ﷺ سدرة منتهى الحقائق.

ليس معنى ذلك أننا ننكر الأحاديث المروية في السدرة الظاهرية، ولكن هذه خصوصية لأهل الخصوصية لا غِنى عنها ولا تمنع ما قيل في السدرة الظاهرية في حديث خير البرية ﷺ.

﴿ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ﴾ (النجم) التي تأوي إليها أرواح الشهداء، وأرواح الصالحين، وأرواح المتقين ليتمتعوا بما يُكاشفوا به من جمال رب العالمين ﷻ، قال ﷺ:

{ إِنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ فِي طَيْرٍ خُضْرٍ تَعْلُقُ مِنْ ثَمَرِ الْجَنَّةِ أَوْ شَجَرِ الْجَنَّةِ }[11]

[11] جامع الترمذي ومسند أحمد عن كعب بن مالك ﷺ

اسمها جنة المأوى:

لأنه يأوي إليها الأرواح عند المنام، وعند الهيام، وعند الغرام، وعند الجمع على الملك العلام، وعند السياحة في ملكوت الله ﷻ بإذن من الحبيب المصطفى ... عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

﴿ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ ﴾ من أنوار الله، وأسرار الله، وتجليات الله،

وكمالات الله، وبهاء الله، وضياء الله ﴿ مَا يَغْشَىٰ ﴾ (النجم).

﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨ ﴾ (النجم) وكل الذي رآه،

وكل الذي شاهده ﷺ لا يساوي قطرة في بحر من جمالات وكمالات حضرة الله، لأن الله جل في علاه يُرى بلا كمٍ ولا كيفٍ، ولكن بأنوار تعالت معنوية.

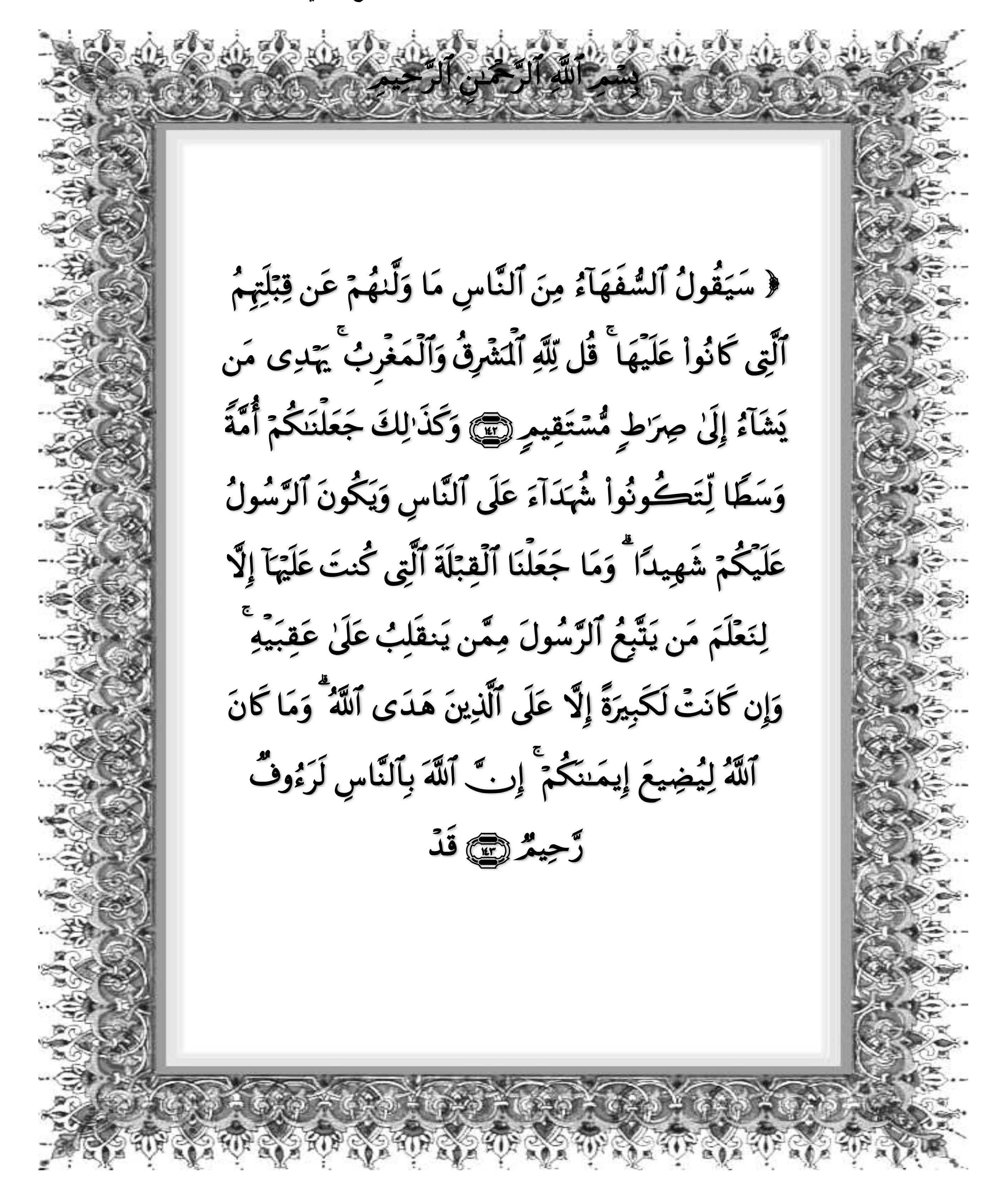
نسأل الله ﷻ أن يجمِّلنا بهذه المشاهد، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأن يرزقنا التسليم لكتاب الله الكريم ولأحاديث النبي العظيم، وأن يهب لنا الحكمة العالية، والأسرار الراقية، والأنوار الباقية.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الفصل الثالث: تحويل القبلة

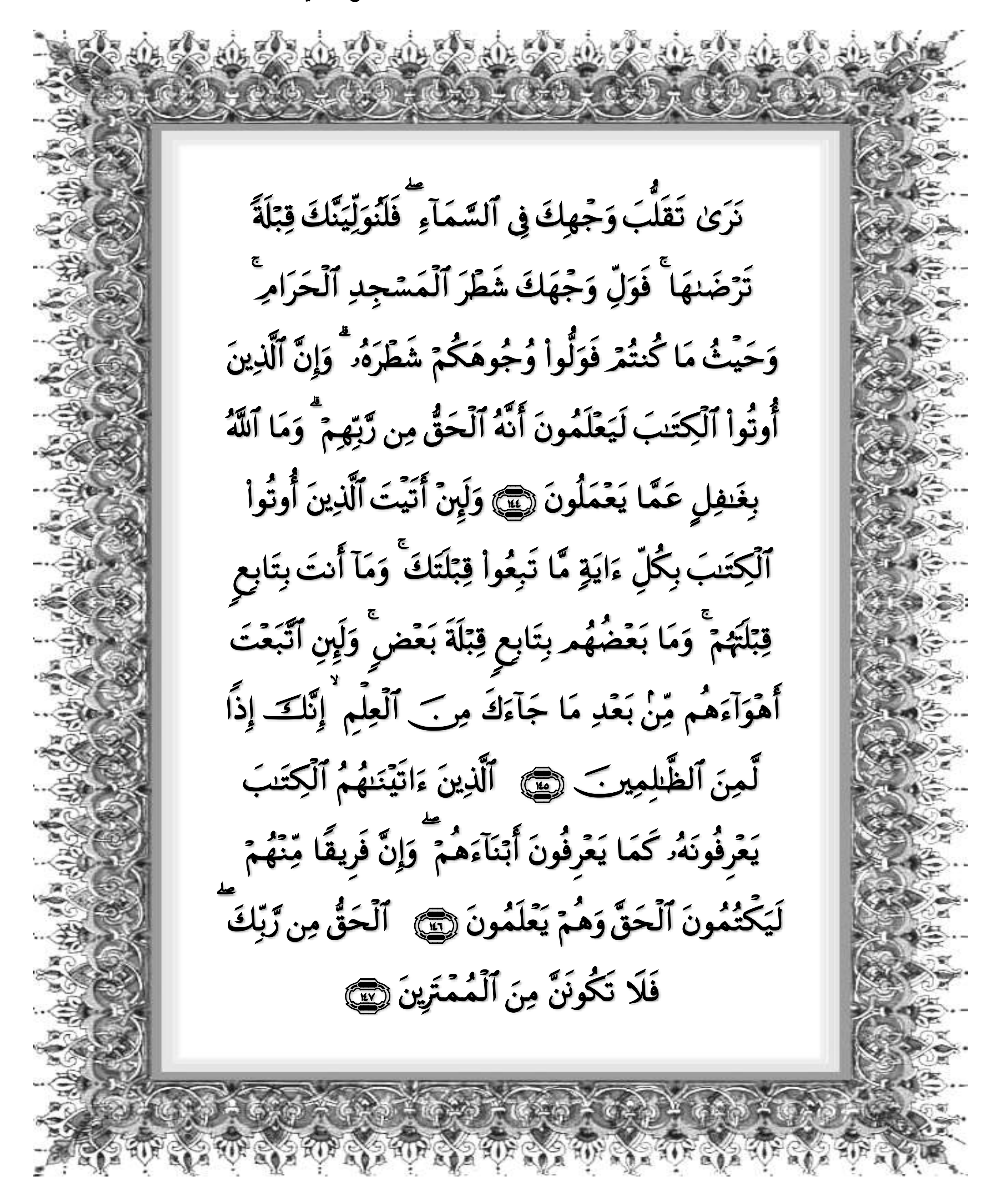
الإشارات الإلهية

في آيات تحويل القبلة

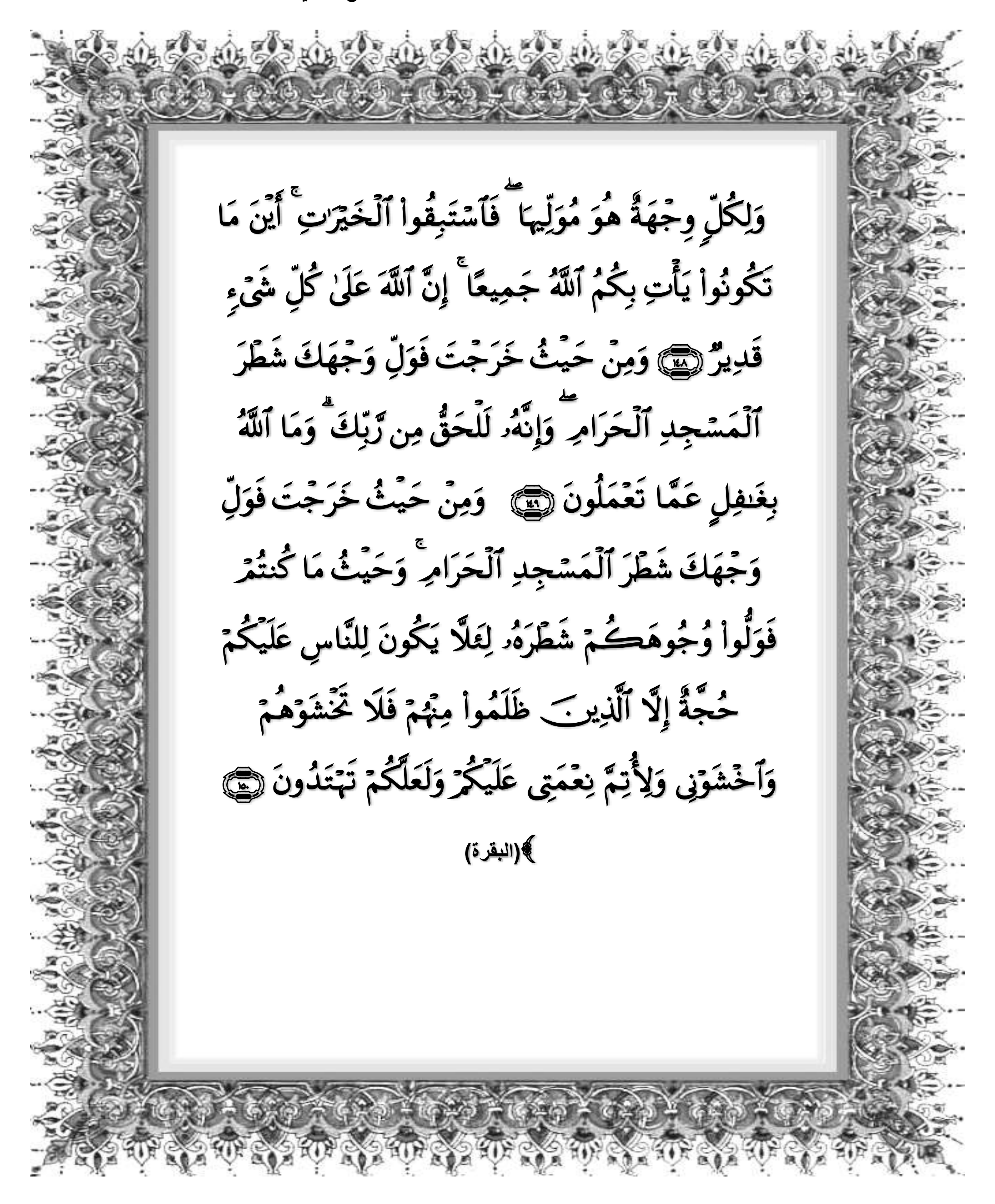


بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ
ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن
يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ
وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ
عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا
لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ
وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ
ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ
رَّحِيمٞ ﴿١٤٣﴾ قَدۡ



نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ
تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ
وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ
أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۗ وَمَا ٱللَّهُ
بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ
ٱلۡكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٖ مَّا تَبِعُواْ قِبۡلَتَكَۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ
قِبۡلَتَهُمۡۚ وَمَا بَعۡضُهُم بِتَابِعٖ قِبۡلَةَ بَعۡضٖۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ
أَهۡوَآءَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِۙ إِنَّكَ إِذٗا
لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ
يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ
لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۖ
فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿١٤٧﴾



وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (148) وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (149) وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (150)

﴾(البقرة)

٦. الإشارات الإلهية في آيات تحويل القبلة

السفهاء وتحويل القبلة

أمة الوسطية

حكمة تحويل القبلة

حفظ الإيمان

الرأفة والرحمة الإلهية

تحويل القبلة

توجيه للأمة الإسلامية

معرفة أهل الكتاب بالنبي

حكمة تكرار الأمر بالتوجه إلى البيت

٦. الإشارات الإلهية في آيات تحويل القبلة[1]

هذه الآيات التي يتكلم فيها الله ﷻ عن تحويل القبلة، ونريد أن نأخذ بعض الإشارات الإلهية في هذه الآيات القرآنية وهي التي تعطينا مؤشراً بقيمة القبلة والإتجاه للقبلة، لأن هذا أمرٌ جوهري وأساسي في الديانة الإسلامية، لأنه لا يجب أن يتهاون فيه أحد، لأن هناك كثيرٌ من الناس يكون في مكانٍ ما ولا يدري اتجاه القبلة، فيدَّعي أنه يُحسن الظن بالله ويردد الآية: ﴿ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ ﴾ (١١٥البقرة) ويُصلي وانتهى الأمر، لكن لا بد من الأخذ بالأسباب الشرعية التي وضعتها الشريعة المحمدية للإتجاه إلى القبلة بالوسيلة المرضية لأن هذا شيء جوهري في هذا الدين.

السفهاء وتحويل القبلة

والسفهاء هم الذين عندهم طيشٌ في العقل، وخفة في الفكر، وحدَّةٌ في الذهن مثل اليهود والكفار وما شابههم.

عندما أُمر النبي ﷺ أن يتجه إلى قبلة أبيه إبراهيم؛ خاض اليهود وقالوا: لِمَ ترك قبلتنا؟ لو كان يعلم أنها ليست على الحق فلِمَ اتبعها من قبل؟ وبدأوا يشكِّكوا، وضعاف الإيمان والمشركون قالوا: لِمَ رجع إلى قبلتنا؟ لأنه يعلم أن ديننا هو الحق، مع أن دينهم هو عبادة الأصنام، ولا بد أنه سيترك ما هو فيه ويرجع إلينا.

[1] الزقازيق - مسجد الدعوة إلى الله ١١ من شعبان ١٤٣٦هـ ٢٠١٥/٥/٢٩م

وككل حادثٍ جلل حدث خللٌ بين ضعاف النفوس الذين يتأثرون بالأقوال، حتى رُوي أن هناك بعض من ارتدَّ عن الإيمان بسبب ذلك، كل هؤلاء قال فيهم الله!

﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾ فهؤلاء جميعهم سفهاء يعني عقولهم غير ناضجة وغير مكتملة

﴿ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُواْ عَلَيۡهَا ﴾ وأجاب الله بإجابة شافية! ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُ ﴾ ولِمَ ذكر الله المشرق والمغرب؟ لأن اليهود كانوا يتجهون إلى المغرب والنصارى كانوا يتجهون إلى المشرق، والله ﷻ عَلِيٌّ عن ذلك، فنحن إذا توجهنا بالقالب إلى القبلة إلا أن القلب لا يتوجه إلا لله، فالمهم هو القلب! ﴿ يَهۡدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ ﴾ هو الذي بيده الهداية، ولذلك قال لنا ﷺ في ذلك في الحديث الذي ترويه السيدة عائشة رضي الله عنها:

{ بَيْنَمَا أَنَا قَاعِدَةٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ جَاءَ ثَلاثَةُ نَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ ، فَاسْتَأْذَنَ أَحَدُهُمْ ، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ ، وَفِيهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : تَدْرِينَ عَلَى مَا حَسَدُونَا ؟ قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : فَإِنَّهُمْ حَسَدُونَا عَلَى الْقِبْلَةِ ، الَّتِي هُدِينَا لَهَا ، وَضَلُّوا عَنْهَا ، وَعَلَى الْجُمُعَةِ ، الَّتِي هُدِينَا لَهَا ، وَضَلُّوا عَنْهَا ، وَعَلَى قَوْلِنَا خَلْفَ الإِمَامِ آمِينَ }[٢]

---

٢ السنن الكبرى للبيهقي

هذه الأشياء التي يحسدنا عليها اليهود، وهم يعلمون علم اليقين أن ما وُجِّه إليه سيد الأولين والآخرين هو الحق، وعندهم في كتبهم هذه الأنباء واضحة لا لبس فيها.

أمة الوسطية

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾!

أنتم الأمة صاحبة منزلة الوسطية، لا شرقية ولا غربية وإنما إسلامية قرآنية محمدية! ﴿ لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾!

رفع الله ﷻ شأننا في هذه الآية حتى أنه جعلنا أعلى من مراتب النبيين والمرسلين السابقين، فقد قال ﷺ في حديثه الصحيح:

{ يَجِيءُ النَّبِيُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَعَهُ الرجل، يَجِيءُ النَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلانِ، وَيَجِيءُ النَّبِيُّ وَمَعَهُ الثَّلاثَةُ، وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ وَأَقَلُّ، فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَّغْتَ قَوْمَكَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ فَيُدْعَى قَوْمُهُ، فَيُقَالُ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: لا، فَيُقَالُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَتُدْعَى أُمَّةُ مُحَمَّدٍ، فَيُقَالُ: هَلْ بَلَّغَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: وَمَا عِلْمُكُمْ بِذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: أَخْبَرَنَا نَبِيُّنَا بِذَلِكَ، أَنَّ الرُّسُلَ قَدْ بَلَّغُوا فَصَدَّقْنَاهُ، قَالَ: فَذَلِكُمْ قَوْلُهُ تَعَالَى: " وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا " }[٣]

---

٣ سنن ابن ماجة ومسند أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

إذاً فنحن شهودٌ على الأمم، والنبي شهيدٌ علينا وعلى الأمم، فأعلى الله مقام هذه الأمة وجعلهم في مقام الشهداء إذاكانوا كمن قال النبي ﷺ في شأنهم:

{ أُدَبَاءُ حُلَمَاءُ عُقَلاءُ فُقَهَاءُ كَادُوا مِنْ فِقْهِهِمْ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ }[٤]

وفي رواية أخرى:

{ عُلَمَاءُ حُكَمَاءُ، كَادُوا مِنْ صِدْقِهِمْ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ }[٥]

حكمة تحويل القبلة[٦]

ثم بيَّن الله تبارك وتعالى حكمة من حكم تحويل القبلة، ولِمَ جعل القبلة أولاً إلى بيت المقدس! ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ اختباراً وابتلاءاً وامتحاناً !!، وحياة الأنبياء وأتباعهم كلها اختبارٌ وابتلاءٌ وامتحانٌ.

فالإسراء والمعراج كان امتحاناً، فمن الأتباع من أنكر ذلك وارتدَّ، ومنهم من زاد إيمانه وصدق حتى لُقِّب بالصديق، وكذلك في هذا الحادث الجلل!

---

٤ أحاديث منتقاه من مشيخة أبي بكر الأنصاري عن سويد بن الحارث ﷺ
٥ الأربعين لأبي سعد النيسابوري عن سويد بن الحارث ﷺ
٦ : الإشارات الإلهية في الآيات

﴿ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ﴾!

الذين هداهم الله ﷻ يستمعون بقلوبهم، ولأنهم صدقوا بقلوبهم لربهم ولنبيهم فيقولون: سمعنا وأطعنا، أما أصحاب الخلاف والإختلاف الذين يريدون أن يُحكِّموا عقولهم على الغيب المصون فيُنكرون.

وكيف للغيب أن يُشرق عليه العقل؟!

إذا كان الإنسان لا يدري شيئاً عن عقله، فكيف يحكم بعقله على غيب ربه ﷻ الذي خلق عقله؟!.

حفظ الإيمان□

دار حديثٌ بين أصحاب النبي ﷺ: ما حال صلاة إخواننا الذين ماتوا وكانوا يتجهون إلى بيت المقدس؟ وما حال صلاتنا التي اتجهنا فيها إلى بيت المقدس قبل أن نتوجه إلى الكعبة المباركة، فقال الله إجابة على هذا السؤال:

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ﴾ اطمئنوا واعلموا علم اليقين أن الذي أمر في البداية

وأمر في النهاية هو الله، وما دام الله هو الذي أمر فالعمل مقبولٌ إن شاء الله؛ ما دام العبد يؤديه بإخلاص قصدٍ لوجه الله ﷻ.

الرأفة والرحمة الإلهية

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ لنعلم ونطمئن أنه خاطبنا بأسماء الرأفة والرحمة الإلهية، ودائماً المؤمن عندما يذكر ويتذكر ربه يتذكر أوصاف الرحمة الإلهية.

أوصاف العقاب وأوصاف الجلال للكافرين والجاحدين والمشركين، لكن ليست لنا، وبيَّن النبي ﷺ هذه الأوصاف، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال:

{ قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِسَبْيٍ ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ تَبْتَغِي إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ ، فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ ، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَتَرَوْنَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟ قُلْنَا : لا وَاللَّهِ ،وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لا تَطْرَحَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : اللَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ الْمَرْأَةِ بِوَلَدِهَا }[6]

دائماً المؤمن يتذكر رحمة الله وفضل الله وإكرام الله وعفو الله لأن هذا هو الألْيَق في معاملة الله عز وجل بعباده المؤمنين.

---

[6] البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

تحويل القبلة

ولأن الله ﷻ يحب حبيبه ومصطفاه فإنه سبحانه رأى ما يدور في قلبه من رغبته في استقبال الكعبة البيت الحرام في صلاته، فأجابه ﷻ إلى ذلك بغير طلب، حيث كان ﷺ يُصلي الظهر أو العصر في بني سلمة، وبعد أن انتهى من صلاة الركعة الأولى والثانية تجاه بيت المقدس نزل عليه الوحي الإلهي وهو في الصلاة بقول الله تعالى: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ فاستجاب لها ﷺ فوراً واتجه في الركعة الثالثة إلى البيت الحرام، وتحول عن الاتجاه إلى بيت المقدس، وتابعه المصلون خلفه في ذلك، وحتى يُثبِّت الله النبي وأتباعه في هذا أخبره أن توجهه إلى الكعبة في الصلاة هو الحق الثابت عند الله.

وقد ذكر ذلك في الكتب السماوية السابقة، وعلى ألسنة الرسل، فقال تعالى في ذلك: ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ وحتى لا ينشغل الرسول ﷺ بأقوالهم الباطلة وليِّهم للحقائق مع معرفتهم للحق قال تعالى:

﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ فهو ﷻ يراهم ويراقبهم ويطلع على أعمالهم الظاهرة، ونواياهم الباطنة.

ثم أراد الله ﷻ أن يجلّي لحبيبه حقيقةً الأمر حتى لا يشغل نفسه إلا بما يفيد، فأخبره خبراً أكيداً! ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ﴾ أي بكل معجزة وبكل دليل وبكل برهان فلن يسيروا خلفك ولا يتبعوا قبلتك، لماذا؟ لأنهم يعرفون أنه الحق، وما الذي يمنعهم؟ الحسد الذي عندهم، وما دام الداء هو الحسد فلا ينفع مع الحسد برهانٌ ولا دليلٌ ولا آيةٌ.

﴿ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ﴾ لأنك تعرف أنه الحق اليقين، الحق الذي حدده لك رب العالمين من قبل، وهم كذلك مع بعضهم! ﴿ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ﴾ فلن يمشي أحدهم تابعاً للآخر.

توجيه للأمة الإسلامية

ثم خاطب الله ﷻ الأمة في شخص النبي ﷺ:

عندما يكون هناك رئيسٌ عمل وهناك توجيه لأحدٍ تحت رئاسته فالخطاب يوجَّه لمن؟ لرئيس العمل ولكن من هو المسئول فيه ومن المخاطب فيه؟

المُوجَّه إليه الخطاب، فوجَّه الله ﷻ الحديث للحبيب لأنه أمير هذه الأمة ونبيها وقائدها في الدنيا وزعيمها في الآخرة، ويقصد بالحديث أمة النبي ﷺ:

﴿ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم ﴾!

لأن النبي ﷺ ليس له هوىً إلا في مولاه، وليس له هوىً إلا في رضاه، لكن الذين تتلاعب بهم الأهواء أدعياء الإسلام الذين يظهرون في كل عصر يتمسحون بالإسلام، وهم يريدون في نفوسهم غرضاً خبيثاً أو غرضاً دنيوياً تحت مُسمَّى الإسلام، وهذا معصومٌ منه النبي عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، وأنتم تعلمون أن أهل مكة عرضوا عليه فقالوا: يا محمد إن كنت تريد مُلكاً ملكناك علينا، وإن كنت تريد مالاً جمعنا لك حتى تكون أغنانا، وإن كان ما عندك شيء من السحر جلبنا لك الحكماء حتى يطببوك، ولكنه ﷺ قال لعمه:

{ يا عماه ، لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي ، وَالْقَمَرَ فِي يَسَارِي ، عَلَى أَنْ أَتْرُكَ هَذَا الأَمْرَ ، حَتَّى يُظْهِرَهُ اللَّهُ أَوْ أَهْلِكَ فِيهِ مَا تَرَكْتُهُ }[٧]

إذاً النبي ﷺ ليس عنده هوى وقد قال الله فيه! ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ (النجم) قوله وحيٌ، وعمله وحيٌ، وتشريعاته كلها وحيٌ، وتوجيهاته ووصاياه كلها وحيٌ، إذاً الخطاب في هذه الآية للأمة: ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ أي كل رجلٍ في الأمة يميل بهواه لقصدٍ غير ما يريده مولاه أو حبيب الله ومصطفاه يكون من الظالمين كما نصَّ الله ﷻ

٧ تاريخ الطبري عن ابن عباس ﷺ

معرفة أهل الكتاب بالنبي

وبيَّن الله ﷻ حقيقة أهل الكتاب وقال فيهم:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡ ﴾!

هل يوجد أحدٌ لا يعرف إبنه؟! هم كذلك، دقة الوصف الذي وُصف به النبي ﷺ على لسان موسى وعيسى وذُكر في التوراة والإنجيل الصحيح يجعلهم يعرفون النبي أكثر من معرفتهم لأبنائهم، ولذا يروى أن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل عبد الله بن سلام بعد ما أسلم فقال له: هل كنت تعرف النبي كمعرفتك بإبنك؟ قال: كنت أعرف النبي أكثر من معرفتي لإبني، قال: كيف؟ قال: نزل أمين السماء على أمين الأرض بصفات هذا النبي فصدقناه وعرفناه، لكن إبني لا أعرف حقيقته عند أمه، فهذا معنى الآية التي ذكرها هذا الحبر من أحبار اليهود:

﴿ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾!

وهذا حدث لما أسلم سيدنا عبد الله بن سلام فقال:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ بُهْتٌ، وَإِنَّهُمْ إِنْ يَعْلَمُوا بِإِسْلامِي يَبْهَتُونِي عِنْدَكَ، فَأَرْسِلْ إِلَيْهِمْ، فَاسْأَلْهُمْ عَنِّي أَيُّ رَجُلٍ ابْنُ سَلامٍ فِيكُمْ؟،

قَالَ : فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ ، فَقَالَ : أَيُّ رَجُلٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلامٍ فِيكُمْ؟ ، قَالُوا : خَيْرُنَا ، وَابْنُ خَيْرِنَا ، وَعَالِمُنَا ، وَابْنُ عَالِمِنَا ، وَأَفْقَهُنَا ، وَابْنُ أَفْقَهِنَا ، قَالَ : أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ تُسْلِمُونَ؟ ، قَالُوا : أَعَاذَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ ، قَالَ : فَخَرَجَ ابْنُ سَلامٍ ، فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، قَالُوا : شَرُّنَا ، وَابْنُ شَرِّنَا ، وَجَاهِلُنَا ، وَابْنُ جَاهِلِنَا ، فَقَالَ ابْنُ سَلامٍ : هَذَا الَّذِي كُنْتُ أَتَخَوَّفُ مِنْهمُ }[8]

﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾

إياك أن تشك لحظة في كلام الله، وأيضاً وهذا الخطاب لأمة النبي: إياكم أن تشكوا في أى شرعٍ أو أى أمرٍ أو أى وصية جاء بها شرع الله، أو جاء بها نبي الله، وهذا الكلام حدث في هذه الأيام التي نحن فيها الآن، وزاد عن الحد من أُناسٍ جهلاء أُعطوا منصَّاتٍ في الفضائيات ويريدون أن يفسروا كلام الله بأهوائهم، وأن يُفتوا في دين الله بضلالهم؛ لأنهم حادوا عن الحق وبعدوا عن الصواب، لكن المؤمنين آمنوا بكل ما جاء به النبي: ﴿ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ (٧آل عمران) ما فهمنا مقاصده

فنحمد لله، وما لم نفهم مقاصده عملنا به وتركنا أمره لله، لأن العقل الذي خلقه لنا الله ليس له الإحاطة بالتشريع الذي جاء به رسول الله إلا بقدر ما يعلمه الله ﷻ.

---

٨ مسند أحمد وابن حبان عن أنس ﷺ

﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾!

أراح الله ﷻ نبيه من جهة هؤلاء، فعرف أنها إرادة الله، فهو الذي يولِّي هذا للمشرق وهذا للمغرب وهذا لليهودية وهذا للنصرانية، ونحمد الله ﷻ على أن وجهنا للديانة الإسلامية الحنيفية فضلاً من الله ونعمة! ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (الحجرات) ﴿ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ (الشورى)

فنور الله ﷻ الذي يتفضل به علينا الله فضل من الله وإكرام من الله، فأمرنا الله ﷻ أن نستبق فعل الخيرات، ونعمل على زيادة النوافل والقربات، ونستزيد من الصالحات؛ لأننا نعلم علم اليقين أننا في الختام سنُجمع عند الله:

﴿ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا ﴾!

كلنا بعد الفناء وبعد الموت سيجمع الله الكل في يوم معلوم في موقف محتوم لا يستطيع أحدٌ أن يجادل عن نفسه، ولا يستطيع أن يكذب لأن:

﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ﴾ (الكهف)

وستظهر الحقائق كما هي:

﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾

حكمة تكرار الأمر بالتوجه إلى البيت

ثم كرر الله ﷻ الأمر للنبي لحكمٍ علَّمها الله ﷻ لمن يشاء من عباده، حتى لا نشك ولا نرتاب أولاً، فقال له:

﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ ﴾

يعني حتى لو سافرت لأي مكان:

﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾

تأكيداً على أن هذا هو الحق حتى لا نشك لحظة في أمر الله جل في علاه:

﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾

ولذلك إذا سافر الإنسان يتحرَّى أن يتجه إلى القبلة، ويحاول قدر استطاعته أن يتجه إلى القبلة، ليس له عذرٌ في ذلك إلا إذا لم يستطع تبين الأمر بياناً شافياً، ففي هذا الوقت يكون عذره: ..

﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾

إذا كان الإنسان في سفرٍ ويصلي على أى حالة فعليه أن يولِّي وجهه جهة القبلة ولو لحظة نية الإحرام، ثم بعد ذلك يتجه كما يشاء (المركبة أو الركب السائر) كما رأى بعض أصحاب المذاهب الفقهية.

أما المذهب المعتمد ففي الفريضة لا بد من الإتجاه إلى القبلة، وفي النوافل يجوز أن يتجه الإنسان مع نية الإحرام إلى القبلة ثم يجلس في الكرسي الذي هو فيه، أو في المكان الذي هو فيه في أى اتجاه، لأنه قد يكون قلبه مع الله وقالبه اتجه في البداية إلى القبلة كما شرع الله لحبيبه ومصطفاه ﷺ.

وحتى لا تظن الأمة أن هذا الأمر للنبي كرر الله الأمر وقال:

﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ ﴾

يعني اصرف وجهك:

﴿ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾

يعني تجاه المسجد الحرام، وقال لنا:

﴿ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾!

يعني اصرفوا وجوهكم تجاه المسجد الحرام ... !!

كرر الله هذا الأمر ثلاث مرات، لماذا؟

تأكيداً لهذا الأمر وأنه من عند الله، وبعض السادة الأجلاء قالوا: قال ﷺ:

{ الْبَيْتُ قِبْلَةٌ لأَهْلِ الْمَسْجِدِ ، وَالْمَسْجِدُ قِبْلَةٌ لأَهْلِ الْحَرَمِ ، وَالْحَرَمُ قِبْلَةٌ لأَهْلِ الأَرْضِ فِي مَشَارِقِهَا وَمَغَارِبِهَا مِنْ أُمَّتِي }[9]

- فإذا كنت في المسجد الحرام فيكون الإتجاه إلى الكعبة نفسها.
- وإذا كنت في مكة يكون الإتجاه للمسجد وليس للكعبة.
- وإذا كنت في أى موضع في الأرض يكون الإتجاه إلى مكة حتى يذكر الحالات التي يكون فيها الناس للإتجاه إلى الصلاة في كل أنحاء الدنيا.

لماذا شرفتنا يا رب بهذا الأمر، وأمرتنا به؟

لعدة حكم إلهية ذكرتها ختام هذه الآية القرآنية:

---

٩ سنن البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما

أولاً:

﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ ﴾!

حتى لا يكون لأحدٍ حُجة ويقول أن ذلك من عند النبي، أو أن ذلك رغبة منكم في الرجوع إلى قبلة إبراهيم، وإنما أكَّد الله هذا الأمر ثلاث مرات.

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ ﴾ !

وليس لنا شأنٌ بالظالمين لأنهم يقولون ويهزأون بما يريدون به تحويل الحق باطلاً والباطل حقاً.

ثانياً!

﴿ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِي ﴾!

حتى تصلوا إلى مقام الخشية، فأساس العلاقة بين المؤمن وربه هي خشية الله، ومن وصل إلى مقام خشية الله فذلك الذي في المقام الأعظم عند الله:

﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ (فاطر)

والخشية هي حقيقة الخوف في القلب، وفي باطن القلب من الله ...

غغ ﷻ! ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ !

الذي يخشى الله ولا يخشى الخلق فهذا المقام الأعلى!

فقد يخشى الإنسان الله، لكنه يراقب الخلق ويخاف من ملاماتهم وهذا مقام!!

لكن المقام الأعلى أن يخشى الله ولا يخشى أحداً إلا الله:

﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَـٰلَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ﴾

ثالثاً: تمام النعمة:

﴿ وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ ﴾!

فإن الله أتم على المؤمنين النعمة بأن أتمَّ عليهم الدين، واكتملت شرائع الله ﷻ في دين سيد الأولين والآخرين، وجعل الله ﷻ كل ما يريده من خلقه من الأولين والآخرين مجملاً ومفصلاً فيما أتى به سيد الأولين والآخرين ﷺ:

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾

فدين الإسلام هو دين الكمال:

لأن الأرض حدث فيها اكتمال للعقول واكتمال للأجسام واكتمال للقلوب وللنفوس فأنزل الله ﷻ الكمالات الإلهية التي يرجوها من البشرية على يد خير البرية ﷺ ... وهدى الله هذه الأمة وهو مسك الختام:

﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾!

ولعلكم تهتدون إلى مالم يهتدي إليه غيركم من الأمم!!

فقد أرادوا أن يهتدوا إلى الحق ولكن الله ﷻ لدهائهم ومكرهم وحيلهم صرفهم عنه وهدى هذه الأمة إلى الحق المبين.

نسأل الله ﷻ أن يُتم علينا نعمته، وأن يتنزل علينا بسكينته، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

الفصل الرابع: شهر رمضان□

آيات أحكام الصيام□

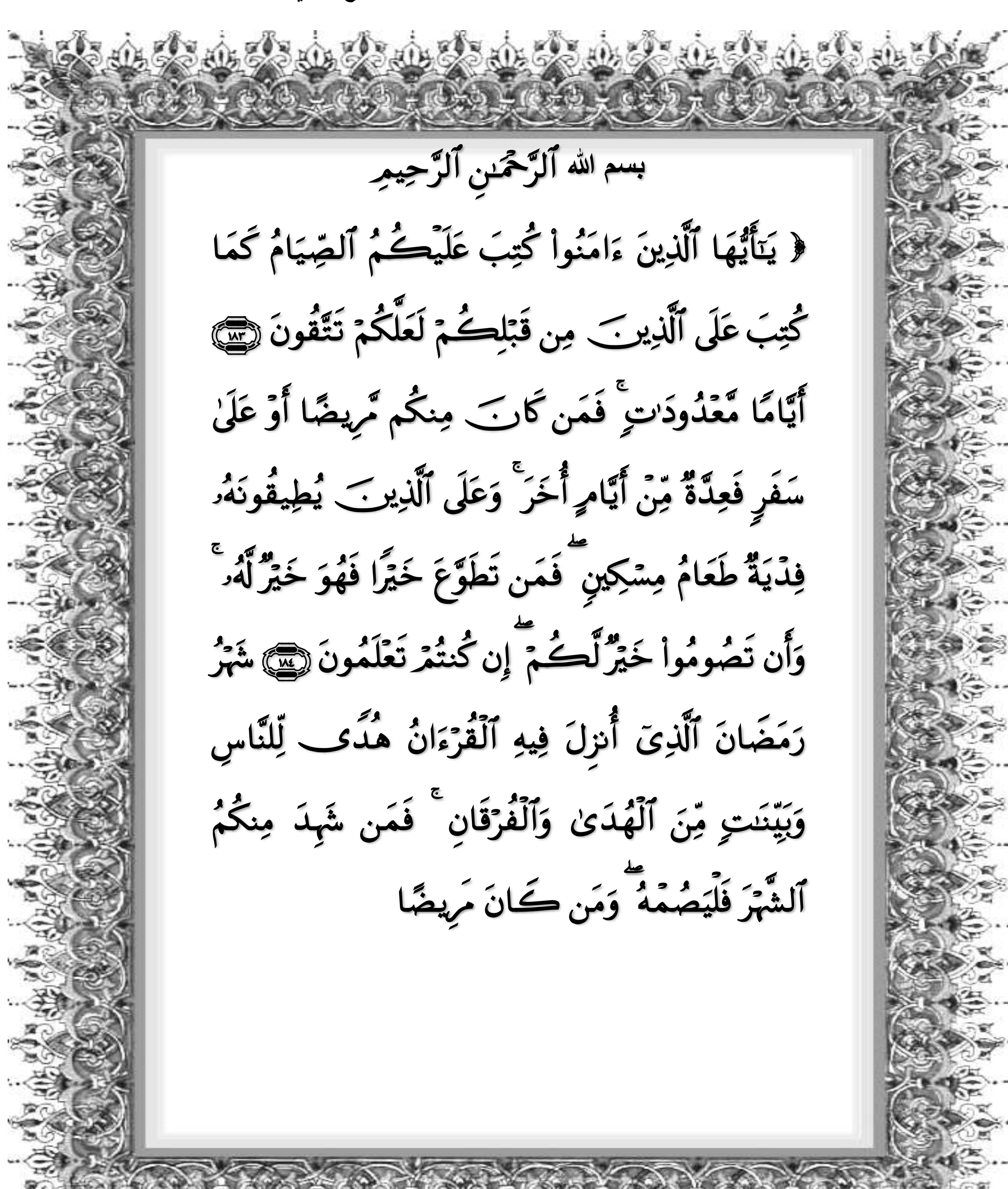
دروس من غزوتي بدر وأحد

إشارات في آيات غزوتي بدر وأحد

غزوة بدر

فتح مكة□

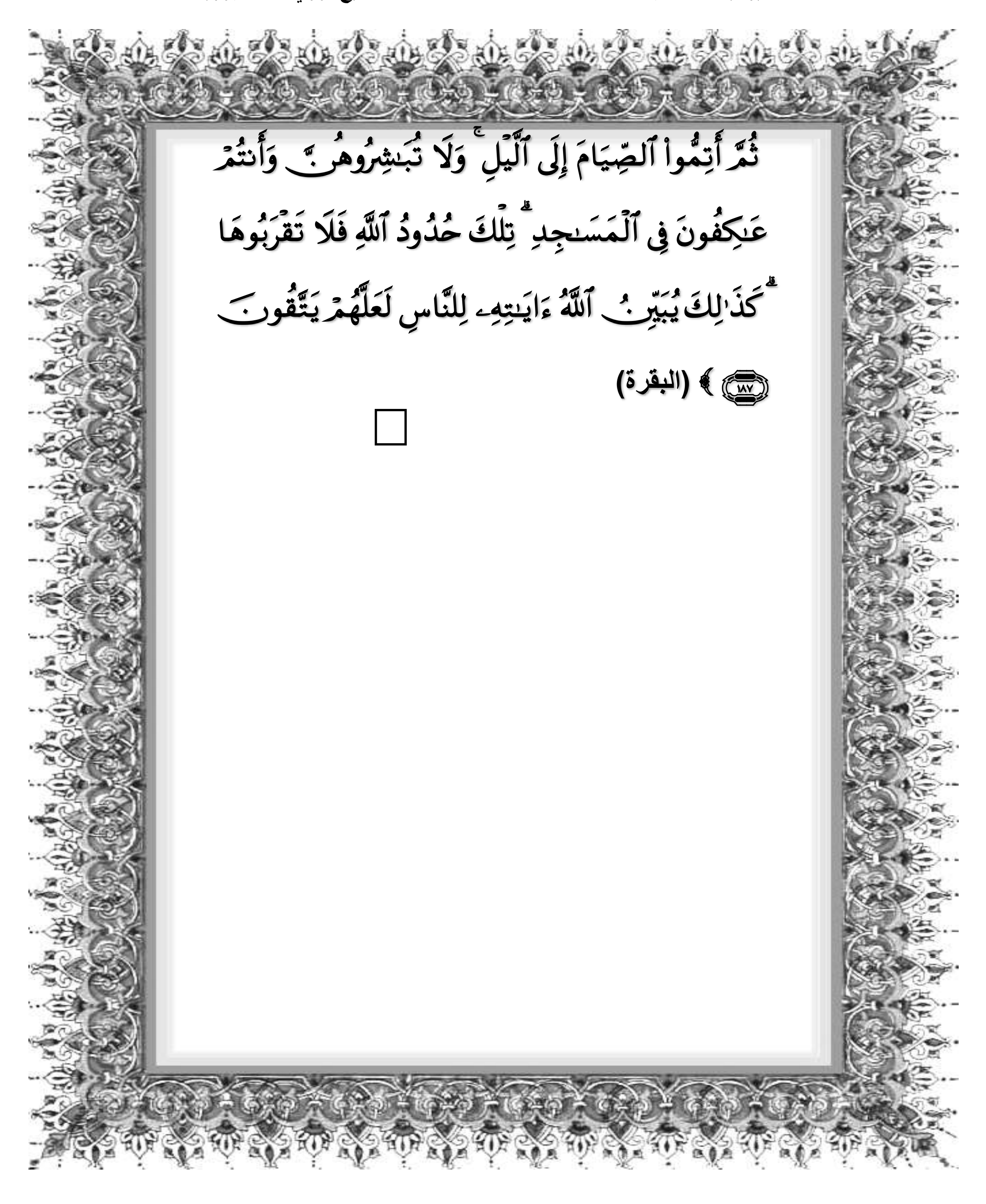
ليلة القدر



بسم الله ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا

أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ



ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ (البقرة)

٧. آيات أحكام الصيام□

٧. آيات أحكام الصيام[1]

بسم الله الرحمن الرحيم - الحمد لله الذي أهَّل قلوبنا لسماع القرآن، وجعلنا أهلاً للعمل بالقرآن، فدخلنا جميعاً في قول النبي العدنان ﷺ:

{ مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ تَعَالَى يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ }[2]

وهذا سر بدايتنا الدروس بالتلاوة لتنفيذ الحديث، فهنيئاً لكم جميعاً هذا المقام، اللهم صلِّ وسلم وبارك على من اجتباه مولاه وطهَّر قلبه لنزول القرآن، وأهلَّ ظاهره للعمل بالقرآن، وأنطق لسانه بحقائق القرآن، وجعله ﷺ صورة القرآن الحية بين المؤمنين؛ سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

الحقيقة أن آيات كتاب الله ﷻ لا منتهى لسعة معانيها، ومهما تكلم المتكلمون وفسر المفسرون يبق في كلام الله ﷻ المكنون علم مضنون، وسر مصون، ونور مكنون؛ يكشفه الله ﷻ على مدى الزمان إلى أن يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها.

ونحن لا نستطيع في هذه العجالة السريعة أن نحيط ببعض معاني هذه الآيات الكريمة، لكن حسبنا أن نقف عندها وقفة لنجد أن فيها كل ما نحتاجه في الصيام وفي شهر الصيام من الذي طلبه منَّا الملك العلام ﷻ.

---

١ هذا الدرس كان بالمعادي ١٥ من رمضان ١٤٣٦هـ ٢٠١٥/٧/٢م
٢ سنن أبي داود عن أبي هريرة ﷺ

أولاً يكفينا شرفاً وفخراً وتَيهاً أن الذي ينادي علينا هو الله، لأن الله لا ينادي إلا على أحبابه، لم يكن ينادي على اليهود في التوراه إلا بقوله لهم ﷻ: (يا أيها المساكين)، لكنه يقول لنا: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ تشريف كريم من رب كريم جعلنا أهلاً لهذا المقام الكريم ببركة الرءوف الرحيم سيدنا محمد ﷺ، وعندما يشهد الله ﷻ لنا بالإيمان فهذا يجلب الطمأنينة والسكينة لكل خائف حيران من الخاتمة التي يحذرنا منها حضرة الرحمن، لأن الله ﷻ لا يمكر بطالب ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ ثبتت وانتهت.

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾!

أي فرض ﴿ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ والغاية والسر:

﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾!

بيَّن الله في هذه الآية الحكمة العالية من فرض الصيام؛ أن الله ﷻ فرض على المؤمنين الصيام ليرتقوا إلى مقام الأتقياء الأنقياء، وكلمة (لعلَّ) في القرآن بمعنى اللام (كُتب عليكم الصيام كما كُتب على الذين من قبلكم لتتقون) ليست بمعنى الترجي كما هو في اللغة، لكن تأكيد أنهم إذا صاموا كما ينبغي وصلوا إلى درجات الأتقياء، لأن الصيام سر بين العبد وربه، لا يطلع على الصائم إلا الله، ولا يراقب في صومه إن أراد أن يُفطر إلا مولاه، وهذه أكبر درجات التقوى وهي مراقبة الله ﷻ في السر والعلن ....

﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾:

والصيام مع أنه شهر - كما وضَّح الله بعد ذلك - بيَّن أنه بمعونة وتوفيق الله ورعاية الله لنا يمر كأنه أياماً معدودات وهذه حكمة تجدها على الدوام، لا تشعر الناس بأيام رمضان لأن الله يغمر قلوب الصائمين بنفحات إحسانه، وبرحيق إيقانه فيمر عليهم الشهر كأنه أيام معدودات، وفي ذلك يقول بعض الصالحين: (سَنَة الوصل سِنَة، وسِنَة البعد سَنَة) سَنة في الوصل مع الله تمر كأنها طرفة عين، وإذا كان الإنسان في البعد فاللحظة تمر عليه كأنها سَنة، فلأنهم في مواصلات مع الله تمر هذه الأيام كأنها لحظات.

﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾:

هذه أحكام الصيام كلها:

الصحيح يصوم والمريض بحسب أمراض العصر وما يستجد في كل عصر، أو السفر أياً كان نوعه لأن السفر دائماً فيه مشقة حتى ولو كان بالطائرة.

﴿ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾:

لا ييأسوا ولا يقنطوا من رحمة الله، فإن الله ﷻ يسَّر لهم الأمر وطلب منهم أن يقضوا هذه الأيام في أيام أخرى، بعد شهر رمضان إن شاء الله.

﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ ﴾

الذين يصومونه مع المشقة البالغة، فإن كانت المشقة يتوقع منها الضرر يصوم، فإذا جاء الضرر وجب عليه الفطر والإعادة، وإذا كانت المشقة محققة الضرر يحرم عليه الصيام لقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾ (البقرة) وإنما عليه أن يُفطر، فإن استطاع أن يصوم بعد ذلك فله ذلك، وإن لم يستطع نظراً لظروف كبر سنه أو مرضه الميئوس من علاجه فعليه: ﴿ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ وطعام المسكين يكون سحوراً وفطور عن كل يوم من أيام فطره في شهر رمضان، ويستطيع أن يُخرج القيمة كما أفتى بذلك ساداتنا الأحناف، ولهم في ذلك مخرج لطيف أخذوه من سُنة النبي الشريف ﷺ، فإن المتعنتين والمتشددين لسوء فهمهم لكلام الله، وجهلهم بحقيقة فحوى خطاب رسول الله يشددون على الخلق ويأمرون أن تكون الفدية أو زكاة الفطر لا بد أن تكون من الحبوب، لكن الإمام أبو حنيفة ﷺ أخذ فتواه من قول سيدنا معاذ بن جبل ﷺ عندما أمره النبي ﷺ أن يذهب إلى اليمن ويجمع الزكاة، وكان أهل اليمن في ذلك الوقت أغلب زراعاتهم العنب، ويصنعون منه الزبيب، وكان أكلهم الزبيب وتجاراتهم في الزبيب، فجاءوا بزكاتهم زبيب، ومعاذ هو الذي قال له حضرة النبي عندما أرسله:

{ كَيْفَ تَقْضِي إِذَا عَرَضَ لَكَ قَضَاءٌ؟، قَالَ: أَقْضِي بِكِتَابِ اللَّهِ، قَالَ: فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي كِتَابِ اللَّهِ؟، قَالَ: فَبِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلا فِي كِتَابِ اللَّهِ؟، قَالَ: أَجْتَهِدُ رَأْيِي وَلا آلُو، فَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَدْرَهُ، وَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ لِمَا يُرْضِي رَسُولَ اللَّهِ } [٣]

أُعجب بهذا المنهج العظيم الذي عليه معاذ، وشهد له النبي ﷺ بأنه بلغ درجة الاجتهاد، فلما جاءوا بالزبيب قال: يا أهل اليمن ائتوني بثياب، أنتم في حاجة إلى الزبيب ولا تستطيعون الاستغناء عنه وأصحاب رسول الله ﷺ في حاجة إلى الثياب، فصنعوا ذلك، وكان الأمر على ذلك ...

ومن هنا استنبط الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه هذا الرأي العظيم وهو القيمة، وأبو حنيفة هو الذي يقول فيه الإمام مالك رضي الله عنه: (لو أراد أبو حنيفة أن يُثبت لقوم أن هذا الأسطوان – العامود – ذهباً لأثبت ذلك) لقوة حجته وتمكنه في دين الله عز وجل.

---

٣ سنن أبي داود

﴿ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ﴾ وفيها معاني لا تعد ولا تحد، أي من تطوَّع وصام أيام النوافل والقربات بعد رمضان فهو خير له، ومن تطوع فزاد على إطعام مسكين فأطعم أكثر من مسكين فهو خير له، ومن تطوع فصام بعد ذلك وأطعم مسكيناً فهو خير له، فالتطوع هو الزيادة في عمل البر والخير إلى الله ﷻ.

ثم خاطب الله ﷻ المؤمنين ليتشبثوا بروح العزيمة واليقين، ولا يلجأوا إلى التساهل فقال: ﴿ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ حتى لا يلجأ إلى هذه الرُخَص إلا من كان فعلاً يستحقها ومن أهلها، ولذلك نقول للأحباب الذين يريدون أن يفطروا: لا بد لك من أمر من الطبيب، إياك أن تفطر من نفسك إلا في حالة واحدة؛ إذا أشرفت يوماً على الهلاك، وتحققت أنك هالك لا محالة فهنا ينبغي عليك الفطر، وتعيد هذا اليوم، لكن لا تُفتي نفسك في مرض، أنا مريض بكذا فيجب أن أفطر، ولا تقيس على الأشباه والأمثال، فلان كان مريض بهذا المرض وأباح له الطبيب الفطر، لكن لا بد أن تأخذ فتواك من طبيب مسلم أمين حتى تدخل في هذا النطاق، لأن الله ﷻ حذَّر من ذلك في قوله: ﴿ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾.

هذه الأيام التي نصومها متى يا رب؟ ولِمَ؟ أجاب الله ﷻ على السؤالين في جملة واحدة، هذه الأيام قال: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ﴾

إذاً يحرم الصيام الفريضة إذا حولناه إلى غير رمضان، إو إذا اجتهدنا كما يجتهد البعض ويحاول أن يقلد – حاشا لله ﷻ - مَن قبلنا، فإن مَن قبلنا تركها الله ﷻ عامة، قد يكونوا شاركونا في فريضة الصيام لكن أيامهم ليست كأيامنا، وأوقاتهم ليست كأوقاتنا، وأحوال صيامهم ليست كأحوال صيامنا، فليس لنا شأن إلا بما نزل على نبينا ﷺ، إذاً الصيام شهر رمضان، والشهر كم يوم؟ قال ﷺ:

{ إِنَّ الشَّهْرَ يَكُونُ تِسْعَةً وَعِشْرِينَ يَوْمًا } [٤]

لا ينقص عن ذلك، ولذلك حدث أن صامت بعض الدول ثماني وعشرين يوماً ثم طلبوا من أهل البلد بعد العيد أن يعيدوا هذا اليوم، لانه لا ينبغي لشهر قمري أن يكون ثمانية وعشرين.

وقد فوجئنا منذ أيام بأمر عجيب وغريب، والأعجب أنه من وزير الأوقاف في دولة الجزائر الشقيقة، صحيح أنه ليس عالم دين، لكن منصبه وزير أوقاف، حَسَب حسبة حسابية وقال: اليوم الآن صيام ستة عشر ساعة، واليوم في الشتاء يكون حوالي ثماني ساعات، فإذا صمنا ثماني ساعات الآن فتُحسب يوم، وقال: إذاً الآن نصوم ثلاثة عشر يوم فقط!! كأن اليوم بيومين!!، هاج عليه علماء الجزائر وماجوا عليه لأن هذا اجتهاد في غير محله، وأثار بلبلة.

---

٤ البخاري ومسلم عن أم سلمة رضي الله عنها

الله ﷻ قال: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ﴾ فالصيام شهر، متى نصوم ومتى نفطر؟ قال ﷺ وهو المُبين للقرآن:

{ صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ، فَإِنْ غُبِّيَ عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا عِدَّةَ شَعْبَانَ ثَلاثِينَ }[٥]

إذاً الصيام من بداية الشهر إلى نهايته، ونحن نصوم شهر رمضان لأنه:

﴿ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ وكأن الله ﷻ يقول لنا بلسان الإشارة: إن القرآن نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بعد صفاء القلب وطهارته، فينبغي عليكم أن تعيشوا شهراً في العام تُطَّهروا فيه القلوب، وتتحفظوا فيه على بداوات وهفوات النفوس، وتعيشوا مع كلام القدوس لتعيشوا معانيه، ثم تمشوا بقية العام تنفذوا ما فيه، تحظوا بفضل الله ﷻ وإكرامه على الدوام.

وهذه دعوة مباشرة للأمة للإنشغال في هذا الشهر لكريم بتلاوة القرآن، لأنه شهر القرآن، وخاصة أن الذي أُنزل عليه القرآن ﷺ كان يقرأ القرآن في شهر رمضان في كل عام مرة، وفي العام الذي انتقل فيه إلى جوار الله قرأه مرتين، وهذا أيضاً يدلنا على أنه ليس الشأن شأن العدد، ولكن التدبر والتمعن في كتاب الله: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ (١٧القمر).

---

٥ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

لو كان الشأن شأن العدد لخَتمه الرسول ﷺ خمس أو ست مرات، لكن مرة واحدة، لماذا؟ يتدبر ويتمعن في كلام الله ﷻ.

﴿ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ ووجَّهنا الله ﷻ أن نتلمَّس في القرآن ونحن نتلو؛ الهداية التي بثها الله ﷻ فيه للناس، كيفية هداية الناس إلى رب الناس، وهذه الآيات التي نزلت في مكة، والتي تتحدث عن عجائب خلائق الله، وعن إبداع صنع الله، وعن آيات الله في الآفاق وفي الأنفس، وهذه الطريقة الرشيدة السديدة لهداية الخلق إلى دين الله ﷻ.

﴿ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِ ﴾ وأن نتدبر أيضاً ما فيه من البينات، يعني الأمور والمسائل الواضحات للمؤمنين والمؤمنات، والتي فيها الهداية إلى الطريق الموصل إلى رضوان الله وإلى جنة الله وإلى إكرام الله، والتي فيها المفارقة والمباينة بين الحق والباطل، والحلال والحرام، والطيب والخبيث، فنتعلم نحن جماعة المؤمنين ما يُوصِّلنا إلى الله من كتاب الله، وإلى رضوان الله وإكرام الله، وأحكام الحلال والحرام حتى لا نقع فيما حرَّمه الله، بل نمشي دوماً على الحلال الذي أحلَّه لنا الله ﷻ.

هذه مواضع ذكرها الله، وأمرنا أن نتدبر فيها ونضعها نصب أعيننا ونحن نتلوا كتاب الله في شهر القرآن إن شاء الله.

ثم قال الله تعالى: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ وهذه لها معاني متعددة، فشَهِد يعني حضر، أما من توفاه الله فليس عليه صيام، وليس عليه إكمال، ولا على أهله إكمال الصيام لمن مات في رمضان، وهذا معنى.

﴿ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾: الذي كان عنده مرض مانع من الصيام، أو مسافر سفر شرعي، وذكر الله السفر لنعلم أن السفر الذي يستوجب الفطر له شروط ومواصفات؛ أن يكون السفر أولاً في حلال، وأن يكون السفر يبلغ النصاب الشرعي الذي ورد عن النبي ﷺ وذكره الأئمة الكرام، وهو حوالي ثلاثة وثمانين كيلومتر، وأن يكون هذا السفر يصحبه مشقة وتعب وعناء، فمَن يسافر للهو أو لعب لا ينبغي له الفطر لأنه لا يسافر سفراً شرعياً أباح الله ﷻ للصائم فيه الفطر، والآيات ليست تكرار، وإنما زيادة بيان لكلام العزيز الغفار ﷻ.

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ وهذا الحكم العام الذي ينبغي أن يزن به المؤمن كل أحكام الشريعة المطهرة، ومن جملتها أحكام الصيام، دائماً تراعي اليسر، أرسل النبي ﷺ معاذ بن جبل وأبي موسى إلى اليمن وقال لهما:

{ يَسِّرَا وَلا تُعَسِّرَا ، وَبَشِّرَا وَلا تُنَفِّرَا ، وَتَطَاوَعَا وَلا تَخْتَلِفَا }[٦]

كل أمور الإسلام مبنية على اليسر، وقالت السيدة عائشة رضي الله عنها في رسول الله ﷺ:

{ مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ ، إِلا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا ، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا }[٧]

﴿ وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ ﴾ وبعد إكمال العدة تفرحوا، فينبغي للمسلم أن يفرح بتوفيق الله، فيُكبر الله ويُصلي صلاة العيد على ما وفَّقه له مولاه ﴿ وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ والشكر على نعمة الصيام يكون بإخراج زكاة الفطر للمساكين شكراً لله ﷻ على توفيقه لنا في نعمة الصيام.

أكرم الله ﷻ المؤمنين جميعاً في رمضان بما لا يُعد ولا يُحد، ولا يستطيع أحد ـ ولو مكث إلى أبد الأبد ـ أن يبين بعض عطاءات الله للمؤمنين في شهر رمضان، وأعظم هذه العطاءات وأكرم هذه المنن ما قال فيه الله ﷻ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى ﴾

---

٦ البخاري ومسلم عن عبد الله بن قيس ﷺ
٧ البخاري ومسلم

كلمة (عبادي) تُدوِّب قلوب العارفين، عباده أهل خصوصيته، أهل القرب من حضرته، وأهل عنايته ورعايته على الدوام، لم يقل (وإذا سألك الناس) لكن (إذا سألك عبادي) المطلوبين والمُخلصين والمُغرمين ﴿ عَنِّى ﴾ عن جمالي وعن كمالي وعن جلالي وعن كبريائي ﴿ فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾ أقرب إليهم من أنفسهم، ليس بينك وبين مولاك إلا أنت (فارفع أنا تجد المسرة والهنا) أنت الحجاب، وإذا زال صرت من الأحباب ورأيت وجه الحق ﷻ ظاهراً بلا ستارة ولا نقاب.

فالعبارة أراحت قلوب الظائمين إلى جمال الله، والمتعطشين إلى نظرةٍ من وجه الله، طمأنهم الله ﷻ بقربه ورعايته لهم على الدوام ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾ لكن الباقون عن أي شيء يسألون؟ الذي يسأل عن الأحكام الشرعية، والذي يسأل عن الدنيا الدنية، والأتقى قليلاً يسأل عن الآخرة أو عن النار، أو عن الجنة، لكن الذين يسألون عن الله فهم قليلة قليلة، لذلك قال الله: ﴿ وَإِذَا ﴾

﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ يعني لا يؤخر لمطلوب طلب، إذا دعا الله فوراً يستجيب له مولاه جل في علاه، ولكن بشرط أن يكون هذا الداعي استجاب لله أولاً: ﴿ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى ﴾ وآمن وصدَّق تماماً بكبرياء الله وجلال الله وكمال الله جل في علاه: ﴿ وَلْيُؤْمِنُواْ بِى ﴾ ولذلك قال الله لنا ليقرب لنا هذا الأمر: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ (٢٤الأنفال).

إذاً من الذي يجيبه الله؟

الذي استجاب وأناب، وأصبح في معية الحبيب المصطفى ﷺ على الدوام ﴿ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ وقلنا أن كلمة (لعل) في القرآن بمعنى اللام، فتكون (ليرشدون).

بعض أهل الإشارة قال في هذه الآية: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى ﴾ وجَّه الخطاب لرسول الله، لم يقل (وإذا سأل عبادي عني) فحتى يسألوا لا بد أن يذهبوا أولاً لرسول الله ﷺ، أو من ينوب عن حضرته، ﴿ فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ ﴾

والداع الذي أرسله الله داع واحد، ﴿ إِذَا دَعَانِ ﴾ إذا دعان لكم في أي أمر من الأمور يستجيب له الله فوراً، بلا تردد ولا تمهل ولا إبطاء، وإنما فوراً يستجيب له مولاه جل في علاه.

كان الصيام في بداية فرضيته شاقاً على أصحاب حضرة النبي ﷺ، فقد كانوا يفطرون مع غروب الشمس، ومدة الإفطار إلى أن ينام أحدهم، فإذا نام ابتدأ الصيام، وليس مع طلوع الفجر:

فجاء أحدهم بعد أن كان يعمل طوال النهار ودخل على زوجته بعد أن صلَّى المغرب فقال: هل عندكم طعام أُفطر عليه؟ قالت: أبحث لك، فخرجت تبحث له عن طعام، وعندما رجعت وجدته قد نام من التعب، فواصل صيام اليوم التالي، فرآه النبي ﷺ في اليوم التالي وهو يكاد يهلك فقال: ما بك؟ فحكى له ما جرى، فعن البراء بن عازب ﷺ قال:

{ كَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا كَانَ الرَّجُلُ صَائِمًا فَحَضَرَ الإِفْطَارُ فَنَامَ قَبْلَ أَنْ يُفْطِرَ لَمْ يَأْكُلْ لَيْلَتَهُ وَلا يَوْمَهُ حَتَّى يُمْسِيَ ، وَإِنَّ قَيْسَ بْنَ صِرْمَةَ الأَنْصَارِيَّ كَانَ صَائِمًا ، فَلَمَّا حَضَرَ الإِفْطَارُ أَتَى امْرَأَتَهُ ، فَقَالَ : هَلْ عِنْدَكِ طَعَامٌ؟ قَالَتْ : لا ، وَلَكِنْ أَنْطَلِقُ فَأَطْلُبُ لَكَ ، وَكَانَ يَوْمَهُ يَعْمَلُ فَغَلَبَتْهُ عَيْنُهُ ، وَجَاءَتْهُ امْرَأَتُهُ فَلَمَّا رَأَتْهُ قَالَتْ خَيْبَةً لَكَ . فَلَمَّا انْتَصَفَ النَّهَارُ غُشِيَ عَلَيْهِ ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةَ ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ﴾ فَفَرِحُوا بِهَا فَرَحًا شَدِيدًا }[^8]، وفي رواية مسند الإمام أحمد عن عبد الله بن كعب بن مالك قال:

{ كَانَ النَّاسُ فِي رَمَضَانَ إِذَا صَامَ الرَّجُلُ فَأَمْسَى ، فَنَامَ ، حَرُمَ عَلَيْهِ الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ وَالنِّسَاءُ حَتَّى يُفْطِرَ مِنَ الْغَدِ ، فَرَجَعَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَقَدْ سَهِرَ عِنْدَهُ ، فَوَجَدَ امْرَأَتَهُ قَدْ نَامَتْ ، فَأَرَادَهَا ، فَقَالَتْ : إِنِّي قَدْ نِمْتُ ، قَالَ : مَا نِمْتِ ، ثُمَّ وَقَعَ بِهَا ، وَصَنَعَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَغَدَا عُمَرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ }. □

ثم ذكر الله أمراً غريباً وعجيباً ينبغي أن يكون عليه كل مؤمن ومؤمنة زوجين:

﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾!

[^8]: صحيح البخاري وجامع الترمذي

هي تسترك وأنت تسترها، هي تعينك وأنت تعينها على أمور الدنيا وعلى طاعة الله ﷻ، فكأن الإثنين شخصٌ واحد، لذا ينبغي أن يكون الرجل مع زوجته كأنهما شيء واحد ... إذاً ما سبب الفصام الذي حدث في مجتمعنا في هذا العصر، وكل زوجين بينهما مشاكل وخلافات؟!

- كل هذا إما نتيجة الجهل بدين الله ﷻ، ..
- وإما للإنشغال الزائد عن الحد بالدنيا التي ضمن الله ﷻ لنا فيها الأرزاق الحلال.

﴿ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ ﴾!

انظر إلى دقة اللفظ القرآني، لم يقل (تخونون) لأنها ليست خيانة، مع أنها خروج عن الأمر، لكن ﴿ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ ﴾! معناها أنكم تلعبون بنفوسكم بعيداً عن شرع الله ﷻ ... ﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ﴾! تاب وعفا، وهذا من فضل الله، تاب وعفا عما مضى.

﴿ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ ﴾ افعلوا ما تريدون، لكن ﴿ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾! أهم شيء أن تبحثوا عن الأوامر التي طالبكم بها الله، وتحاولوا أن تسيروا على الهَدي الذي بيَّنه لكم رسول الله ﷺ.

﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ ﴾! تصريح ... ﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ﴾!

وضع علامات لبداية الصيام ونهاية الصيام، منذ ظهور أنوار الصباح وبداية انقشاع الليل إلى غروب الشمس، بعض أصحاب حضرة النبي ﷺ كانوا على سذاجتهم، حتى أن أحدهم كان مَلكاً وهو عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ ﷺ، قَالَ:

{ لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ ﴾، عَمَدْتُ إِلَى عِقَالٍ أَسْوَدَ وَإِلَى عِقَالٍ أَبْيَضَ، فَجَعَلْتُهُمَا تَحْتَ وِسَادَتِي، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ فِي اللَّيْلِ فَلَا يَسْتَبِينُ لِي، فَغَدَوْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرْتُ لَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنَّمَا ذَلِكَ سَوَادُ اللَّيْلِ وَبَيَاضُ النَّهَارِ [٩] }

٩ صحيح البخاري والترمذي

وفي رواية أخرى قال: **{ يَا رَسُولَ اللَّهِ، ﴿ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ ﴾، أَهُمَا الْخَيْطَانِ؟ فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: لا يَا عَرِيضَ الْقَفَا، وَلَكِنَّهُ سَوَادُ اللَّيْلِ، وَبَيَاضُ النَّهَارِ }** [10]

وعريض القفا كناية على أنه بطيء الفهم، ورسول الله لم يقلها له مباشرة بل استخدم لغة الكناية، وهذا الأدب النبوي الذي يُعلِّمه لنا سيدنا رسول الله، فتستطيع أن تعبر لأي إنسان بما تريد ولكن بلغة الكناية.

وبيَّن الله ﷻ حتى لا يفوته في كلماته شيء مما يحدث في رمضان سُنَّة الاعتكاف فقال: **﴿ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِ ﴾**:

المعتكف الذي ينوي أن يمكث في المسجد وقتاً لطاعة الله ﷻ، وشرطه أن يكون على وضوء، وأن يكون في مسجد، وألا يتحدث مع من حوله إلا لضرورة كسؤال شرعي أو أمر ضروري، ولا يخرج من المسجد إلا لضرورة، كأن يخرج للطعام، أو لقضاء الحاجة، أو للوضوء، لكن لا يخرج لعيادة مريض، ولا يخرج لتشييع جنازة، وغير ذلك.

10 مستخرج أبي عوانة

فكان أصحاب حضرة النبي ﷺ ورضوان الله تبارك وتعالي عليهم يخرجون لقضاء حاجاتهم مع زوجاتهم ويرجعون ويعتبرون أن هذا الأمر حاجة، فنهى الله ﷻ عن ذلك فقال: ﴿ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ ﴾ والمباشرة يعني الجماع ﴿ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِ ﴾ ما دام نوى الاعتكاف فيجب أن ينتهي عن هذا الأمر.

والاعتكاف يسَّره الله ﷻ لنا، فالإمام الشافعي ﷺ قال:

الاعتكاف يجوز في أي وقت من العام، وأقله لحظة.

بمعنى: إذا دخلت المسجد في أي وقت قبل أي صلاة وبمجرد أن تدخل وتُصلي ركعتى السنة أو تحية المسجد تنوي الاعتكاف فتقول بقلبك: نويت الاعتكاف لله تعالى، وأنت على وضوء، كل ما عليك أن تشغل نفسك بعد هذه النية بطاعة الله، إما ذكر، أو استغفار، أو صلاة على حضرة النبي، أو تلاوة قرآن، أو مطالعة درس ديني نافع، ولو تكلمت مع من حولك فقد فسد الاعتكاف، وعليك أن تنوي الاعتكاف من جديد ... إذاً كلما أدخل المسجد أعتكف، وثوابه يقول فيه ﷺ:

{ من اعتكف فُواقَ ناقةٍ فكأنما أعتقَ نسمةً من ولدِ إسماعيلَ } [11]

وفي بعض الاثر: **(من اعتكف قدر فواق ناقة - حلب الناقة - كُتب له أجر حجتين وعمرتين تامتين مقبولتين).**

---

١١ نقله الشوكاني في السيل الجرار، وأورده العقيلي

انظر إلى فضل الله علينا، وانظر إلى الناس كيف تُضيع هذا الفضل؟!! كم يستغرق حلب الناقة؟ عشر دقائق مثلاً، لماذا لا أدخل قبل الصلاة بعشر دقائق وآخذ هذا الثواب، وفي كل يوم طوال العام! ثواب تضيعه الناس وغير ملتفتة إليه.

﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ﴾ الحدود الشرعية، وهي التشريعات الإلهية التي أنزلها الله لنا، قال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ حَدَّ حُدُودًا ، فَلا تَعْتَدُوهَا } [12]

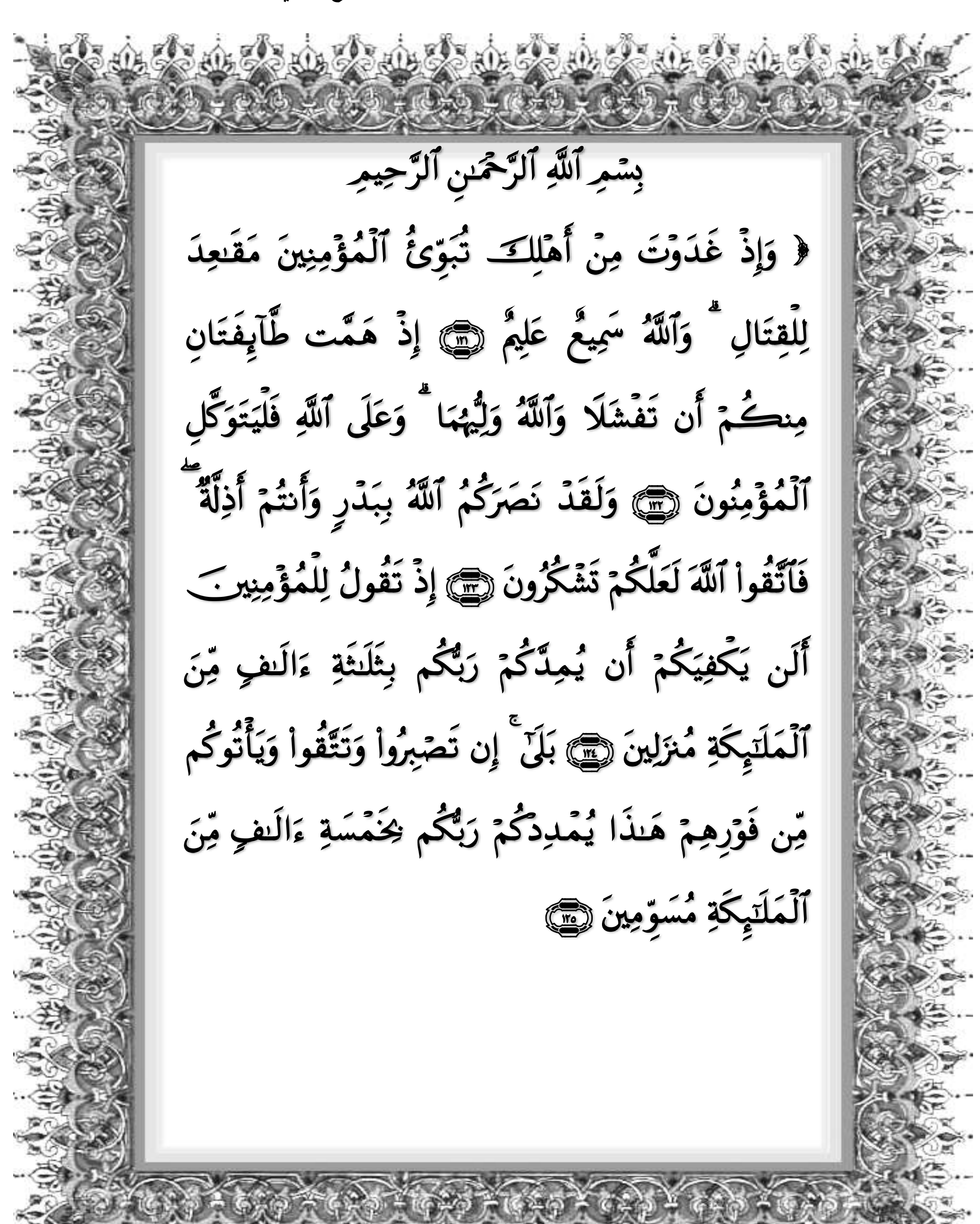
﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ لنصل إلى التقوى.

نسأل الله ﷻأن نكون من الأتقياء الأنقياء، ويوفقنا لما يحبه ويرضاه، وحسن المتابعة لسيد الرسل والأنبياء

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

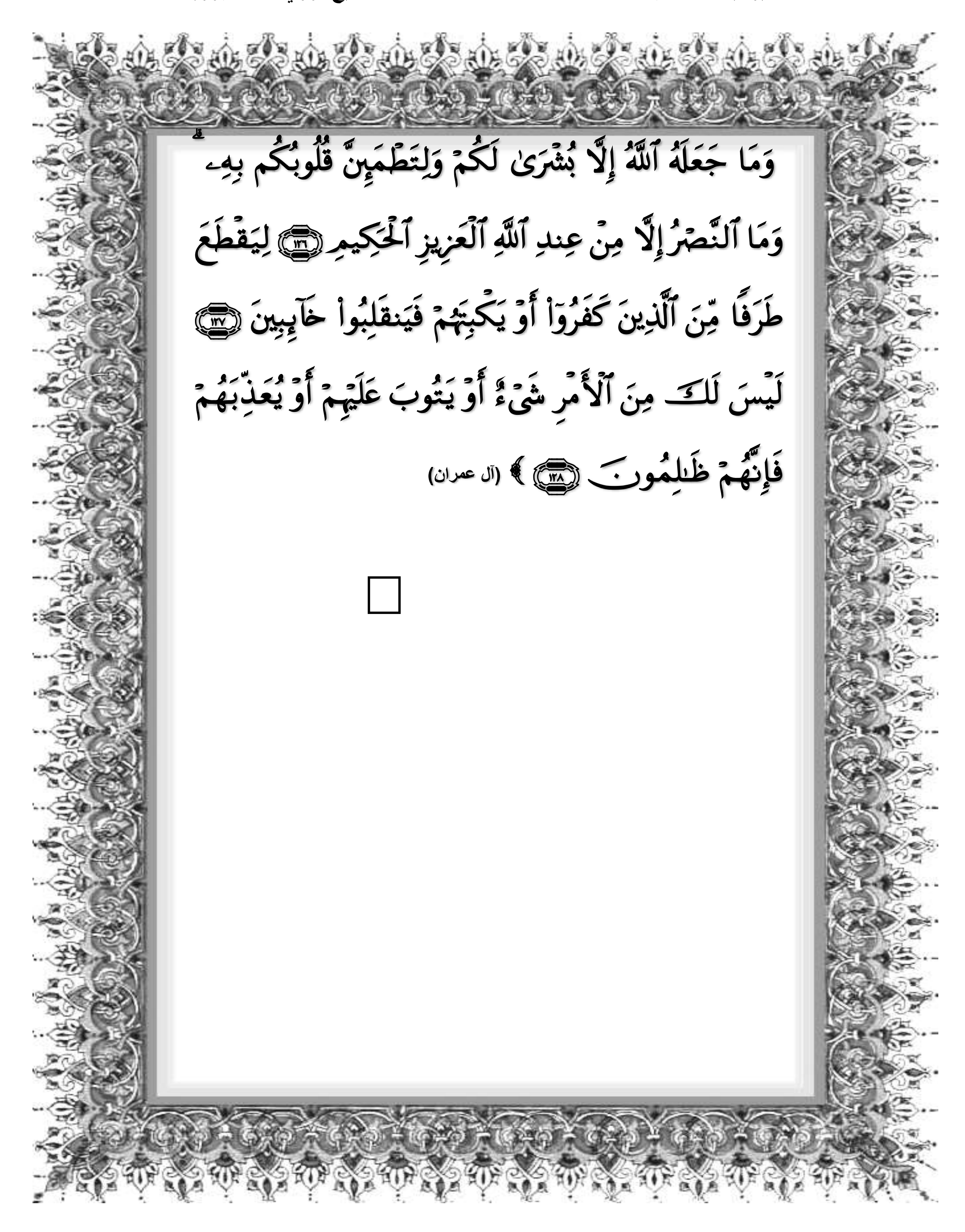
---

12 الحاكم في المستدرك وسنن الدارقطني عن أبي ثعلبة الخشني ﷺ



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَإِذۡ غَدَوۡتَ مِنۡ أَهۡلِكَ تُبَوِّئُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مَقَٰعِدَ
لِلۡقِتَالِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٢١ إِذۡ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ
مِنكُمۡ أَن تَفۡشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَاۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ
ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٢٢ وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ
فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٢٣ إِذۡ تَقُولُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ
أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ
ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ١٢٤ بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم
مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ
ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ١٢٥



وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۗ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١٢٦ لِيَقۡطَعَ طَرَفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡ يَكۡبِتَهُمۡ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ١٢٧ لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ أَوۡ يُعَذِّبَهُمۡ فَإِنَّهُمۡ ظَٰلِمُونَ ١٢٨ ﴾ (آل عمران)

□

٨. دروس من غزوتي بدر وأحد

ملخص الأحداث□

غزوة أحد□

ابتلاء الله للمجاهدين□

التذكير بغزوة بدر□

مدد الله□

نزول الملائكة□

نصر الله□

ما حدث في غزوة أحد□

□

٨. دروس من غزوتي بدر وأحد[١]

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي أكرمنا بأيام مباركة، وليال فاضلة يتجلى فيها على قلوبنا حضرة الله بما يثلج الصدور ويشفي القلوب ويحقق المطلوب لكل عبد مراد لحضرة علام الغيوب، والصلاة والسلام على خير الأنام إمام الدنيا والشفيع الأعظم لجميع الخلائق يوم الزحام، سيدنا محمد المظلل بالغمام، والذي جعله ربه مصباحاً للظلام، ونوراً تاماً لقلوب الخواص والعوام، صلى الله عليه وعلى آله الكرام وصحابته المباركين العظام وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وعلينا معهم أجمعين، آمين يارب العالمين.

هذه الآيات من أعجب الآيات في ذكر غزوات حضرة النبي صلى الله عليه وسلم، لأنها جمعت بين غزوة أحد وغزوة بدر، وكأنهما شيء واحد، وبرَّرت ووضَّحت كل ما توقف عنه المؤرخون والمفسرون في غزوة أحد، وما تم فيها لحضرة النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين معه.

١ هذا الدرس بالمعادي ـ ١٥ من رمضان ١٤٣٩ هـ ٢٠١٨/٥/٣١م

ملخص الأحداث

وملخص هذه الأحداث معاً على أصح الأقوال التي أيدَّنا فيها الواحد المتعال أن الصحابة المباركين أعلموا النبي صلى الله عليه وسلم أن قريشاً راجعة من تجارة من بلاد الشام، يقودها أبو سفيان بن حرب، وفيها عمرو بن العاص، وفيها ثلاثون فارساً مدججون بالسلاح، ومعهم أموال كثيرة، وكانت هذه الإيماءة الإلهية امتحاناً قوياً لقلوب المؤمنين، فأعلم النبي صلى الله عليه وسلم ظاهراً أنه خارج ومن معه ليتعرض للعير – الإبل - ليعوض أصحابه بعض ما استلبه منهم الكافرون من أموال ودور وتجارات في مكة.

فتلهف الذين يريدون الحياة الدنيا لهذا الأمر، والله تبارك وتعالى يريد الغنم بالغرم، وهم يريدون الغنم بغير غرم، والله تبارك وتعالى يريد النفير وهم يحبون العير، وهنا تبين صدق إيمانهم عند ربهم تبارك وتعالى.

فلما علم أبو سفيان واستنكه الأمر أخذ طريقاً آخر غير الذي سلكوه ووصل إلى مكة، وكان قد أرسل نذيراً إلى أهل مكة يعلمهم أن عيرهم تعرض لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه فهُبُّوا لإنقاذ تجارتكم.

الذين خرجوا ابتغاء جني الأموال رجعوا عندما علموا أن التجارة سلمت، ولم يبق حول حضرة النبي إلا الأفذاذ البدريين الذين لهم مكانة عظمى عند رب العالمين تبارك وتعالى ... وأهل مكة خرجوا، ولأن الله يريد أمراً فغرَّهم كبيرهم الذي خرج بهم وهو أبو جهل، قال عقلاؤهم: نرجع ما دامت قد نجت التجارة التي خرجنا من أجلها، قال: لا، حتى نرد ماء بدر، ونقيم فيها ثلاثاً،

ونشرب الخمر، وتُغني القينات، ويسمع العرب بخروجنا فلا يزالون يهابوننا أبد الدهر!! ... وهذا غرور أبو جهل، وإرادة الله لكي ينفذ قضاء الله سبحانه وتعالى!!.

فخرجوا وحدث ما لم يكن في الحسبان تصديقاً لقول الرحمن: ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ (٢٤٩البقرة) ومات أبوجهل، وسبعون من كبار عظمائهم، وأُسر سبعوين مثلهم، وكانت الطامة الكبرى التي حلَّت بهم جميعاً في الجزيرة العربية كلها.

غزوة أحد□

وأبو سفيان كان قد نجا بالتجارة فلم يكن له شأن بالمعركة ولم يحضرها، فلمَّا رجع وحدث ما قد حدث أخذتهم العزة بالإثم فقالوا وأرغموا أصحاب التجارة أن لا ياخذ أحد من ماله شيئاً، وان يُجهزوا بهذه التجارة وما فيها من أموال جيشاً يثأر لقتلاهم في غزوة بدر من الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه .... وجهزوا الجيش واستأجروا مقاتلين لتعضيد الجيش، وجهزوا ثلاثة آلاف مقاتل، وخرجوا ومعهم فرق الفنون الشعبية لتعضدّهم ومعها الآلات الموسيقية ويتزعمها النساء، حتى تغني وتنشد وتثير حماستهم، وتمشي في وسطهم في ميدان القتال فتكون الشجاعة عندهم أكثر وأكثر فيتم المراد.

وصلوا المدينة عند جبل أُحد في يوم الأربعاء، ولم يسمع بهم المسلمون إلا عند وصولهم جبل أُحد، وأُحد على أبواب المدينة، فسمع الرسول صلى الله عليه وسلم وأمضى يوم الخميس يحاول أن يختبر قوة أصحابه، ومدى جاهزيتهم للقاء هؤلاء القوم، وكما علَّمه ربه، وكما وجَّهه الله قعد يوم الجمعة في صبيحتها مع صحبه أجمعين يستشيرهم في هذا الأمر، وأحضر جميع المسلمين حتى كبير المنافقين عبد الله بن أُبي لأنه كان معه كتيبة كبيرة.

الشباب الذين لم يحضروا غزوة بدر كانوا متألمين من هذا الموقف فأرادوا أن يعوضوا ما فاتهم، فأصروا على الخروج للقتال، والرسول صلى الله عليه وسلم كان له رأي يدعمه ما أراه ربه، أن يبقى في المدينة حتى يدخلوا عليه، ولن يستطيعوا أن يتغلبوا عليه داخل المدينة هو ومن معه ... رأى رؤية أن سيفه صلى الله عليه وسلم حدث فيه كسر خفيف في جزء منه، يسمونها في اللغة العربية ثلمة، فأوَّله رجل يقتل من أهل بيته، وقد كان، ورأى بقراً تُذبح، فأوَّلها قتلى من أصحابه، ورأى أنه يلبس درعاً حصينة فأوَّلها المدينة، ولذلك كان يريد أن يبقى في الدرع الحصينة.

الشباب كانوا الكثرة الكاسرة وهم العامود الفقري للجيش تمسكوا بالخروج، واستشار النبي من باب المجاملة عبد الله بن أُبي فقال:أنا أرى أن لا نخرج من المدينة، فما غزانا أحد فيها إلا وهزمناه، وما غزانا أحد وخرجنا منها إلا وهُزمنا.

فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم الكثرة الكاسرة تصر على الخروج صلَّى بهم الجمعة، وبعد صلاة الجمعة دخل إلى منزل السيدة عائشة ولبس ملابس الحرب وجهز دروعه، وهم في هذه الأثناء راودوا أنفسهم فقالوا: لقد أرغمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأي ولم نطعه، وكان الأولى بنا أن نطيعه ولا نستمسك برأينا، فقالوا: يا رسول الله إنا رأينا أننا أرغمناك على رأي لم ترده فإن شئت بقينا في المدينة، قال:

{ مَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ أَنْ يَضَعَ لأمته (دروعه) بَعْدَ أَنْ لَبِسَهَا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَدُوِّهِ }[٢]□

قضي الأمر، وخرج بهم صلى الله عليه وسلم للقاء القوم، وكان عددهم تسعمائة وخمسون رجلاً، والكفار كان عددهم ثلاثة آلاف، وبعد أن ساروا قال عبد الله بن أُبي: كيف تسمع لرأى الشباب الصغار ولا تسمع لرأيي؟!! ورجع إلى المدينة ومعه كتيبته وكان عددهم ثلاثمائة، فأصبح العدد ستمائة وخمسون، وأوعز إلى بعض تلاميذه النجباء أن يثبطوا همم قبيلتين من القبائل العربية من الأنصار، حتى يرجعوا معهم، لولا أن الله تدارك هؤلاء القوم وأدركهم وثبَّتهم فلم يرجعوا.

---

٢ الحاكم في المستدرك والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما

وهذا الذي يقول فيه الله! ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ﴾

غدوت يعني أصبحت يوم السبت، ومن أهلك يعني من بيت السيدة عائشة، وتبوئ المؤمنين يعني تُنزل المؤمنين منازل القتال، هذا هنا وهذا هنا ﴿ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ سميع بكل ما دار، عليم بكل ما حدث بينك وبينهم.

﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ ﴾ عائلتان وفرعان من الأنصار ﴿ طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ ﴾!

ولأن الله يحب هؤلاء القوم قال (منكم) لأن هؤلاء مضمون أنهم مع النبي والذين معه، لكنهم همُّوا، والهمّ إذا الإنسان فكر في شيء ولم يترجمه إلى فعل، فهو باعث داخلي ولكن يؤيده التنفيذ بالجوارح والأعضاء، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم:

{ مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا ، كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً ، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا ، كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً } [3]

[3] البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما

﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا ﴾!

همُّوا أن يفشلوا ويُفشلوا المؤمنين! ﴿ وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ﴾ كان من هاتين العائلتين بنو سلمة ومنهم جابر بن عبد الله رضي الله عنه فقال: هذه الآية نزلت فينا ووالله لقد فرحنا بنزولها لأن الله قال لنا فيها! ﴿ وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ﴾ فقوله ذلك فهذا أغلى من أي وسام، وأرفع من كل إكرام! ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾

سيدنا رسول الله أوقف الجيش وظهره لجبل أُحد، وجبل أُحد كان فيه جزء مفتوح يستطيع العدو أن يدور ويأتي منه ويهجم على مؤخرة الجيش، فأوقف عليه النبي خمسين رجلاً يجيدون الرمي، وأمرهم أن لا يتركوا أماكنهم مهما حدث حتى قال لهم صلى الله عليه وسلم:

{ إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطَفُنَا الطَّيْرُ فَلا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ هَذَا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا هَزَمْنَا الْقَوْمَ وَأَوْطَأْنَاهُمْ فَلا تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ }[٤]

وبدأت المعركة وعدد المسلمين ستمائة فقط، لأن هناك خمسين رجلاً على الجبل، والكفار عددهم ثلاثة آلاف، وقامت عاصفة إلهية أثارت الرمال والتراب، فلم ير الناس بعضهم، فأخذ الكافرون يضربون في بعضهم، وأيدَّ الله المؤمنين وهجم المؤمنون عليهم فبدأوا يفرون ويتجهوا إلى مكة، وبالتالي بدأ المؤمنون يجمعون الغنائم.

---

٤ صحيح البخاري وسنن أبي داود عن البراء بن عازب رضي الله عنه

ابتلاء الله للمجاهدين

وهنا الابتلاء!! فالواقفون على الجبل أرادوا أن ينزلوا ليأخذوا الغنائم خوفاً أن تفوتهم، فقال لهم قائدهم: أمرنا رسول الله أن لا نبرح هذا المكان، ولكنهم لم يسمعوا له، فنزل منهم أربعين رجلاً، ولم يبق معه إلا عشرة.

خالد بن الوليد كان قائد كتيبة الفرسان للكفار - وكان ما زال على دين قومه - رأى هذه الثغرة، فأخذ الفرسان الذين معه وهجم عليهم فقتلهم، ودخل على جيش المسلمين من الخلف، وهم مشغولون بجمع الغنائم وغير منتبهين، فكانت النتيجة أنهم فرُّوا ما عدا النبي صلى الله عليه وسلم وطائفة قليلة من الصادقين الذين قال فيهم رب العالمين! ﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِ ﴾ [illegible] هؤلاء الذين وقفوا حول حضرة النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الموقف العصيب.

التذكير بغزوة بدر

فذَّكرهم الله وهكذا ربط الغزوتين ببعض ﴿ وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞ ﴾ وكلمة (أذلة) يعني قلة، وليس من الذل، يعني كان عددهم قليل، فقد ورد أنهم كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، وفي بعض الروايات ثلاثمائة وإحدى عشر، وفي بعض الروايات ثلاثمائة وسبعاً.

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ [illegible]

وهنا منطقة سلوكية يقف عليها المخلصون لرب البرية، فالذي يريد أن ينتصر في أي قضية، والذي يريد أن تُقضى له الأمور في أي شيء يشغل باله عليه أن يتجمل بجمال العبودية بين يدي رب البرية، وهذه ملابس الحسنى التي يُلبسها الله للصالحين في كل وقت وحين، فيكون فقيراً أمام الغني، ذليلاً أمام العزيز، جهولاً أمام العليم، ضعيفاً أمام القوي: شعور داخلي وإحساس روحي يشعر به في داخله وإن لم يُفصح عنه حاله ولا قاله، وإنما يتجمَّل به لله، فإذا نظر إليه مولاه وجده مجمَّلاً بجمال العبودية لله، فأعطاه كل ما يتمناه، وتولاه ﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [illegible] وفي نفس القضية ذهب لغزوة حنين وكان عددهم كبير حوالي اثنا عشر ألفاً فقالوا: لن نهزم اليوم من قلة! يستحيل أن نهزم اليوم، وأثناء مرورهم بين جبلين وكان الأعداء مختبئين وراءهما فهجموا عليهم بالنبال ففروا: ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾ [illegible] فالشأن ليس بالكثرة أو القلة وإنما الشأن شأن الذلة – ليس للخلق بل للخالق تبارك وتعالى، ولباس العبودية بين يدي رب البرية سبحانه وتعالى، وهذا جهاد العارفين الذي يريدون مقام اليقين عند رب العالمين، ليس في الصلاة والزكاة والعبادات، لأن هذه العبادات قد تغر فتضر، وقد يرى نفسه، وقد يُعجب بنفسه، لكننا نحتاج إلى العبادة التي تقف بالإنسان عند حدود عبوديته لحضرة الرحمن سبحانه وتعالى.

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾!

وهذا سر غريب وعجيب؛ أن الله جعل تقوى الله تستوجب العطاء الذي يستوجب عليه شكر الله، فكأن التقوى هي باب الأبواب الذي يفتحه الله لجميع الأحباب ليقضي لهم كل حاجة، ثم يقومون بعد ذلك شاكرين على ما أفاء عليهم رب العالمين سبحانه وتعالى.

مدد الله

﴿ إِذۡ تَقُولُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴾

يُنزلهم لكم خاصة رب العالمين سبحانه وتعالى، وهذا كان في غزوة بدر، فالآيات جمعت بين غزوتي بدر وأحد كما قلنا، فعندما جاءت غزوة بدر قالوا: ليس معنا سلاح ولا خيل ولا غير ذلك، فأخبرهم أنه يكفيهم أن الله سيمدهم، مرة يخبرهم أنه سيمدهم بألف، ومرة بثلاثة آلاف، ومرة بخمسة آلاف

﴿ بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ ﴾ وهذا شرط المدد الإلهي ﴿ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ يعني لهم علامات ظاهرة تعرفون منها أنهم مدد من عند رب العالمين سبحانه وتعالى.

هذا ما يحدث للأتقياء الأنقياء، ففي أي شدة، وفي أي بأس، وفي أي ملمة يجدوا مدداً من السماء ينزل عليهم بأمر من يقول للشيء كن فيكون، إما أن يؤيده الله بمدد الإلهام، أو يؤيده الله ببشرى يراها في المنام، أو يؤيده الله ببشرى تأتيه على يد الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، أو يؤيده الله بالملائكة الكرام، أو يؤيده الله بالصادقين من الأنام ... المهم أن الله يؤيده ما دام صبر على أمر الله، وحافظ على تقوى الله وخشية الله والخوف من الله جل في علاه.

نزول الملائكة□

نزول الملائكة في كل المواقع كما قال الله:

﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ﴾!

بعض السادة العلماء ذكروا أن الملائكة في غزوة بدر كانت تقاتل، وذكروا قصصاً وروايات في ذلك، مثلاً: بعضهم أراد أن يقتل أحد الكفار فوجد رقبته مقطوعة، أو رأى أحدهم يرفع عليه السيف ولكنه قُتل!!.

ولكن العقلاء من كتَّاب التاريخ قالوا: قتلى بدر معروفون بأسمائهم، ومعروف من الذي قتل كل واحد منهم من المسلمين، فأين الذين انقطعت رؤوسهم ولم يكن لهم قاتل من رجال المؤمنين؟!! ولو كان القتل على يدي الملائكة لتواكل المؤمنون على ذلك وما جاهدوا بعدها أبداً، لأن الملائكة ستحارب.

لكن الملائكة نزلت للتأييد ورفع الروح المعنوية، وبث روح الطمأنينية في نفوس المؤمنين ليعلموا أنهم مؤيدين من الله، وأن معهم رعاية الله وعناية الله، لكن كما قال الله! ﴿ قَـٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ ﴾ (التوبة) لا بد بأيديكم أنتم، حتى تؤجروا وتثابوا، وهذا هو الأساس الذي تم عليه الأمر.

نصر الله

﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾!

حتى نعرف ان النصر في أي معركة، إن كان مع النفس أو كان مع الغير، أو كان مع الكافرين، أو كان في أي أمر من أمور الدنيا، فإن النصر يكون بتوفيق الله ورعاية الله ومعونة الله، وهذا معنى قوله عز وجل! ﴿ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾!

يعني برعاية الله وتوفيق الله وعناية الله عز وجل ..

﴿ ٱلْعَزِيزِ ﴾ الذي لا يغلبه أحد ...

﴿ ٱلْحَكِيمِ ﴾ الذي تصرفاته كلها عن حكمة وسداد وتوفيق

﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ﴾ !

لا بد أن يكون على أيديكم حتى يشعروا بالخشية منكم، ويشعروا بالرهبة من جانبكم، لكن لو كان القتل تم على أيدي الملائكة فهل كانوا سيخشوا البشر؟! لكن هذا تم على يد المسلمين حتى تكون الهيبة في صفوف الكافرين من رجال الله المسلمين المصاحبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

ما حدث في غزوة أحد□

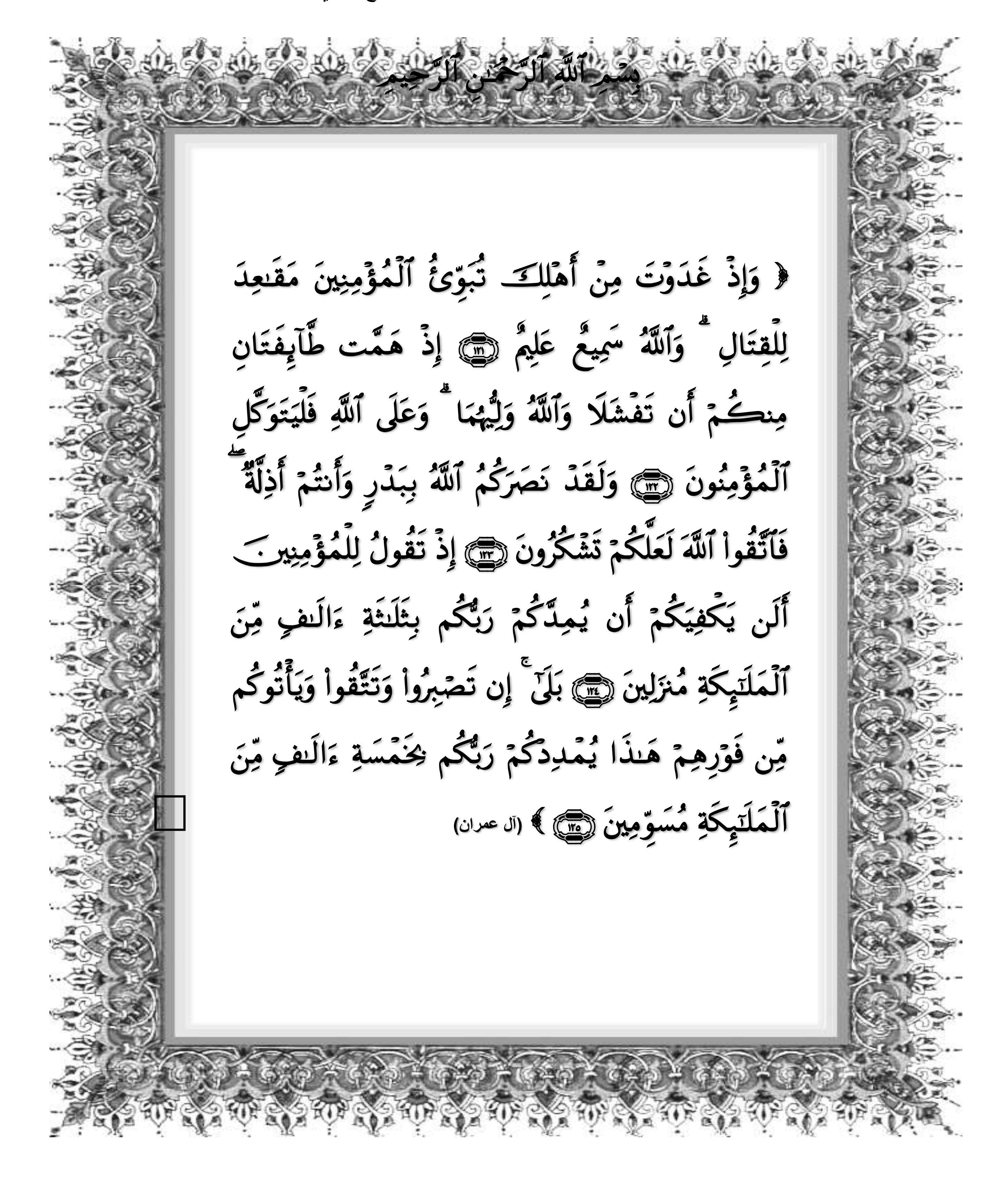
سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى ما حدث في غزوة أحد همَّ أن يدعوا على الكافرين الذين كانوا سبباً في ما حدث للمسلمين، وما حدث للمسلمين ليس بهزيمة، لأن الهزيمة معناها أن الكافرين يقضوا على جيش المسلمين، أو يستولوا على البلد القادمين إليها، أو يأخذوا كل ما معهم، لكن لم يحدث واحدة من هذه الثلاث، فلم يقضوا على الجيش، ولكنهم فرحوا بأنهم غلبوا في فترة من المعركة وعادوا بعدها، فلما رجعوا جمع النبي ﷺ أصحابه وتبعهم، فلما علموا أن النبي يتبعهم أسرعوا فارين إلى مكة، فأين الهزيمة هنا؟!!.

ما الذي أخذوه من ممتلكات المسلمين من الأرض؟ لا شيء، ما الذي أخذوه مما مع المسلمين؟ لا شيء، فلم يأخذوا ممتلكات ولا غنائم، ولم يقدروا على المسلمين، فأين الهزيمة هنا؟!!. لكن الأمر كان تنبيه للمسلمين أن طاعة النبي فيها النجاة، وفيها الفلاح، وفيها الفوز، وما حدث لهم كل ذلك إلا لعدم طاعتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنهم لو أطاعوه لما حدث ما حدث، فكان هذا تنبيه من الله عز وجل، تنبيه لطيف أن لا يتركوا طاعة النبي في أي أمر صغير أو كبير، لأنه صلى الله عليه وسلم عبد الله ورسوله ومؤيد من الله ورسوله.

فقال الله سبحانه وتعالى لما همَّ النبي أن يدعو عليهم! ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾

اترك هذا الأمر الآن، لأن الله يعلم أن منهم من سيسلم وسيكون ذا بلاء حسن في الإسلام بعد ذلك، فلو دعا عليهم فسيحرمهم من هذا الأمر، وهو الرءوف الرحيم بالخلق أجمعين، لأن خالد بن الوليد بعد ذلك حارب في صفوف المسلمين مائة معركة وانتصر فيها جميعاً، حتى أن أبو سفيان بن حرب بعدما كبر سنه وهرم أصر على أن يذهب إلى بلاد الشام ويحارب حتى يُؤذَى في سبيل الله، ولم يرجع إلا بعد أن فقد عيناً وقال: الحمد لله أني أُصبت في الله كما حاربت رسول الله! يريد أن يُكَفِّر عما فعله.

لذلك قال الله لرسول الله: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ لماذا؟ ﴿ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ قد يتوب عليهم ﴿ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ فاترك الأمر لله، ولا تدعُ عليهم، وإنما سلِّم الأمر لله، فكان صلى الله عليه وسلم نعم السميع المطيع لمولاه تبارك وتعالى، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَإِذۡ غَدَوۡتَ مِنۡ أَهۡلِكَ تُبَوِّئُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلۡقِتَالِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذۡ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمۡ أَن تَفۡشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَاۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذۡ تَقُولُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ (آل عمران)

□

٩. إشارات في آيات غزوتي بدر وأحد

علم الإشارات□

جهاد النفس□

إشارات الشيوخ□

مهمة شيخ الإرشاد□

الصدق والإخلاص□

جهاد المريدين□

عقبات السالكين□

علامة صحة الجهاد□

□

٩. إشارات في آيات غزوتي بدر وأحد[١]

علم الإشارات

شرحنا هذه الآيات من قبل ...

ولكن نريد أن نقتطف بعض إشاراتها !!!! لأهل السلوك القويم على منهج الرءوف الرحيم صلى الله عليه وسلم:

وفي الحقيقة علم الإشارات يأتي منح من الله إذا صدق الإنسان في اتباع النبي العدنان صلى الله عليه وسلم، فلو صدق الإنسان في اتباع سيدنا رسول الله وبَنَى أمره على الإخلاص والصدق، يقرأ القرآن فيجد بحارا من المعاني تتفجر في نفسه، لم يقرأها في كتاب ولم يسمعها من عالِم، وهذا الذي جربناه في بداية سيرنا بفضل الله، وببركة مشايخنا رضي الله عنهم وأرضاهم.

ولكن هذه العلوم نجعلها لأنفسنا، فإذا تعجلت وأفصحت حرمت !!!

لأن هذه رسالة خاصة لك فلا يجب أن تُطلع عليها الآخرين لكن عندما تُؤذَن في الكلام فإنه يأتيك أثناء الكلام ما يناسب الأقوام الجالسين في حضرتك في هذا المقام.

فالعلوم الخاصة التي تأتي للإنسان أثناء تلاوته القرآن مع الرحمن يعمل بها في نفسه، وهذه علوم عرفانية إلهية في تذوق الآيات القرآنية ..

---

١ المعادي ـ ١٦ من رمضان ١٤٣٩ هـ ١/٦/٢٠١٨م

وسنأخذ إشارة على قدرنا في هذه الآيات تليق بالسالكين الحاضرين ...

أسأل الله أن يفتح عليكم أجمعين بفتوح العارفين، والإشارات من الآيات ومن الغزوتين اللتين ذكرتهما الآيات.

جهاد النفس

مَن الذي قَعَّد أصحاب حضرة النبي في الغزوة الأولى والثانية أماكنهم وهيَئ لهم وظائفهم ووصاهم؟

سيدنا رسول الله ﷺ ....

فكذلك نحن كلنا في جهاد، لكن مع النفس:

﴿ وَجَـٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾

لا يستطيع رجل منا أن يجاهد نفسه فيتغلب عليها وينال فلاحه ونجاحه إلا إذا:

كان الذي قَعَّد له قواعد جهاد النفس!

وبيَّن له مداخل النفس ومظانها ومساوئها وعيوبها !

وأوقفه على الجهاد الذي يستطيع أن يتغلب به عليها وينال الفوز والنجاح: .... إلا شيخ:

تهذبت نفسه.

وتربى على يد العارفين السابقين.

ومُنح الولاية العظمى.

، وأخذ الإذن الصريح المباشر من سيد الأولين والآخرين ﷺ.

مَن الذي يستطيع أن يتغلب على النفس؟ الذي يُسَلِّم للمرشد الفرد فيما يدله عليه من جهاد النفس !! (سَلِّمن للمرشد الفرد) ...

ومَن رُزق التسليم فاز بكمال النعيم ..!!! ومَن حُرم التسليم رُدَّ إلى اسطبل الدواب !!! وقيل له ارجع فإنك في حاجة إلى التهذيب والتعليم.

إشارات الشيوخ

وكلام الشيوخ إشارات، فإذا طالبتك نفسك بعبارات فلن تستطيع أن تسير مع هؤلاء الأقوام:

خذ ما صفا لك من إشارة عارف فالعارفون كلامهم يشفى السقام

خذ ما صفا لك من إشارة عارف وليس من عبارة عارف!!.

مِنَّا وهم السابقون السابقون مَن يفقه مراد المرشد قبل كلامه، فلا يحتاج إلى عبارة أو إشارة، ولكن بمجرد أن ينظر إليه يعرف ماذا يريد منه!!، علوم واصلة، وبفضل الله وحبيبه ﷺ متواصلة، وهذا يقول فيه الإمام أبو العزائم ﷺ! **(المريد الصادق يفهم إشارة المرشد قبل كلامه)**

ومِنَّا مَن يفقه الإشارة ولو كانت لغيره، فإنه يسمع كلام العارف في زمانه كله على أن المُخاطب به هو لا غيره، ولكن نجد الكثير عندما يسمع كلام العارفين يقول هذا الكلام ليس لي ولكنه للآخرين!! لكننا لا نعرف هذه الكلام، فأنا كنت أحضر مع شيخي ويكون معه ضيف أجنبي يتكلم معه، وأستنبط من هذا الكلام مع الضيف إشارات موجهة لي، وإياك أعني واسمعي يا جارة!!.

الحريص على الجهاد، وعلى أن يخرج من سجن البُعاد يتلهف على إشارات المرشدين في كل واد وناد، لكن الذي ضحكت عليه نفسه فإنه حتى لو سمع صريح العبارات والإشارات فإنه يؤولها، فيقول الشيخ يقصد كذا، والمعنى الذي يقصده من هذا الكلام كذا، ويدخل في الفلسفة النفسية التي تحرمه من العطاءات الإلهية، ونحن لا نعرف هذا الطريق، لكن طريقنا: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (النساء)

وبالنسبة لمصاحبة العارف فنقول كما قال السابقون: العقل اجعله وراء ظهرك، فالعقل للدنيا وأحوالها، والقلب هو الذي يتلقى أحوال العارفين، وهو الذي يتذوق معاني كلام الصالحين، وهذا ما يُسمى الذوق، والذوق فوق العبارة.

ولذلك الذي يسمع كلام العارفين بعقله، فإن نفسه قد تضحك عليه فيقول هو قال كذا وكان يجب أن يقول كذا!! وكان الأصح أن يقول كذا!! ومثل هذا دخل في دوامة نفسية وليس له علاج في المصحة النبوية القرآنية قبل أن يعالج هذه الحالة النفسية.

مَن أنا حتى أصحح كلام العارفين؟!!

دخل في دوامة البعاد لأنه يُحكِّم عقله، لكننا نجعل العقل وراء ظهرنا إلا في حالة واحدة؛ إذا كان من اتبعناه خرج عن شرع الله طرفة عين أو أقل، فهذا نقول له: لا، فالشريعة حاكمة، وهذا شيء لا نسمح به أبداً.

فمهما رأينا على شخص من ألوان الكرامات ومن الفيوضات المقدسة والإنعامات، وخرج عن شرع الله طرفة عين فلا نسلم له مطلقاً، وهذا هو المبدأ الذي علَّمه لنا الكرام رضوان الله تبارك وتعالى عليهم أجمعين.

مهمة شيخ الإرشاد□

﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾!

وأهله ﷺ فيَّ وفيك القلب والسر والخفا والأخفى والروح، فهؤلاء من رسول الله ﷺ، فقد ورد في الاثر عن حضرته ﷺ: **(إن في القلب لغيب، وإن في الغيب لسر، وإن في السر لأنا)** هؤلاء من رسول الله، فهم أهله الذين معك

﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ﴾:

لقتال النفس، فتوضح لهم الجهاد، وكيفيته، وأنواعه، والعقبات الكئود التي تقابلك وكيف تجتازها؟ وكيف تظفر ببغيتك؟ وهذه على الشيخ، وبعد ذلك الذي عليك الصدق في الاتباع، والإخلاص في المتابعة.

الصدق والإخلاص□

ما الذي سيوصلك؟ صدقك وإخلاصك هو الذي سيوصلك للمراد !!!

لكنك أخذت كل الخطب، وسمعت كل التوجيهات، وبُيِّن لك كل العقبات، وكل هذا يحدث من معظم الحاضرين في زماننا، فيسمع من هنا وينسى من هنا، ويرمي ذلك وراء ظهره ويمشي على هواه، فهل يتحقق لهذا مناه؟!!.

وهذه المصيبة العظمى، لكن دائماً اسأل نفسك، فإذا وجدت نفسك محروماً من ثمار القوم، محروماً من شرابهم، محروماً من الجلوس على بساط ودهم النوراني والمعنوي فهذا لقصورك وتقصيرك، لكن بعض المريدين يسارع فيقول أن الشيخ لا يحبني، وليس راضياً عني، ولا يريد أن يفتح لي الباب!!.

لكن الشيخ يوجهك ولا يستطيع أن يفعل لك شيء آخر !!! والذي يبلغك بعد ذلك حتى يكون لك الأجر الوافي والقدر الكافي عند الله :

دورك أنت وهو الإخلاص والصدق!

والإخلاص أن تبتغي بكل حركاتك وسكناتك وأقوالك وأفعالك وجه الله، لا تبتغي بذلك شيئاً سواه.

والصدق هو حسن المتابعة في أداء أي عمل أو قول لسيدنا رسول الله ﷺ.

*** إذا صححت وجهتك نلت بغيتك ****

فإذا كانت بغيتك أن تكون شيخاً ولك مريدون فلا شأن لنا بذلك!!!

وإذا كانت بغيتك أن يظهر على يديك كرامات وتُثني الناس عليك وتنال الشهرة، فلا شأن لنا بذلك !!!

وإذا كانت بغيتك أن الناس يعظمونك ويكرمونك ويرفعون قدرك بينهم على أنك رجل من العظماء في الدين، فلا شأن لنا بذلك.

جهاد المريدين□

مَن الذي يجاهد في هذه المجاهدات؟ هل أنت أم شيخك؟! أنت، لأن الشيخ وجَّهك وبيَّن لك كل البيان، لكن النفس أمَّارة بالسوء، وهمها كله إبعادك عن هذه المقامات العالية والحقائق الراقية، والعطايا الإلهية الدانية.

يريد أن يبعدك عن هذه الأشياء، وتركيزك في الدنيا وهمومها وغمومها ووحلها وزينتها وزخرفها، وأنت لك هذا الدور حتى تكون! ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ (الملك٢)

فهذا دور الشيخ في طريق الله.

﴿ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ لا بد للمؤمن أن يكون مراقباً دائماً لمولاه، يعلم أن كل قول ظاهر على لسانه، أو باطن في قلبه وجنانه يسمعه ويطلع عليه مولاه، وعليم بما يدور في الصدور، وما تخفيه أنت بين السطور، وما تهتز به بك الأرجاء، لأنه سبحانه وتعالى! ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾ (١٩غافر)

عقبات السالكين

ما الذي يثبط الإنسان؟

﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ﴾ ما هاتين الطائفتان؟ الهوى والحظ، فهما اللذان يخذلانك في المعارك مع النفس وردها، ولذلك قال حضرة النبي في الحديث، وانظروا للمنطوق:

{ لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ }[٢]

أين المريد في هذا العصر الذي سلَّم هواه لهوى مرشده وهوى رسول الله؟!!

هذه عمله أندر من النادر، يقول فيها الإمام أبو العزائم رضي الله عنه:

أروني فتىً ذكر الإله مصدقاً ولم ير نور الله في كل وجهة

أروني رجلاً صادقاً ولم يتمتع بهذه المشاهدات، وهذه المكاشفات، وهذه العطاءات الإلهية!!

فمن أين أتى الحرمان؟

من الحظ والهوى:

٢ معجم السقر وشرح السنة عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

النفس تريد حظها، وحظ النفس ملذات وشهوات الحياة الدنيا:

**بهجة الروح بالجمال العلي		لا بملك يفنى وحظ دني**
**وابتهاج الشيطان حسد وكبر		بفساد وفرقة وبغي**
**وابتهاج النفوس بعد صفاها		رغبة الفوز بالمقام الهني**
**هي نفس إن طهرت وتزكت		تتهنى في حظوة بالولي**
**وهي إبليس بل أضل سبيلا		إن تعامت عن حسنها بالدني**

النفس فيها كل ما يحتاج إليه الإنسان من الحظوظ والأهواء الدنيوية:

الرغبة في المطعم !

والرغبة في المشرب !

والرغبة في الملبس !

والرغبة في المنكح !

والرغبة في العلو في الأرض والظهور !

كل هذه رغبات نفسية تحجب الإنسان عن الرغبات التي يرغبها أهل الخصوصية.

فلا بد للإنسان أن يخرج من دائرة الحظ والهوى، لأن الله قال في كتابه:

﴿ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ ﴾ .. هذا الشرط الأول !

والشرط الثاني ﴿ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴾
والجنة هنا :

هي جنة الرؤية وجنة الشهود وجنة الرضا وجنة القرب وجنة المودة وجنة الأنس بالله سبحانه وتعالى، وبحبيبه ومصطفاه ﷺ، والإمام أبو العزائم ﷺ يقول عن نفسه:

أنا غارق في بحر نور مطلق لا بر يحصرني ولا ملاح
من رام يعرفني تجرد عن سوى نص الشريعة إن أراد صلاح
النور محظور على أهل الهوى والحظ، بادر نعطك الأقداح

إن كنت تريد أن تصل لهذا الكمال، وتتمتع بهذا الجمال:

بادر وتخلَّص من حظك ....

وتخلَّص من هواك ....

وسلِّم كلك لمولاك ..... فمن أعطى الكل أخذ الكل.

إذاً الذي يُفشِّل الإنسان من الوصول إلى مقامات الجمال والكمال:

الحظ ... والهوى!

لأن هذا يجعله يفشل في جهاد النفس، ولا يستطيع أن ينال الأُنس ؟؟

لأنه قيل:

تجاوز نفسك .... تجد أُنسك ...

فلا بد من جهاد النفس، وأول مراحله التخلص من الحظ والهوى!

فتخلصي من حظك وهواك فعساك تحظي بالرضا فعساك

لكننا نريد أن نأخذ الرضا، ومعنا الحظ، ومعنا الهوى، ومعنا الشهوات الدنية، ومعنا الرغبات الدنيوية الدنيئة السفلية!!

لا يجوز ذلك أبداً !!!

ولا يستطيع أحد أن يضحك على الله، ولا على حضرة النبي، ولا على الصالحين، لأنهم ليس عندهم مجاملات، حتى لو ابنه من صلبه ليس عنده مجاملة له:

فالرجل الصالح الذي أدخل ابنه الخلوة وأعطاه الأوراد حتى يفتح الله عليه، ولكنه خرج وليس عنده شيء، فأعطاه أوراد أخرى، فلم يحدث له فتح، فأعطاه أوراد اخرى، فلم يحدث له فتح، وفي النهاية قال له: يا بني لو كان الأمر بيدي لكنت أنت أول مريد عندي في الطريق، لكن الفتح بيد الله يعطيه من يشاء.

لا يوجد مجاملة في طريق الله:

لأن بعض الجاهلين - كما يحدث في الساحات - يخيل له أن الوصول إلى الصالحين بأن يأتي بأموال وطعام وشراب لهذه الساحات، وهذا أجره على الله، لكن هذا لا شأن له بالعطاءات، فالعطاءات شرطها المجاهدات، جاهد تشاهد، لكن تشاهد بغير أن تجاهد فهذا ظلم، وهذا لا يجوز، ولا يصح في طريق الله سبحانه وتعالى.

الذي أخذ بالأسباب، وسلَّم للشيخ، وأخذ منه الكيفية التي بها يجاهد نفسه، وجعل له مقاليد الأمور في نفسه فلا بد بعد ذلك أن يتوكل على الله:

﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ !

يحسن التوكل بعد ذلك .... هؤلاء هم أهل الوصول! ... لكن أهل الفضول الذين يذهبون للساحات في أوقات متقاربات أو متباعدات ويدفع مالاً ويُحضر طعاماً وغيره، فهذا لك فيه أجر عند الله ! لكن هذا لا شأن له بطريق الوصول.

لو جلس رجل مع أحد الصالحين ورافقه ليل نهار مدة طويلة، وهو طوع أمره، ولكنه لم يجاهد نفسه، فهذا نسميه خادم، والخادم له أجره، ولكن هل سيحظى بهذه المقامات؟ يحظى بها إذا جاهد نفسه، لأن الشرط هنا الجهاد:

﴿ وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ (العنكبوت٦٩)

علامة صحة الجهاد

ما علامة صحة الجهاد؟ أن يرى الإنسان نفسه مقصراً، متى يكون العبد محسناً؟ قيل: إذا رأى نفسه مسيئاً، ومتى يكون العبد مسيئاً؟ قيل: إذا رأى نفسه محسناً.

وهذه التي تحتاج إلى الجهاد الأعظم، لأن كثير من الأحباب يرى بداخل نفسه أنه شيئاً كبيراً، وقد نزيد له هذا الأمر في بعض الأحيان لأنه لا يريد أن يخرج منه، فنكبره ونعظمه ونكرمه، فيزيد، لأنه يرى دائماً أن آراءه سديدة وصحيحة، لذلك نأخذ رأيه حتى يحس ويترك رأيه، ويُسلِّم لأصحاب الله.

فالذي يزيد في هذا الأمر ويرى نفسه أنه شيء، فهو ليس معه شيء، لكن الذي معه شيء هو الذي لم يجعل لنفسه شيء، فيُعطيه الله ﷻ.

الداخل على حضرة الله، ويريد أن يحصل على ما يتمناه فعليه بأضداد الصفات حتى ينال مناه، فالله عزيز ويريد مني أن أكون ذلي بين يديه، والله عليم ويريد مني أن أكون جهول، والله غني ويريد مني أن أكون فقير، فأدخل على الله بأضداد الصفات، والذي جمعها الذل:

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾!

ينصركم الله ﷻ إذا لاح في قلوبكم بدر التمام بعد أن تحققتم بأوصاف العبودية للملك العلام سبحانه وتعالى، ولذلك يقول أحدهم أريد أن أرى رسول الله، لكن أنت ترى نفسك، فكيف ترى رسول الله؟!! أنت ترى نفسك ولك كيان، ولك هيئة، ولك مقام، ولك قدر، ولك جاه، فكيف تراه؟!!. هو يتعطف على الفقراء والمساكين والمحرومين أمثالي، يقول فيهم الإمام أبو العزائم ﷺ:

**قد أكرم الله أهل العجز علَّمهم		أسرار توحيده بالحال والقال**
**خلِّ الملامة فإن الله مقتدر		يعطي الولاية للساري وللقال**

الذين يتحلوا بالعجز فإن رسول الله يجبر خاطرهم، فيكشف لهم عن ذاته النورانية، ويواليهم بعطاءاته الإلهية، لأنهم فقراء: ﴿ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ (فاطر)

لكن الذي يرى نفسه شيء فماذا يحتاج؟! أنت ترى نفسك وتريد من الناس أن يتبعوك، ويلتفوا حولك، ويعظموك، ويكرموك، فماذا تحتاج؟!!، لكن الذي يريد العطاءات عليه أن يتجمل بملابس العبودية.

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ ﴾ ﷺ بدر التجليات، وبدر الإشراقات، بهذا البدر، ولكن الشرط ﴿ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ مجملين بجمال العبودية.

ولذلك الإمام أبو العزائم عندما عرَّف نفسه قال:

(محمد ماضي الخوف قوامه، والذل حليته، والرهبة باطنه، والرغبة ظاهره، والحيرة رداؤه، والصبر أنيسه، والرضا رفيقه، والتقوى زاده، والثقة كنزه، والفكر طريقه، والتسليم مذهبه، والتواضع رفعته، والفقه منهجه، والصدق ضالته، والإخلاص مراده، والسيد صلى الله عليه وسلم مقصوده، والله سبحانه معبوده، والشكر ذكره، والدعاء عمله، وما يقرب إلى النار عدوه، وما يقرب إلى الجنة أليفه، وبر الوالدين سروره، وصلة الرحم حبوره، وإدخال السرور على عباد الله وصوله، والرحمة بخلق الله حظوته، والقرآن الكريم خلوته، والحضور بقلبه مع الحق جلوته، يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبه وبلغه مراده، وهكذا فليكن كل ماض أو من يحب ماضياً)

هذه صورتك، أنت تريد أن تُكرم بإكرامات هذا الرجل وورثته فجمِّل نفسك بهذه الصورة الباطنية، وقد شرح هذه الحكمة العالية الشيخ محمد على سلامة ﷺ في كتابه (الإمام أبو العزائم كما قدَّم نفسه للمسلمين).

والذي استوقفني عندما قرأت هذه الحكمة: **(وهكذا فليكن كل ماض أو من يحب ماضياً)** أنت تريد أن يكون لك ميراث من هذا الرجل فلا بد أن تكون فيك هذه الأوصاف ..... وهذه هي الجزئية العمليه وهي ﴿ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ .... إذا تحقق بالذلة أو بأصاف العبودية ولاح له بدر التجليات، توالت عليه من الله عز وجل البشريات والإشراقات.

﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴾

يمدكم باطناً بالعلوم الإلهية والأسرار القدسية والأنوار الربانية، وظاهراً بالملائكة يؤيدونكم، ويسددونكم، وينصرونكم! ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (فصلت)

﴿ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ كلما تزيد في الصبر في طريق الله، والتقوى لحضرة الله تزيد لك بحار الإمدادات الإلهية! ﴿ يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ ﴾ لماذا؟ كلما تزيد في الصبر والتقوى! ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ ﴾ (السجدة) يفتح الله لك أبواباً لا تعد ولا تحد من العطاءات الإلهية كما يقول الإمام أبو العزائم في إحداها:

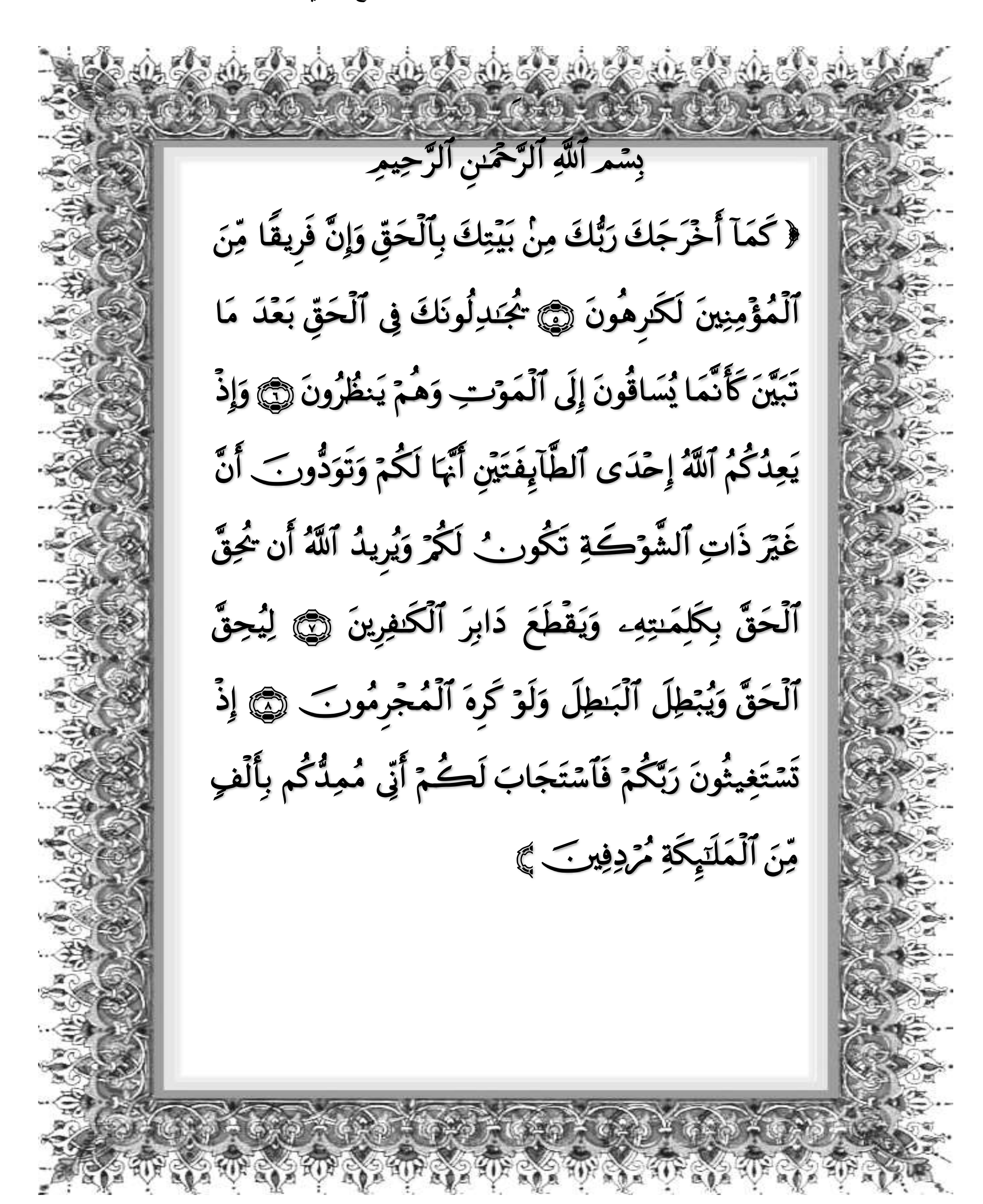
فمائة من الآلاف عشرون بعدها	مشارب رسل الله بالإجمال
فلي قد تجلت بل وفيَّ قد انجلت	فسلِّم لنا تحظى بخير وصال

هذا الرجل كان يشرب من مائة وأربعة وعشرون ألف بحر!!، ولذلك عندما جاءه رسول الله يناوله من يده قال له:

يا مدير الراح ناول بالبحار عساى أسكر
فغرامي في التهامي قد علاني وهو مضمر

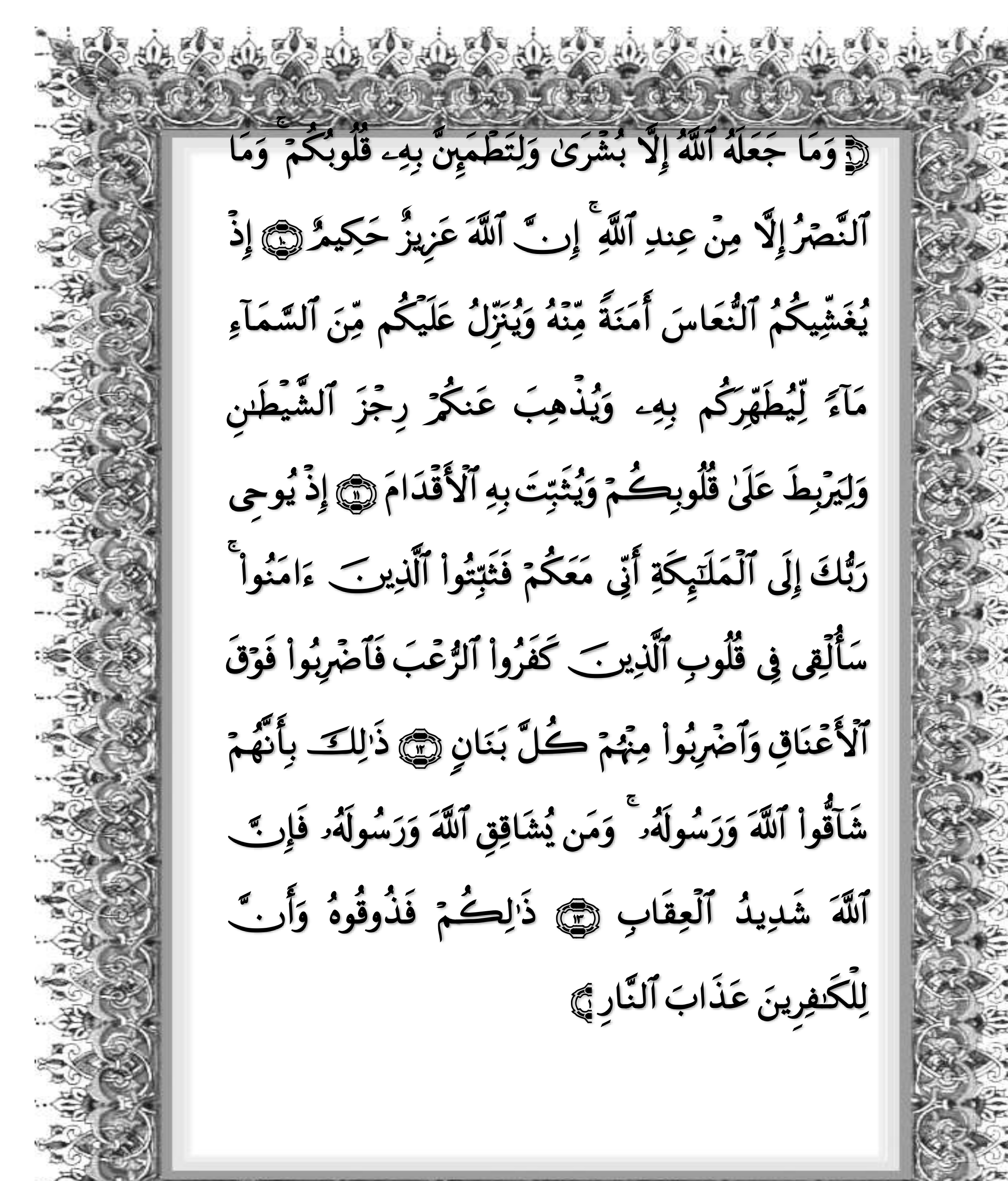
فتزيد بحار العطاءات الإلهامية كلما يزيد الصبر والعطاء، ونكتفي بهذا القبس الصغير في هذه الإشارات من هذه الآيات.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

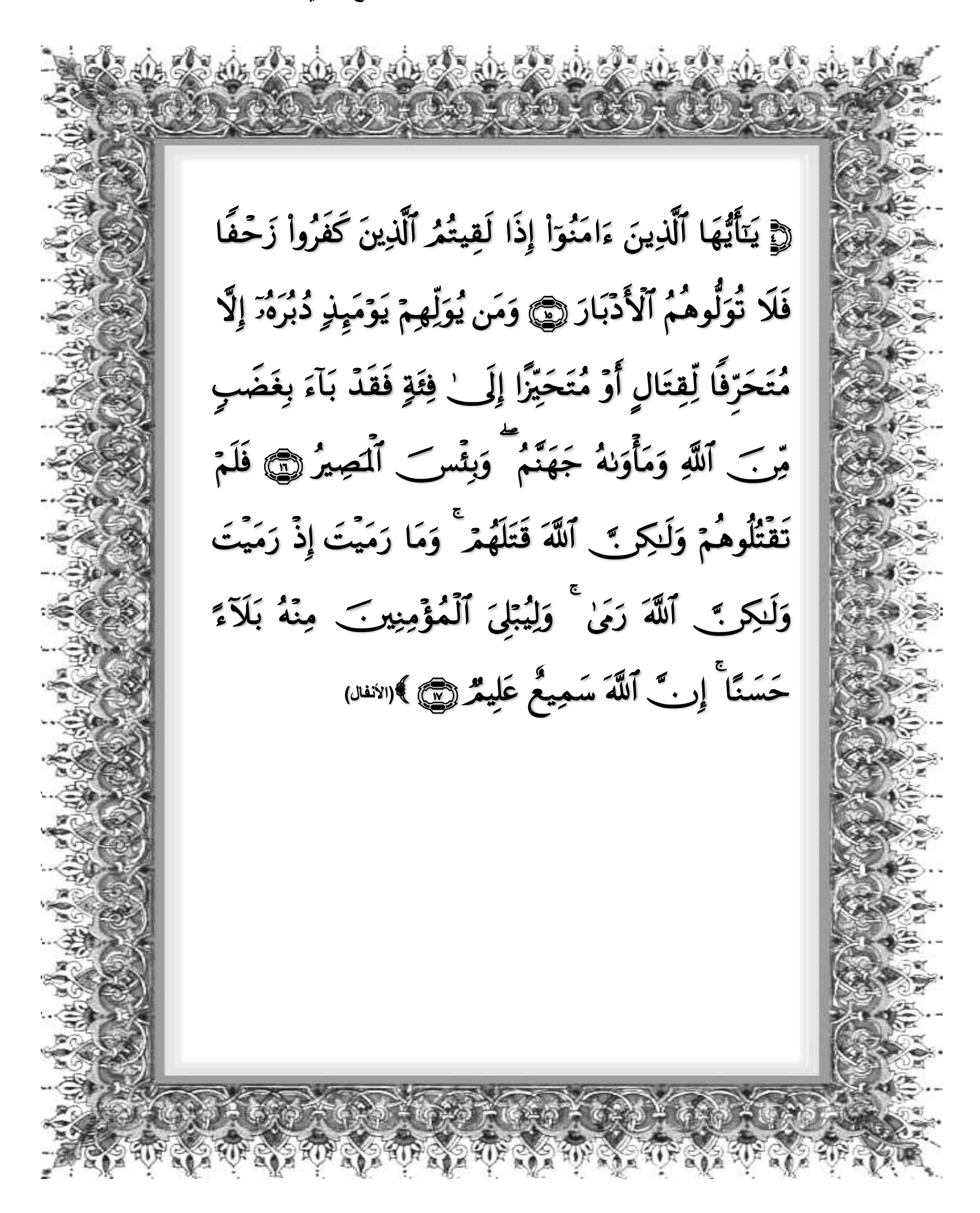


بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ٦ وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧ لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٨ إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ﴾



﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾



﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا
فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ١٥ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا
مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ
مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٦ فَلَمۡ
تَقۡتُلُوهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمۡۚ وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ وَلِيُبۡلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡهُ بَلَآءً
حَسَنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١٧ ﴾(الأنفال)

١٠. غزوة بدر

١٠. غزوة بدر[١]

بسم الله الرحمن الرحيم ـ الحمد لله الذي أيَّد حبيبه ومصطفاه بما أنزله عليه من السكينة والطمأنينة والثبات؛ فضلاً عن تلقيه لكتاب الله جل في علاه، والصلاة والسلام على الحبيب الأعظم الذي جعل الله ﷻ جُنده عوالم عالين والكروبيين وأصناف الملائكة أجمعين، وكل عوالم الروحانيين وصالح المؤمنين، وكل ما على الأرض وما في السماوات من كائنات تُسبح لرب العالمين؛ سيدنا محمد إمام الذاكرين، وسيد الشاكرين، ورافع لواء الحضرة الإلهية في الدنيا، وحامل لواء الشفاعة العُظمى يوم الدين، صلَّى الله عليه وعلى آله الغُرُّ الميامين، وصحابته الأنقياء الأبرياء الأطهار المقربين، وكل من سار على نهجه إلى يوم الدين وعلينا معهم أجمعين، آمين آمين يا رب العالمين.

ذكر الله ﷻ هذه الحادثة الجلل غزوة بدر في ثنايا سورة الأنفال من بدئها إلى ختامها، وسُميت السورة بالأنفال، والأنفال يعني الغنائم التي يقتسمها المحاربون وقد غنموها في حروبهم، فوضع الله ﷻ في هذه السورة المباركة قواعد النصر الإلهي لأي جندي إسلامي، وكيفية اقتسام الغنائم والأعمال التي يستوجب بها العُمَّال نصر الله، والتأييدات الإلهية والأسلحة الربانية التي تحقق النصر لا شك في أى معركة يخوضها جند الإسلام.

---

١ المعادي ـ ١٦ من رمضان ١٤٣٦ هـ ٢٠١٥/٧/٣م

ولابد من مزج التفسير بما ورد في السيرة المطهرة عن هذه الحادثة المكرمة، فأنتم تعلمون أن النبي ﷺ خرج من مكة إلى المدينة مهاجراً وخلَّف وراءه كل ما كان يمتلكه، حتى أنه عند الفتح عند دخول مكة قالوا له: يا رسول الله أين تنزل غداً؟ قال:

{ وَهَلْ تَرَكَ لَنَا عَقِيلٌ مَنْزِلا }[2]

وعقيل هذا ابن عمه أبي طالب، فقد أخذ البيت واستولى عليه، وهكذا كان حال المسلمين، استولى الكافرون على بيوتهم وعلى أموالهم وعلى أمتعتهم وعلى أثاثهم وعلى كل شيء هو لهم، بل كان منهم من كان يفتدي نفسه من الكافرين ليخرج بنفسه ويترك لهم كل شيء يمتلكه، مع أنه كان من التجار الأثرياء الوجهاء كصُهيب الرومي رضي الله عنه وفيه يقول الله جل في علاه! ﴿ **وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ** ﴾ (ئ ةئغ غلح)

فقد أَقْبَلَ صُهَيْبٌ رضي الله عنه، مُهَاجِرًا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَتْبَعَهُ نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ، فَنَزَلَ عَنْ رَاحِلَتِهِ، وَانْتَثَلَ مَا فِي كِنَانَتِهِ، ثُمَّ قَالَ:

---

٢ البخاري ومسلم عن أسامة بن زيد رضي الله عنه

{ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي مِنْ أَرْمَاكُمْ رَجُلا ، وَأَيْمُ اللَّهِ لا تَصِلُونَ إِلَيَّ حَتَّى أَرْمِيَ كُلَّ سَهْمٍ مَعِي فِي كِنَانَتِي ، ثُمَّ أَضْرِبَ بِسَيْفِي مَا بَقِيَ فِي يَدِي مِنْهُ شَيْءٌ ، ثُمَّ افْعَلُوا ما شِئْتُمْ ، وَإِنْ شِئْتُمْ دَلَلْتُكُمْ عَلَى مَالِي دفينتي بِمَكَّةَ ، وَخَلَّيْتُمْ سَبِيلِي؟ قَالُوا : نَعَمْ ، نَقْبَلُ ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ الْمَدِينَةَ ، قَالَ ﷺ : " رَبِحَ الْبَيْعُ أَبَا يَحْيَى ، رَبِحَ الْبَيْعُ أَبَا يَحْيَى " } [3]

لأنه باع كل ماله في سبيل أن ينجوا بنفسه وبدينه لحبيب الله ومصطفاه ﷺ.

وأنتم تعلمون أن الأنصار وسعوهم بوسعة الصدور وبعمق الإيمان وهو الذي يسع بني الإنسان، وأكرموهم وآووهم، ولكن النبي ﷺ كان يريد أن يعوِّضهم بعضاً مما فقدوه من أموالهم، ووصلته الأخبار أن أبا سفيان بن حرب - زعيم قريشٍ في ذاك الوقت - خرج ومعه قافلة تجارية كبيرة، ويحرس القافلة أربعون رجلاً، والقافلة عادت من بلاد الشام بأموالٍ وفيرة، وأرادوا أن يتعرضوا لها في الذهاب فلم يستطيعوا فترقبوا رجوعها، وخرج ﷺ مع نفرٍ من صحبه لا يزيدون عن ثلاث مائة رجلٍ وثلاث عشرة وقال لهم:

{ سِيرُوا وَأَبْشِرُوا ، فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ قَدْ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ } [4]

إما الحصول على المال من القافلة، وإما نصر يجريه الله ﷻ على أيدي جُنده.

﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ ﴾!

---

٣ المطالب العالية لابن حجر والطبقات الكبرى لابن سعد
٤ دلائل النبوة للبيهقي

بدأ الله الحديث بداية ربانية ليعلمنا أن هذا السيد السند العظيم ﷺ لم يكن يتحرَّك من قِبَل نفسه وإنما حركاته وسكناته كلها بأمر ربه ﷻ، وأذكِّركم بمبدأ ينبني عليه فلاح المريدين مع العارفين، يقولون فيه: (كن له كما يريد لا كما تريد) كن للعارف كما يريد منك وليس كما تريد أنت، لأنك تريد نفسك وهي تتحكم فيك، وأهوائك تتحكم فيك، لكن هو ينطقه الله بالحق والصدق، ولا يريد منك نفعاً ولا يخشى منك ضرَّاً وإنما يريد نفعك أنت في الدنيا والآخرة، وحريصٌ عليك.

إذا وضع المريد هذه العقيدة في فؤاده صحَّ نتاجه، وبانت ثماره، وظهرت أنواره، وعَلا شأنه بين الناس، لكن إذا مشى وأصرَّ على حظه وهواه فلن ينال مناه، وسيخيب سعيه في دنياه، ولن يصل لما يريد عند الله وعند حبيب الله ومصطفاه، ولذلك فهذه هي العقيدة التي ثبَّتناها في القلوب في تعاملنا مع أحباب الحبيب المحبوب ﷺ ورضوان الله تبارك وتعالى عليهم أجمعين.

﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ﴾ إذاً لم يخرج من قِبل نفسه، من الذي أخرجه؟ ربه ـ بماذا؟ ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ لم يخرج لهوىً في نفسه ولا ميلٍ في حظه، ولا لشيء في طبعه، وإنما الذي أخرجه هو مولاه، وهو عبدٌ يُحركه الله ﷻ كما يريد، كما قال سيدي عبد الكريم الجيلي ﷺ متحدثاً عن أهل هذا المقام:

**أنـــا آلـــةٌ والله جـــلَّ الـــفـــاعـــل		أنـــا قـــلـــمٌ والاقـــتـــدار أصـــابـــع**

﴿ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أثبت الله ﷻ لهم الإيمان حتى لا يسمح لأحدٍ من المؤمنين أن يخوض بنفسه في شأنهم، أو يستنزل من قدرهم، أو يحاول أن يسيئ إليهم لأنهم من المؤمنين.

﴿ لَكَٰرِهُونَ ﴾ كارهون لهذا الخروج، عندما علموا أن القافلة قد فاتت وأن الأمر أمر الحرب، فقد سمع أبو سفيان بخروج النبي ﷺ فسلك طريقاً غير طريق بدر وهو طريق البحر واسمه (سيف البحر) وجاء برجلٍ من قبيلة غُفَّار واسمه ضمضم الغفاري، وآجره أي أعطاه أجرة على أن يذهب إلى مكة مسرعاً ويخبر أهلها لينقذوا القافلة.

﴿يُجَٰدِلُونَكَ﴾ عندما علم بعضٌ ممن حول النبي ﷺ بانفلات التجارة كرهوا البقاء، وقالوا: يا رسول الله لقد خرجنا للسيطرة والهيمنة على التجارة، ولم نخرج للقتال، وما دامت التجارة قد ذهبت فلنرجع إلى المدينة، وأخذوا يسوقون الحجج، وهذا أمر طُلاب زهرة الحياة الدنيا في كل زمان ومكان، يسوقون الحجج ويقدمون البراهين ويحاولون أن يُثبتوا أنهم على الصواب لأن هدفهم الذي في قلوبهم - وصحيح أنهم مؤمنون - لكنهم يريدون زهرة الحياة الدنيا، ويزعمون أن هذا لا ينتقص من أجرهم أو مقامهم عند الله في الآخرة:

﴿يُجَـٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ﴾ لأن الله وعده إحدى الطائفتين، والطائفة قد مشت وبقيت الحرب، وهل هناك جدالٌ بعد ذلك، فالجدال هنا بالنفس والهوى والباطل.

وقد وصفهم الله ﷻ فقال: ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ﴾ كأنك تجرُّهم كما يجرُّون الذبائح للمجازر وما شابه ذلك.

ولأن الله ﷻ هو الذي يرد عن حبيبه ومصطفاه يقول لهم: ﴿وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ﴾ لم يعدكم بالقافلة وإنما وعدكم بإحدى الطائفتين ليختبركم ويمتحنكم، ترجون ما عند الله أو ترجون ما عند هؤلاء من متاعٍ داني وفاني، وهذا هو الإختبار.

﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ﴾ والشوكة يعني التي فيها جهاد وهي تعبير عن الجهاد والحرب، أي تريدون أن تنالوا المال والعتاد بغير جهاد.

﴿ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ أراد الله ﷻ هذا الخروج ليُظهر الحق، ويُظهر الحق بإعجازٍ يتعجَّب منه الخلق، لأن هؤلاء قومٌ خرجوا ليس للقتال، وكان عددهم قليل، ولم يكن معهم إلا فرسين، وسبعين جملاً يتعاقبون عليهم، كل ثلاثة يتعاقبون ركوب جمل، أحدهم يركب والباقي مشاة، وكان مع النبي ﷺ رجلين فقالوا: يا رسول الله إنا نكفيك فاركب ونمشي، فقال ﷺ:

{ مَا أَنْتُمَا بِأَقْوَى مِنِّي ، وَلا أَنَا بِأَغْنَى عَنِ الأَجْرِ مِنْكُمَا }[٥]

انظر إلى هديه العظيم صلوات ربي وتسليماته عليه، وكان يعتقب معهما أيضاً هذه الجمال.

قالوا: يا رسول الله إن بالمدينة قومٌ لو علموا أننا خارجين للقتال لخرجوا معنا، لكن الله يريد أمراً وهم يريدون أمراً، يريد أن يبين للخلق أجمعين ما قاله في هذه الآيات بعد حين! ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (الأنفال١٠) لا بالكثرة ولا بالعدد ولا بالعُدة وإنما من الله ﷻ لأن من أسمائه النصير، والنصير هو الذي لا تغلبه عُدَّة.

﴿ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾

---

٥ مسند أحمد وابن حبان عن عبد الله بن مسعود ﷺ

والمجرمون هنا إشارة إلى الكافرين، لأن الكافرين عندما وصلهم ضمضم الغفاري وقال: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، اللَّطِيمَةَ قَدْ عَرَضَ لَهَا مُحَمَّدٌ فِي أَصْحَابِهِ، وَاللَّطِيمَةُ هِيَ التِّجَارَةُ، الْغَوْثَ الْغَوْثَ، وَمَا أَظُنُّ أَنْ تُدْرِكُوهَا، فخرج أهل مكة وأخذتهم عزّة الجاهلية، خرجوا بخيلهم ورجالهم وأسلحتهم ونساءٌ مغنياتٌ معهن الدفوف تنشد لهم وتحمسِّهم على ذلك، وخرجوا بما يزيد عن ألف رجل فرسانٌ مدججين بالسلاح، ولكن الله ﷻ إذا أراد شيئاً يقول له كن فيكون.

وصل النبي ﷺ إلى ماء بدر، وبدر موضع بئر ماءٍ لرجلٍ كان يُسمَّى بدر، ووصل الكافرون قبلهم فاختاروا مكاناً صلباً يقفون عليه، وتركوا المكان الرخو الرمل لجيش النبي، وجعلوا الماء تحت سيطرتهم، ولم يتركوا ماءاً للنبي ﷺ وأصحابه، مع العُدة ومع العتاد ومع الكثرة، وهنا حصلت الآيات البينات من الله ﷻ، وأولها إجابة الدعاء، فقد وقف النبي ﷺ وخاطب ربه وقال:

{ اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي ، اللَّهُمَّ آتِنِي مَا وَعَدْتَنِي ، اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الإِسْلَامِ لا تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ }[٦]

﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ يعني متتابعين، وفي آيات أخرى بثلاثة آلاف، وفي آيات أخرى بخمسة آلاف، يعني بدأ بألف ثم بثلاثة آلاف ثم بخمسة آلاف من الملائكة الكرام، مدداً لجند الله ﷻ حول النبي عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

٦ صحيح مسلم والترمذي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

كانوا من طول سفرهم عندما نظروا إلى الأعداء ورأوا كثرتهم فامتنع النوم، فألقى الله ﷻ عليهم النوم، حتى قال الإمام علىٌّ ﷺ وكرَّم الله وجهه:

نظرت إلى القوم فوجدتهم كلهم نياماً إلا النبي ﷺ يقف ويصلي ويدعو الله، وبلال، والمهم أن المشركين لم يلتفتوا ولم ينتبهوا إلى ذلك، وإلا قضوا عليهم وهم نيام، لكنهم كانوا في حفظ الحفيظ ﷻ.

عدُّوا الآيات! ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ ﴾ والنعاس هنا يعني النوم الخفيف، وهو الذي إذا اقترب أحدٌ منه يستيقظ فوراً، وليس بالنوم العميق، لأن النوم العميق اسمه الثُبات، والنوم الخفيف إسمه النُعاس، لأن من ينام وهو جالس يقال له: نعسان، لكن الذي ينام ويستريح نقول عنه: نام في ثُباتٍ عميق.

﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ ﴾ ليجددوا النشاط ويصبحوا في الصباح على تمام الأهبة، فالذي لا ينام لا يستطيع أن يقاتل في الصباح.

كان الذين مع النبي ﷺ قد أُجهدوا من السير في البيداء أي الصحراء، والإنسان إذا تعب بدنه تعباً شديداً ونام، غالباً ما يُصيبه احتلامٌ في هذا النوم، واستيقظ معظمهم وقد أصابتهم جنابة الإحتلام، فتغامز المرجفون بينهم: كيف تقولون أنكم على الحق وأن النبي على الحق ولا تجدون ماءاً تغتسلون به؟! وتُصلُّون مجنبين وستحاربون مجنبين، ومن أين تشربون؟! وكيف تحاربون في هذه الأرض التي تغرز فيها الإقدام؟!

فجاء مدد السماء من الله! ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ عليكم أنتم فقط، ولم ينزل على الكافرين في الجهة الأخرى نقطة ماءٍ واحدة إلا قليلٌ من الماء ليجعل الأرض عندهم زلقة، فكلما مشوا عليها تنزلق عليها أقدامهم.

ماذا يصنع الله ﷻ بهذا الماء الذي نزل؟

﴿ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ وهي وسوسة الشيطان، فقالوا: كيف نكون من عباد الرحمن ونصلي مجنبين؟ وكيف نحارب؟ فذهبت هذه الوسوسة.

﴿ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴾ أي أن مدد الله موصول، وأن معونة الله ﷻ دائمة لا ريب فيها، وهذا الماء من غزارته في الموضع الذي كانوا فيه صنعوا حياضاً ملئوها بالماء، وتماسكت ذرات الرمال فأصبح السير عليها سهلاً، بينما الأرض التي عليها الكافرون أصبحت زلقة كلما مشي عليها أحدهم زلقت قدمه، أو زلقت أقدام فرسه فلا يستطيع السير، فكانت هذه أول الآيات البينات.

وكما قلنا أن كتيبة المسلمين كانت حوالي ثلاث مائة وثلاثة عشر، وعدد الكافرين يزيد عن الألف، وأيَّد الله المؤمنين بالملائكة، ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ ﴾ وقيل في هذا التأييد أقوالٌ كثيرة، فهناك من قال: أنهم كانوا يمسكون بالسيوف ويحاربون، وهناك من قال: أنهم كانوا يؤيدون المؤمنين ويحرضونهم على القتال، وهذا ما أثبته الله ﷻ:

﴿ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ ولم يقل الله (فقاتلوا) لأن الكافرين قد قُتل منهم سبعين رجلاً، وكل رجلٍ معروفٌ من الذي قتله من المسلمين، إذاً أين الذي قتلته الملائكة؟ لا أحد.

فالملائكة كانت مدداً لرفع الروح المعنوية، وهذا هو السلاح المعنوي لجيش النبي ﷺ؛ تثبيت المؤمنين إما عن طريق القلوب فيلهمون القلوب بالثبات والسكينة والطمأنينة، وإما يظهرون لبعضهم فيرونهم عياناً بياناً فيعرفون أن الله ﷻ يؤيدهم ويمدهم بمدده، هذا وارد وهذا وارد.

ثم بيَّن الله ﷻ أول سلاحٍ إلهيٍ فعَّال مع المؤمنين لحضرة النبي إلى يوم الدين!﴿ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ ﴾ هذا السلاح لا يخرج إلا من الحضرة الإلهية، وليس في الإمكانيات البشرية التكنولوجية صُنع هذا السلاح، وهو الرعب، والرعب يصل إلى ما قال فيه حضرة النبي ﷺ:

{ نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ }[7]

من يسمع أن النبي ذاهبٌ لهم وبينه وبينهم سفر شهر يحدث لهم رُعبٌ وخوفٌ من لقاء النبي، والرعب والخوف يجعل الإنسان لا يستطيع أن يسيطر على فكره، ولا أن يُخطط ولا أن يُدبِّر ولا أن يقدِّر، فيكون فريسة سهلة لمن يقاتله.

ثم بيَّن الله ﷻ وهو العليم الحكيم للمؤمنين الكيفية السديدة للقتال، تدريبٌ من الله لجيش الله:

﴿ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾!

وصل الأمر إلى أن الله ﷻ يُعلِّم جنده الكيفية السديدة للقتال، يُعلِّمهم سلاح القنص في هذا الزمن، فيضربون الضرب المؤثر، إما فوق العُنق ليقطع الرقبة، وإما في اليد التي تمسك بالسيف فيسقط منها السيف ويستطيع قتله بعد ذلك.

---

٧ البخاري ومسلم عن جابر ﷺ

ورغم ذلك كله لا ننسى أن هذه الواقعة والغزوة تبين العبقرية النبوية في القيادة الحربية، فقد كان ﷺ على أعلى ما وصلت إليه فنون القيادة للقتال في كل زمانٍ ومكان، لأنه ﷺ عندما همَّ بالمسير أرسل أولاً سلاح الإستطلاع ليستطلع أولاً جيش العدو، ويستطلع قافلة أبي سفيان، وعندما وصلته أنباء بأن العدو في موضع كذا أمرهم أن يُحضروا بعض غلمانهم فأمسكوا بغلامين وجاءوا بهما لحضرة النبي، فقال لهما:

{ كَمِ الْقَوْمُ؟ قَالا : كَثِيرٌ. قَالَ : مَا عِدَّتُهُمْ؟ قَالا : لا نَدْرِي. قَالَ : كَمْ يَنْحَرُونَ كُلَّ يَوْمٍ؟ قَالا : يَوْمًا تِسْعًا وَيَوْمًا عَشْرًا ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ، ﷺ : الْقَوْمُ مَا بَيْنَ التِّسْعِ مِائَةٍ وَالألْفِ }[8]

عبقرية نبوية، يعرف أن الجمل يأكله مائة، فعرف عددهم.

ثم قال لهما النبي ﷺ:

{ فَمَنْ فِيهِمْ مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ؟ قَالا : عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ وَأَبُو الْبَخْتَرِيِّ بْنُ هِشَامٍ وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ وَنَوْفَلُ بْنُ خُوَيْلِدٍ ، وَالْحَارِثُ بْنُ عَامِرِ بْنِ نَوْفَلٍ وَطُعَيْمَةُ بْنُ عَدِيِّ بْنِ نَوْفَلٍ وَالنَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ كِلْدَةَ ، وَزَمْعَةُ بْنُ الأَسْوَدِ وَأَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ وَنبيهٌ وَمُنَبِّهٌ ابْنَا الْحَجَّاجِ وَسُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو وَعَمْرُو بْنُ عُبْدُود ...، فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ، ﷺ عَلَى النَّاسِ ، فَقَالَ : هَذِهِ مَكَّةُ قَدْ أَلْقَتْ إِلَيْكُمْ أَفْلاذَ كَبِدِهَا }[9]

٨ تاريخ الطبري ودلائل النبوة للبيهقي
٩ تاريخ الطبري ودلائل النبوة للبيهقي

يعني أعزِّ الناس والوجهاء والأعيان عندها، وشرع النبي ﷺ بعد ذلك في خُطة القتال، فاختاروا مكاناً عالياً وأمرهم أن ينصبوا عليه قُبة القيادة ليطلع على المكان كله، وأوقف حُراسَّاً أشداء عند هذه القبة لأن قتل القائد قد يؤدِّي إلى الهزيمة بسبب خفض الروح المعنوية للجُند، ونزل ﷺ إلى أرض المعركة وأخذ يقول:

{ هَذَا مَصْرَعُ فُلانٍ غَدًا وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى الأَرْضِ، وَهَذَا مَصْرَعُ فُلانٍ غَدًا وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى الأَرْضِ، وَهَذَا مَصْرَعُ فُلانٍ غَدًا وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى الأَرْضِ، يقول أنس: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا جَاوَزَ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَنْ مَوْضِعِ يَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ }[١٠]

وصفَّ الجيش صفوفاً ونظَّمه، ولذلك كان أول جيشٍ منظم في الجزيرة العربية، وقريشاً كانت تعتاد الهمجية، يعتمدون على الكثرة فقط، لكن هذا جيش منظمٌ، فيه ميمنة، وميسرة، وقلب، ومقدمة، ومؤخرة، وساقة، وصنَّاع يصنعون الطعام، وقومٌ يقدمون الماء، وقومٌ نصبوا خيمة لعلاج الجرحى وأعدُّوا المواد التي يعالجون بها الجروح.

تنظيمٌ إلهي لم تعرفه جزيرة العرب من قبل، حتى لا نظن أن النصر من عند الله فقط وليس لنا دور فيه، بل كان هناك الدور العبقري لحضرة النبي ﷺ.

وبعد أن اكتملت الصفوف ووقف الأعداء أمسك النبي بحفنة من الحصى وألقاها عليهم، يقول أحدهم وهو حكيم بن حزام وكان وقتها في صفوف الكافرين:

---

١٠ سنن أبي داود عن أنس ﷺ

{ لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَخَذَ كَفًّا مِنَ الْحَصْبَاءِ فَاسْتَقْبَلَنَا بِهِ، فَرَمَانَا بِهَا، وَقَالَ: شَاهَتِ الْوُجُوهُ، فَانْهَزَمْنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ } ى

عندما انتهت هذه المعركة بقتل سبعين من الكافرين وأسر سبعين اختلف المقاتلون من المسلمين في الغنائم، المحاربون قالوا: الغنائم لنا لأننا نحن الذين حاربنا، والقاعدون قالوا: كنا نحميكم، فرفعها الله عنهم وأنزل فيها حُكم الله في أول سورة الأنفال! **﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ ﴾**

ثم بين هيئتها: **﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ﴾** لنعلم علم اليقين أننا لا بد أن نرجع في كل أمرٍ حتى لا يحدث خلاف إلى شرع الله، وإلى كتاب الله، وإلى سُنة حبيب الله ومصطفاه ﷺ.

---

١١ المعجم الكبير للطبراني

ثم انظر إلى الأدب الرباني لأصحاب النبي عندما انتهت المعركة ورجعوا كان كل رجلٍ يتحدث بما فعل فيقول: أنا اليوم فعلت كذا وكذا، وأنا قتلت فلاناً وفعلت كذا وكذا، فنزع الله ﷻ منهم نزعة الأنانية وهو الشعور بالذاتية منهم:

لأن المؤمن لا يرى لنفسه فعلاً ولكن يرى توفيق الله ﷻ، فقال الله لهم:

﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ﴾!

لا ينبغي للمؤمن أن يقف عند نفسه، وينسب الفضل لنفسه، وإنما ينسب الفضل للموفق المعين صاحب الحول والطول والقوة والفضل وهو الله ﷻ.

ولذلك متى يكون الرجل صوفياً؟

الصالحون يقولون: إذا ترك ياء النسب !!

يعني لا تسمع في كلامه مِني أو لي أو عليَّ، لكن ماذا يقول؟ يقول: من الله، وبالله، وبتوفيق الله، وبحول الله، وبمعونة الله، فينسب الفضل كله لمولاه، وينسى الأنانية التي هي سبب كل المشاكل، وسبب كل التأخر عن مقامات الصالحين والمقربين في هذه الحياة ... وهي سبب الحمية الجاهلية، وهي سبب الخلافات الشخصية، وهي سبب عداوات النفوس، وهي سبب أحقاد الصدور، كل هذا سببه النفس الموجودة، يريد أن يشعر بنفسه، لكن المؤمن يريد أن يشعر بفضل الله وبإكرام الله وبعطاء الله ﷻ! ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ (النحل) كل نعمة ظاهرة أو باطنة للمرء من الله ﷻ.

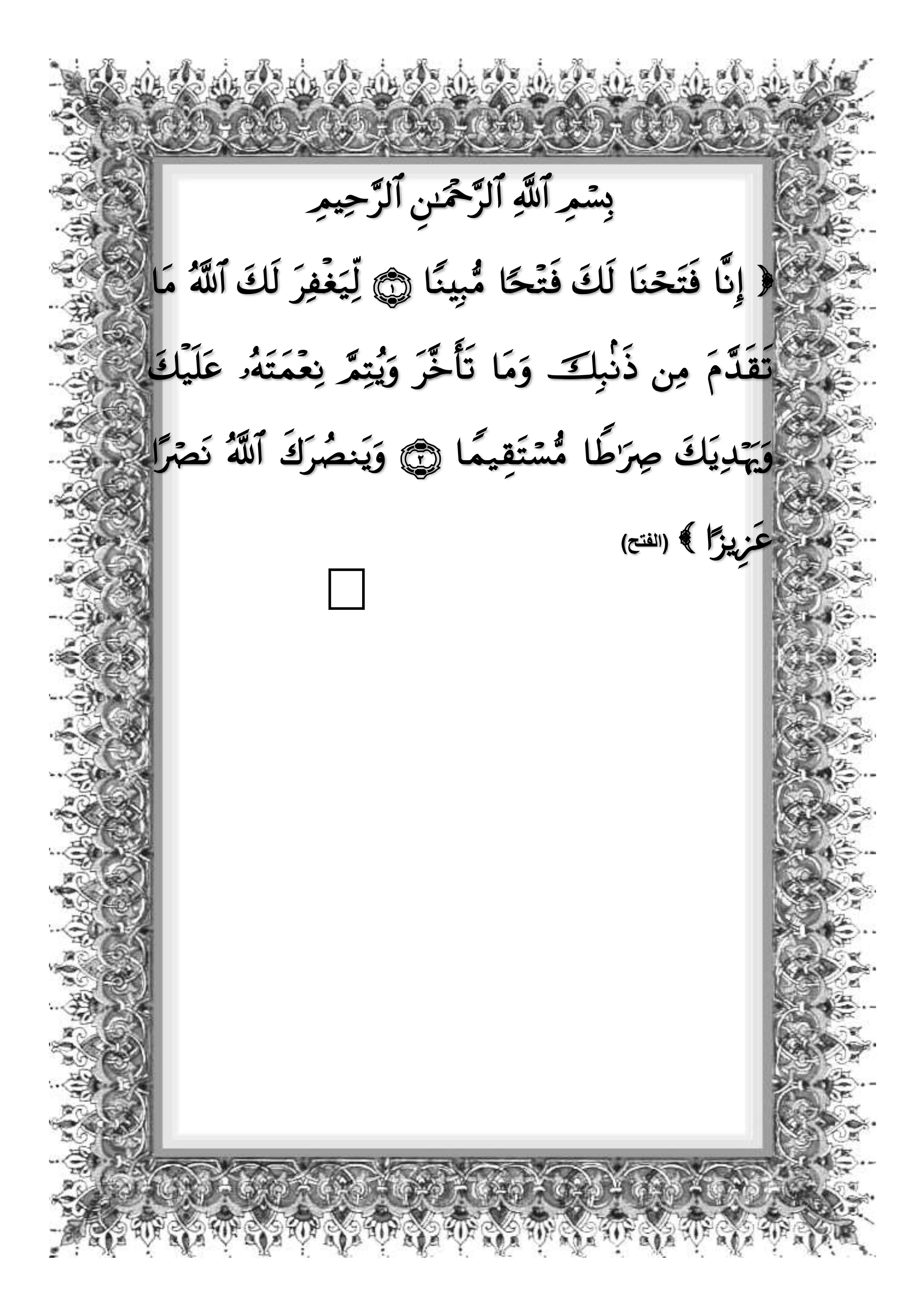
ثم علَّل الله ﷻ السِّر الذي حدث في هذه الواقعة لهؤلاء الكافرين والجاحدين، فقال تعالى! ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ يعني حاربوا الله ورسوله!﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ أي إنسان يتجرأ لحرب الله أو لحرب رسول الله أو لحرب دين الله، فإن الله ﷻ شديد العقاب، وكذا من يتجرأ على الصالحين الصادقين وقد قال تعالى:

{ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ }[12]

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

---

[12] صحيح البخاري ومسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ۝١ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا ﴾ (الفتح)

١١. فتح مكة

الفتح المبين

الإشارات النورانية في فتح مكة

طريق الفتح الإلهي

١١. فتح مكة[1]

بسم الله الرحمن الرحيم ـ الحمد لله الذي فتح لنا بفضله وكرمه وجوده فتحاً قريباً، وسلك بنا طريقاً مستقيماً، ونصرنا على أنفسنا نصراً عزيزاً، والصلاة على مصدر كل فتح، وسرُّ كل خيرٍ وبرٍ، وسبب كل معروفٍ وصلة من الله لخلق الله، سيدنا محمد وآله وصحبه ومن والاه.

في مثل هذا اليوم الأغر الميمون، وفي العام الثامن من هجرة حضرة النبي ﷺ كان فتْحُ مكة، وفتْحُ مكة كان يستحق أن يُطلق عليه فتح الفتوح، لأن بعده فُتحت القلوب، وفُتحت البلاد في كل أرجاء الجزيرة العربية للدخول في دين الله ﷻ أفواجا.

ومن العجب أن سورة الفتح لم تنزل في هذا الوقت، وإنما نزلت في العام السادس من الهجرة، عندما عزم النبي ﷺ ومعه صحبه الكرام أن يخرجوا لأداء مناسك العمرة، وكان معه حوالي ألفٍ وأربعمائة من الصحابة الكرام.

وذهبوا محرمين ناوين العمرة وليس معهم من الأسلحة الحربية إلا السيوف في أغمادها، يعني في جرابها، والسيوف في أغمادها معناها أن من يراهم يعلم أنهم لايريدون حرباً، ولا يعلنون حرباً وليسوا جاهزين لحربٍ، وخرج النبي ﷺ ومعه هؤلاء الصحابة الأماجد يريدون أن يلبوا شوقهم بالطواف ببيت الله ﷻ الحرام.

---
[1] مسجد أبو العزائم بمغاغة – المنيا ـ ٢٠ من رمضان ١٤٣٦ هـ ٢٠١٥/٧/٧م

وكان أهل مكة قد عرفوا بقدومهم، فاجتمعوا وقرروا أن لا يدخل الرسول ﷺ ومن معه مكة عُنوة - يعني رغماً عنهم - وتدخل العقلاء منهم وقالوا: نفاوضهم، وبعد مفاوضات مضنية أصرُّوا بسبب العصبية الجاهلية والعنجهية القرشية على أن الرسول ﷺ ومن معه لا يدخلون هذا العام، ويرجع في العام التالي ويتركون له مكة ثلاثة أيام يؤدِّي فيها هو ومن معه مناسك العُمرة، ويتمتعون بالطواف بالبيت الحرام.

وبعد المفاوضات المضنية تم عقد صُلح الحديبية، وكان هذا الصُلح به شروطٌ مجحفة، والذي أجرى المفاوضات في البداية عُروة بن مسعود الثقفي، ويعطينا لمحة عن حب أصحاب النبي لحضرة النبي، عندما رجع إلى أهل مكة بعد أن رأى النبي وصحبه الكرام قال!

{ وَاللَّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ، وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ، وَكِسْرَى، وَالنَّجَاشِيِّ، وَاللَّهِ ما رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا، وَاللَّهِ إِنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمُ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ}[٢] .

٢ البخاري ومسند أحمد

□

فأرسلوا سُهيل بن عمرو ليتفاوض للنهاية ويكتب عقد الصُلح مع حضرة النبي، وأظن أن أغلبكم يحفظ هذا الصُلح وهو أن النبي ﷺ يرجع هذا العام ومن معه، ويأتي في العام القادم ويدخل مكة ويُخلي له أهل مكة لمدة ثلاثة أيام، وأن تتم هُدنة بين قريشٍ وبين النبي لمدة عشر سنين، وأن من أراد أن يدخل في حلف النبي فله ذلك، وأن من أراد أن يدخل في حلف قريش من القبائل فله ذلك.

ويأتي البند الشديد على أصحاب حضرة النبي وهو: من ترك الإسلام وذهب إلى قريش لا يردُّونه إلى حضرة النبي، ومن أسلم من قريش وذهب إلى حضرة النبي يردُّه إلى قريش، وهذا الشرط الذي رأى البعض فيه الضيم، وفيه الغُبن والذي من أجله تململ كثيرٌ من أصحاب رسول الله ﷺ، حتى سيدنا عمر، لكنهم كانوا على التربية النبوية الكريمة، إذا وُجد في صدر أحدهم شيء لا يكبته ولا يتحدث في الخفاء، ولكن يذهب إلى حضرة النبي على الفور ويواجهه برأيه ليُشفي صدره، ولا يتكلم مع هذا ولا مع ذاك، فذهب عمر ﷺ إلى سيدنا رسول الله ﷺ، وقال:

{ أَلَسْتَ نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا؟ قَالَ : بَلَى ، قُلْتُ : أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ : بَلَى ، قُلْتُ : فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا ، قَالَ : إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ ، وَلَسْتُ أَعْصِيهِ وَهُوَ نَاصِرِي ، قُلْتُ : أَوَلَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ فَنَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ : بَلَى ، فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ الْعَامَ؟ قَالَ : قُلْتُ لا ، قَالَ : فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ بِهِ } [3]

وفي رواية أخرى قال عمر : { أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ؟ فَقَالَ : بَلَى ، فَقَالَ : أَلَيْسَ قَتْلَانَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتْلَاهُمْ فِي النَّارِ ، قَالَ : بَلَى ، قَالَ : فَعَلَى مَا نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا ، أَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ ، فَقَالَ : يَا ابْنَ الْخَطَّابِ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللَّهُ أَبَدًا } [4]

سيدنا رسول الله كان حكيماً، لأن من يدخل في الكفر بعد الإسلام فهل نحتاجه؟

لا، فليذهب للجحيم !!!

ومن دخل في الإسلام ويردُّه حضرة النبي سيجعل الله له فرجاً قريباً ..

وقد حدث ذلك.

فَانْطَلَقَ عُمَرُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : { إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ وَلَنْ يُضَيِّعَهُ اللَّهُ أَبَدًا } [5]

---

٣ صحيح البخاري عن مسور بن مخرمة ﷺ
٤ البخاري ومسلم عن سهل بن حنيف ﷺ
٥ البخاري ومسلم عن سهل بن حنيف ﷺ

لكي تعرفوا الصِدِّيق مع حضرة النبي ﷺ، كانا نبعٌ واحدٌ، فما قاله حضرة النبي هو الذي قاله أبو بكر، ولذلك قال ﷺ: **{ مَا صَبَّ اللَّهُ فِي صَدْرِي شَيْء إِلا وَصَبَبْتُهُ فِي صَدْرِ أَبِي بَكْرٍ }**[6]، وفي رواية أخرى: **(قال عمر : يَا أَبَا بَكْرٍ ، أَوَلَيْسَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ أَوَلَسْنَا بِالْمُسْلِمِينَ؟ أَوَلَيْسُوا بِالْمُشْرِكِينَ؟ قَالَ : بَلَى ، قَالَ : فَعَلامَ نُعْطِي الذِّلَّةَ فِي دِينِنَا ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : يَا عُمَرُ ، الْزَمْ غَرْزَهُ حَيْثُ كَانَ ، فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ، قَالَ عُمَرُ : وَأَنَا أَشْهَدُ)**[7].

والزم غرزك أي إياك أن تُشكِّك في هذا الأمر، وبينما هم يكتبون هذا الصُلح فسيدنا رسول الله بدأ يُملي، وكان الكاتب سيدنا علي بن أبي طالب فقال:

{ أُكتب بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، قَالَ سُهَيْلٌ : أَمَّا الرَّحْمَنُ ، فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا هُوَ ، وَلَكِنِ اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ كَمَا كُنْتَ تَكْتُبُ ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ : وَاللَّهِ لا نَكْتُبُهَا إِلا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ ، ثُمَّ قَالَ : هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، فَقَالَ سُهَيْلٌ : وَاللَّهِ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ الْبَيْتِ وَلا قَاتَلْنَاكَ ، وَلَكِنِ اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : وَاللَّهِ إِنِّي لَرَسُولُ اللَّهِ ، وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي ، اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ }[8] وفي رواية أخرى قال لعلي ﷺ! **{ امْحُ رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : لا وَاللَّهِ ، لا أَمْحَاكَ أَبَدًا ، فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ ، ﷺ وَلَيْسَ يُحْسِنُ يَكْتُبُ ، فَكَتَبَ مَكَانَ : (رَسُولُ اللَّهِ) (مُحَمَّدٌ) }**[9]

وأخبر النبي ﷺ علي بن أبي طالب أنه سيُدعى إلى مثل هذا ويجيب، وهذا من كشف الغيوب له ﷺ، وقد حدث هذا في موقعة التحكيم بينه وبين معاوية.

---

٦ الفوائد المجموعة للشوكاني
٧ مسند أحمد عن المسور بن مخرمة ﷺ
٨ البخاري ومسلم
٩ تاريخ الطبري

{ ثم قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لسهيل : عَلَى أَنْ تُخَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبَيْتِ فَنَطُوفَ بِهِ ، فَقَالَ سُهَيْلٌ : وَاللَّهِ لا تَتَحَدَّثُ الْعَرَبُ ، أَنَّا أُخِذْنَا ضُغْطَةً ، وَلَكِنْ ذَلِكَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ ، فَكَتَبَ ، فَقَالَ سُهَيْلٌ ، وَعَلَى : أَنَّهُ لا يَأْتِيكَ مِنَّا رَجُلٌ ، وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِكَ إِلا رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا ، قَالَ الْمُسْلِمُونَ : سُبْحَانَ اللَّهِ ، كَيْفَ يُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جَاءَ مُسْلِمًا ؟ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ أَبُو جَنْدَلِ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو يَرْسُفُ فِي قُيُودِهِ ، وَقَدْ خَرَجَ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ حَتَّى رَمَى بِنَفْسِهِ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُسْلِمِينَ ، فَقَالَ سُهَيْلٌ : هَذَا يَا مُحَمَّدُ ، أَوَّلُ مَا أُقَاضِيكَ عَلَيْهِ أَنْ تَرُدَّهُ إِلَيَّ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : إِنَّا لَمْ نَقْضِ الْكِتَابَ بَعْدُ ، قَالَ : فَوَاللَّهِ إِذًا لَمْ أُصَالِحْكَ عَلَى شَيْءٍ أَبَدًا ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : فَأَجِزْهُ لِي ، قَالَ : مَا أَنَا بِمُجِيزِهِ لَكَ ، قَالَ : بَلَى ، فَافْعَلْ ، قَالَ : مَا أَنَا بِفَاعِلٍ ، قَالَ أَبُو جَنْدَلٍ : أَيْ مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ أُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ ، وَقَدْ جِئْتُ مُسْلِمًا ، أَلا تَرَوْنَ مَا قَدْ لَقِيتُ وَكَانَ قَدْ عُذِّبَ عَذَابًا شَدِيدًا فِي اللَّه }[10] ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : يَا أَبَا جَنْدَلٍ ، اصْبِرْ وَاحْتَسِبْ ، فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ جَاعِلٌ لَكَ وَلِمَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ فَرَجًا وَمَخْرَجًا[11].□

وعند رجوعه إلى المدينة نزلت سورة الفتح، .... الفتح هنا يُقصد به صُلح الحديبية، فقالوا:

---

10 البخاري ومسلم
11 مسند أحمد

{ يا رسول الله أَوَ فَتْحٌ هُوَ؟ قَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُ لَفَتْحٌ } [12]

لماذا الفتح؟ ... لأن معظم العرب كان يتأخر عن الدخول في الدين حتى يروا أهل النبي لأنهم أشدُّ أعداء النبي، ننتظر حتى نرى عائلته وأهل بلدته ماذا يفعلون معه؟ فلما حصل هذا الصُلح بدأ العرب يدخلون في دين الله ﷻ أفواجاً، وقبل هذا الصُلح أيضاً كانت الحرب قائمة بين النبي وأهل مكة، فلم يكونوا يتزاورون ولا يتجالسون ولا يتحادثون لأن هناك حرب، بعد الصُلح بدأ الأقارب يتزاورون ويتحادثون ويتكلمون عن النبي فدخل معظم أهل مكة في دين النبي ﷺ ... وأنتم تعلمون أن خالد بن الوليد وعمرو بن العاص كانوا من كبار القوم الذين أسلموا بعد صُلح الحديبية.

فمكَّن هذا الصلح من إسلام أهل مكة، ولم يبق إلا القليل الذين ظلوا على كفرهم لشيء في نفوسهم، وليس لعدم اقتناعهم بدين الله ﷻ، إذاً هذا الصلح فتح الطريق للعرب أجمعين للدخول في دين الله ﷻ، وفتح الطريق لأهل مكة للدخول في دين الله ﷻ، وأعطى النبي ﷺ فرصته ليقضي على اليهود الذين كانوا أشدَّ أعدائه في حروبه مع قريش فيما مضى من الزمان ... ولذلك رجع من مكة على خيبر مباشرةً، لأن اليهود كانوا أشد أعدائه، وكانوا الطابور الخامس الذي يحاول دائماً وأبداً أن يكيد للمسلمين من وراء ظهورهم.

---

١٢ مستخرج أبي عوانة

أبو جُندل رجع إلى مكة ولكنه لم يسكت، وكان معه أمثاله من الشباب المسلمين الذين يُعذبون، وأحدهم كان إسمه أبو بصير، هاجر إلى المدينة مسلماً:

{ فَأَرْسَلُوا فِي طَلَبِهِ رَجُلَيْنِ ، فَقَالُوا : الْعَهْدَ الَّذِي جَعَلْتَ لَنَا فَدَفَعَهُ ﷺ إِلَى الرَّجُلَيْنِ ، فَخَرَجَا بِهِ حَتَّى بَلَغَا ذَا الْحُلَيْفَةِ ، فَنَزَلُوا يَأْكُلُونَ مِنْ تَمْرٍ لَهُمْ ، فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ لِأَحَدِ الرَّجُلَيْنِ : وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَى سَيْفَكَ هَذَا يَا فُلَانُ جَيِّدًا فَاسْتَلَّهُ الْآخَرُ ، فَقَالَ : أَجَلْ وَاللَّهِ إِنَّهُ لَجَيِّدٌ ، لَقَدْ جَرَّبْتُ بِهِ ثُمَّ جَرَّبْتُ ، فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ : أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْهِ فَأَمْكَنَهُ مِنْهُ ، فَضَرَبَهُ حَتَّى بَرَدَ ، وَفَرَّ الْآخَرُ حَتَّى أَتَى الْمَدِينَةَ فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ يَعْدُو ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ رَآهُ : لَقَدْ رَأَى هَذَا ذُعْرًا ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : قُتِلَ وَاللَّهِ صَاحِبِي وَإِنِّي لَمَقْتُولٌ ، فَجَاءَ أَبُو بَصِيرٍ ، فَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، قَدْ وَاللَّهِ أَوْفَى اللَّهُ ذِمَّتَكَ ، قَدْ رَدَدْتَنِي إِلَيْهِمْ ، ثُمَّ أَنْجَانِي اللَّهُ مِنْهُمْ ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : وَيْلُ أُمِّهِ مِسْعَرَ حَرْبٍ لَوْ كَانَ لَهُ أَحَدٌ ، فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ عَرَفَ أَنَّهُ سَيَرُدُّهُ إِلَيْهِمْ ، فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى سِيفَ الْبَحْرِ ، وَيَنْفَلِتُ أَبُو جَنْدَلِ بْنُ سُهَيْلٍ من قريش فَلَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ ، فَجَعَلَ لَا يَخْرُجُ مِنْ قُرَيْشٍ رَجُلٌ قَدْ أَسْلَمَ إِلَّا لَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ حَتَّى اجْتَمَعَتْ مِنْهُمْ عِصَابَةٌ ، فَوَاللَّهِ مَا يَسْمَعُونَ بِعِيرٍ خَرَجَتْ لِقُرَيْشٍ إِلَى الشَّامِ إِلَّا اعْتَرَضُوا لَهَا ، فَقَتَلُوهُمْ وَأَخَذُوا أَمْوَالَهُمْ ، فَأَرْسَلَتْ قُرَيْشٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ تُنَاشِدُهُ بِاللَّهِ وَالرَّحِمِ لَمَّا أَرْسَلَ ، فَمَنْ أَتَاهُ فَهُوَ آمِنٌ فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ حَتَّى بَلَغَ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ } [13]

حتى نعرف بصيرة النبوة، فهم الذين تنازلوا عن هذا الشرط بأنفسهم، وقد ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:

١٣ انظر لتفصيل هذه الغزوة والهدنة، فتح الباري، صحيح البخاري، صحيح مسلم، ابن هشام، زاد المعاد، مختصر سيرة الرسول للشيخ عبد الله النجدي، تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي

{ لَمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ الْحُدَيْبِيَةِ نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَيَنْصُرَكَ اللهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾ قَالَ الْمُسْلِمُونَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَنِيئًا لَكَ مَا أَعْطَاكَ اللَّهُ ، فَمَا لَنَا؟ فَنَزَلَتْ:

﴿ لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ } [14]

الفتح المبين

هذا الفتح المبين؛ فتح مكة:

ضرب به ﷺ النموذج الفذَّ في الرحمة مع القائد الفاتح الذي تمكَّن ممن آذوه إحدى وعشرين عاماً أشد الإيذاء، وآذوا أصحابه وصادروا أملاكهم وأموالهم في كل ضروب الإيذاء ....

ولكنه ﷺ عندما دخل إلى مكة لم يُرد أن يُسبب لهم أذى فأمر المسلمين أن يقفوا خارج مكة، مع أنه وهو خارج من المدينة قال:

{ اللَّهُمَّ خُذِ الْعُيُونَ وَالأَخْبَارَ عَنْ قُرَيْشٍ حَتَّى نَبْغَتَهَا فِي بِلادِهَا } [15]

فلم يشعر بهم أهل مكة إلا وهم على أبواب مكة، ولو دخلها فاتحاً فمعنى ذلك أنه قد أصبح الرجال عُرضةً للقتل، والنساء عُرضةً للسبي، كل ما فيها أصبح ملكاً لحضرته، لكنه كان يريد المرحمة صلوات الله وتسليماته عليه.

---

١٤ مسند أحمد عن أنس ﷺ
١٥ تاريخ الطبري عن المسور بن مخرمة ﷺ

فأمر الجيش كله أن يوقدوا ناراً ضخمة حتى يراها الكفار فيخرجوا ليستفسروا عنها فيعلمون أنه جيش رسول الله ﷺ.

وفعلاً خرج أبو سفيان ومعه بضع نفر وسأل: ما هذا؟

قال له أحدهم: نار خُزاعة، وخزاعة كانت قبيلة مناصرة لحضرة النبي، وبنو بكر كانوا مناصرين لقريش، فهجم بنو بكر على خُزاعة وأعانتهم قريش، فاستغاثت خُزاعة بالنبي فأغاثهم رسول الله ﷺ، وهذا كان سبب الفتح.

فقال أبو سفيان: إن هذه نارٌ ضخمة لقبيلة مثل خزاعة، وخزاعة أذَّل وأقل من ذلك، فعندما ذهب إلى هناك بُهت عندما شاهد الجيش الذي كان قوامه عشرة آلاف جندي مدججين بكل أنواع السلاح ...

قابله العباس عم النبي وأخذه إلى حضرة النبي ليطلب الأمان لقريش حتى يدخل النبي ﷺ إلى مكة ولا يستحلها، ولا يُنزل غضبه وحربه وسخطه على أهلها.

وكان النبي ﷺ قد قسَّم الجيش إلى عدة كتائب، وأعطى سعد بن عبادة راية، فمرَّ على أبي سفيان فقال:

{ يَا أَبَا سُفْيَانَ ، الْيَوْمَ يَوْمُ الْمَلْحَمَةِ ، الْيَوْمَ تُسْتَحَلُّ الْكَعْبَةُ ، فلما مر رسول الله ﷺ بأبي سفيان أخبره بما قاله سعد ، فقال ﷺ : كَذَبَ سَعْدٌ ، وَلَكِنْ هَذَا يَوْمٌ يُعَظِّمُ اللَّهُ فِيهِ الْكَعْبَةَ ، وَيَوْمٌ تُكْسَى فِيهِ الْكَعْبَةُ }[16] .□

وكان ﷺ حكيماً في تصرفاته حتى لا يحدث فتنة فقال:

خذوا الراية من سعد وأعطوها لإبنه قيس بن سعد، فلم يحدث مشكلة لأن من أخذ الراية ابنه، وهي حكمة رسول الله ﷺ العالية.

ودخل ﷺ مكة وطاف بالبيت الحرام، وكان حوله ثلاث مائة وستين صنماً، فطاف راكباً على ناقته وكلما مر بصنمٍ أشار إليه برمحه فكُبَّ الصنم على وجهه، ثم طلب فتح البيت الحرام فوجده مليئاً بالصور فأمر بمحو هذه الصور من البيت الحرام، وأمر بلالاً أن يؤذِّن للناس في هذا الموضع العظيم.

وانظر إلى أمانة هذا النبي الصادق الوعد الأمين ﷺ:

كانت قريش تقتسم خدمة الكعبةك

فبنوا هاشم وهم عائلة النبي كان عليهم سقاية الحجيج.

وسفيان بن حرب وعائلته كان عليهم لواء الحرب.

---

١٦ صحيح البخاري

- وقبيلة أخرى كان عليهم الحجابة يعني معهم مفتاح الكعبة، وكان الموجود في هذا الوقت من هذه القبيلة عثمان بن طلحة، فطلب منه النبي مفتاح الكعبة وفتح به باب الكعبة ودخل، فقال سيدنا علي: يا رسول الله ضُم لنا الحجابة والسقاية وأعطني المفتاح، فقال ﷺ: **{ أَيْنَ عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ؟ فَدُعِيَ لَهُ، فَقَالَ: هَاكَ مِفْتَاحُكَ،ثم قال ﷺ: " خُذُوهَا يَا بَنِي طَلْحَةَ خَالِدَةً تَالِدَةً، لا يَنْزِعُهَا مِنْكُمْ إِلا ظَالِمٌ " }** [17]

ولذلك خدم الكعبة إلى وقتنا هذا من ذرية عثمان بن طلحة كما أمر النبي صلوات ربي وتسليماته عليه.

دخل النبي ﷺ مكة ....

ومكث فيها خمسة عشر يوماً ,,,

فوطَّد أمورها، وأشاع النور في ربوعها بعد أن عفا وضرب المثل الأعظم في العفو عن إساءة أهلها، عندما جمعهم وقال:

{ مَا تَرَوْنَ أَنِّي صَانِعٌ بِكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرًا، أَخٌ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ، قَالَ: اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ } [18]

الإشارات النورانية في فتح مكة

هذه الغزوة فيها إشارات نورانية، ورموزٌ عرفانية يجتنيها السالكون، ويمشي على هداها طالبين الفتح من رب العالمين

---

١٧ معجم الطبراني
١٨ سنن البيهقي عن أبي هريرة ﷺ

إن طريق الله ﷻ له في كل آية من كتاب الله، وفي كل حديثٍ واردٍ عن سيدنا رسول الله ﷺ معنى إشاري يستفيد به المؤمن السالك في سَيره وسلوكه إلى الله.

وهذا المعني الإشاري لا ينافي المعنى العام، فإذا تحدَّث على منبر أو في مسجد أو مع عوام الناس فيتكلم في المعنى العام، لكن حديث الإنسان مع حقائقه لمن أراد أن يرقيها وينميها ويزكيها فيكون في خاطرهم، فهذا له معنى خاص وبه يصير من أهل الإختصاص إن شاء الله رب العالمين.

ومن أراد أن يفتح عليه الله كما فتح على أصحاب حضرة النبي والعارفين والصالحين وأئمة المتقين - - وهذا الحال هو ما نريده - وهو في الحقيقة فتح قلبياً وليس فتحاً دنيوياً.

وإياكم أن يعتقد أحدٌ أن فتح الله على العارفين هو فتحٌ دنيويُ من وسعة المال ووسعة الجاه ووسعة الأملاك الدنيوية، لا، لأن كل هذه أشياء فانية، وقد وعدهم الله ﷻ أن يعطيهم منها ما لا غني لهم عنه، ولا يشغلهم عن الله طرفة عين ولا أقل ... هذه الأشياء إذا زادت مع الإنسان تشغله عن الله ﷻ، لكن الفتح هو الفتح القلبي، والفتح القلبي هو أن يفتح الله ﷻ على العبد بأنوار الإحسان، فيجعله أولاً يرى حضرة الله ﷻ معالم في آفاق قلبه لا يغيب عن الحضور بين يديه ﷻ طرفة عينٍ ولا أقل، إن كان ماشياً أو نائماً أو يعمل أو يأكل أو يشرب: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ (٤الحديد)

لأنه يوجد أيضاً في الفتح القلبي بعض أدعياء الطريق، الذين يوهمون الناس أن الفتح هو أن الله يعطيه كرامة يعلم بها ماذا في بيتك وما تخبئه في يدك وماذا في جيبك!! وهذا ليس فتحاً، ولو كان هذا فتحٌ فيكون فتحاً شيطانياً، لكن الفتح الإلهي الذي يُقرِّب العبد إلى مولاه، ويجعله أكثر الناس شبهاً لحبيب الله ومصطفاه ﷺ.

فأول الفتح أنوار الإحسان، وإذا أكرمه الكريم بعد ذلك يكرمه بدرجات الإيقان، فمهما نزل عليه من الهموم،ومهما تلبدَّت له الغيوم، فلا يشُكُّ طرفة عينٍ ولا أقل في إكرام الله وفي فضل الله وفي عطف الله وفي حنان الله جل في عُلاه، فلا يتشكَّك في مولاه طرفة عينٍ ولا أقلٍ.

إذا ثبت على ذلك يكرمه الله ﷻ بالتوفيق، والتوفيق مرتبة عالية في الطريق: ﴿ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (هود ٨٨)

أما المكاشفات والمشاهدات والمؤانسات والمخاطبات فتلكُم الأمور لا تشغل كُمَّل العارفين عن الإقبال على الله ﷻ طرفة عينٍ ولا أقل، بل بعضهم يفِّر منها لأنها قد تشغل الحقائق الباطنة عن أنوار الله ﷻ القدسية، وكل ما يريدونه هو القرب من الله ولا يشغلهم شاغلٌ عن هذه الحضرة الإلهية طرفة عينٍ ولا أقل.

طريق الفتح الإلهي

فمن يريد الفتح فعليه أولاً:

أن تكون بدايته هي أن يتشبَّه بأصحاب رسول الله في حبهم لحبيب الله ومصطفاه، الحب الذي جعلهم يُفدُّونه بأنفسهم وأموالهم وآبائهم وأمهاتهم، والحب الذي حدث والذي أدهش الكافرين من أهل مكة عندما أراد النبي أن يرسل رجلاً إلى أهل مكة ممن معه ليخبرهم أنه جاء قاصداً أداء العمرة والطواف بالبيت ولا يريد حرباً، وأراد أن يرسل عمر بن الخطاب ﷺ فقال:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَخَافُ قُرَيْشًا عَلَى نَفْسِي وَلَيْسَ بِهَا مِنْ بَنِي عَدِيٍّ أَحَدٌ يَمْنَعُنِي وَقَدْ عَرَفَتْ قُرَيْشٌ عَدَاوَتِي إِيَّاهَا، وَغِلْظَتِي عَلَيْهَا، وَلَكِنْ أَدُلُّكَ عَلَى رَجُلٍ هُوَ أَعَزُّ مِنِّي عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، قَالَ: فَدَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَبَعَثَهُ إِلَى قُرَيْشٍ يُخْبِرُهُمْ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ لِحَرْبٍ، وَأَنَّهُ جَاءَ زَائِرًا لِهَذَا الْبَيْتِ، مُعَظِّمًا لِحُرْمَتِهِ، فَخَرَجَ عُثْمَانُ حَتَّى أَتَى مَكَّةَ، وَلَقِيَهُ أَبَانُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ، فَنَزَلَ عَنْ دَابَّتِهِ وَحَمَلَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَرَدِفَ خَلْفَهُ، وَأَجَارَهُ حَتَّى بَلَّغَ رِسَالَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَانْطَلَقَ عُثْمَانُ حَتَّى أَتَى أَبَا سُفْيَانَ وَعُظَمَاءَ قُرَيْشٍ فَبَلَّغَهُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا أَرْسَلَهُ بِهِ، فَقَالُوا لِعُثْمَانَ: إِنْ شِئْتَ أَنْ تَطُوفَ بِالْبَيْتِ فَطُفْ بِهِ، فَقَالَ: مَا كُنْتُ لأَفْعَلَ حَتَّى يَطُوفَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: فَاحْتَبَسَتْهُ قُرَيْشٌ عِنْدَهَا، فَبَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمِينَ أَنَّ عُثْمَانَ قَدْ قُتِلَ } [١٩].

١٩ مسند أحمد عن المسور بن مخرمة ﷺ

□

هو الحب، لا يطوف حتى يطوف رسول الله ﷺ أولاً، وبعد أن أُشيع بأن عثمان قد قُتل، قالوا: لن نرجع حتى يرجع عثمان أو ندخل مكة لنأخذ بثأره، ثم دعا النبي ﷺ للبيعة، فبايعوه ﷺ بيعة الرضوان تحت الشجرة المباركة، ووضع النبي يده اليُمنى في أيديهم، ووضع يده اليُسرى وقال: هذه عن عثمان، وهي البيعة التي مدحها الله وأثنى عليها: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ الفتح

والمغانم الظاهرة كانت لخيبر ووعدهم بها، والمغانم الباطنة كالمعارف واللطائف والعلوم الإلهية والأنوار الربانية لا حصر لها وهي مستمرة إلى يوم الدين .. فلا بد للمريد أن يُوطِّن أولاً نفسه على حب النبي ﷺ، وحب الصفيِّ الذي أقامه حضرة النبي وجعله عبداً وفياً يأخذ بأيدي إخوانه المؤمنين على نهج سيد الأولين والآخرين ﷺ.

ثانياً: جهاد النفس، فإذا وطَّن العزم على ذلك الحب يبدأ فوراً الجهاد:

**الحب مبدأنا والوجه قبلتنا		والمصطفى قدوتي فاعلم مراقينا**

بأن يتعرَّف على ما في نفسه من حقائق إلهية، منها العنادية، ومنها الإبليسية، ومنها الحيوانية، ونوازعها وخواطرها وشُغلها وأهوائها، ويسعى لإتمام الصُلح بين هؤلاء كصُلح الحديبية.

والإمام أبو العزائم أشار إلى هذا الصُلح في كتاب إسمه (محكمة الصُلح الكُبرى):

ومحكمة الصلح الكبرى بين الحقائق التي في الجسم، والجسم لن يمشي على الطريق القويم والمستقيم إلى الله إلا إذا اصطلحت الحقائق التي بداخلك، وكلها سلَّمت للنفس الملكوتية، والنفس الملكوتية ستجرُّها إلى الحضرة المحمدية، ثم إلى العوالم العلية،ثم إلى الذات الإلهية.

لكن طالما النفوس الأخرى تعمل بهواها، فما تبنيه النفس الملكوتية في سَنَة، فالنفس الإبليسية ستهُدُّه في سِنَة، فلحظة غرور تهدم عمل شهور.

يعبد الله ﷻ شهوراً طوالاً فيغترُّ بهذه العبادة، فأين تذهب هذه العبادة؟

ستنتهي، بل ستجعله يهوي إلى مكانٍ سحيقٍ لأنه نسي أصله وفصله ومقام العبودية الذي ينبغي أن يُقبل به على الله ﷻ.

فلابد أولاً بعد الحب:

أن يدخل الإنسان إلى ما فيه من عوالم الله، فيتعرَّف عليها، يتعرَّف على العقل وما دوره.

والنفوس التي فيه كالنفس الجمادية، والنفس النباتية، والنفس الحيوانية، والنفس الإبليسية، والنفس الملكوتية، والنفس القدسية، فيرى هذه العوالم كلها، وكل عالم من عوالم هذه النفوس ما دورها؟ وما نوازعها؟ وكيف يجعل سلام بين هؤلاء حتى يصل إلى مقام التسليم: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ بداخلك أنت، وليس ما بخارجك ﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ () التسليم لحضرة النبي الكريم ﷺ.

فلابد من صُلح الحديبية، وهو الصُلح بين النفوس.

إذا أتمَّ هذا الصُلح، يدخل بعد ذلك إلى دائرة القلب، ولكي يدخل على دائرة القلب فيجد حوله أصنام وضعتها النفوس لتُبعد الإنسان عن طريق الملك القدوس، فالهوى صنم، والحظ صنم، والرغبة في الداني صنم، والطمع في الفاني صنم، والحرص على الأشياء الدنية صنم ... أصنام كثيرة يقول فيها سيدي أبو العباس المرسي رضي الله عنه في قول الله تعالى:

﴿ قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (59) قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (60) ﴾ **(إنما سُمي إبراهيم فتى لأنه كسَّر الأصنام، وكذلك لا يصل الإنسان السالك في طريق الله إلى مقام الفُتوة إلا إذا كسَّر أصنامه المعنوية التي بداخله)**

فأى شيء تتوجه إليه ويشغلك عن الله فهو صنم:

- ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ (الجاثية) إلهه الهوى، وأصبح هو الإله الذي يعبده، قال بعض السلف: (شر إله عُبد في الأرض الهوى) ﴿ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ (الجاثية) وأضله الله عن الحق على علمٍ، مع أنه يعلم أن هذا حلال وهذا حرام، ولكن إذا مشى على الهوى فيُحلل الحرام ويُحرّم الحلال ﴿ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً ﴾ (الجاثية)
- لكن العبد الذي يريد حقيقتنا: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ أفرأيت من اتخذ إلهه ﷻ هواه، ﴿ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ وأضله الله عن الدنيا مع ما فيها من زخارف ومطارف ﴿ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ مع أنه على علمٍ بها، ﴿ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ ﴾ فلا يسمع إلا منه، ولا ينظر إلا إليه ﴿ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً ﴾ جعل على بصره غشاوة من الحظوظ والشهوات الدنيوية، فلا يلتفت إليها بالكلية لشغله بالذات العلية ...

انظر أين هذا؟!! وأين ذاك؟!!

**شغل أهل الجفا بدنيا دنية		شُغل أهل الصفا بذات علية**

فلابد وأن يُحطِّم الأصنام لكي يصل إلى مقام الفتوة: ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَـٰهُمْ هُدًى ﴾ (الكهف)

فإذا كسَّر أصنامه؛ أصنام حظه وهواه، والآمال الفانية،وما شاكل ذلك فتح الله قفل قلبه، فبدأ يمحو ما فيه مما يشغله عن خالقه وباريه، يقول سيدي أحمد بن عطاء الله السكندري رضي الله عنه:

(كيف يرحل قلب إلى الله وصور الأكوان منطبعةٌ في مرآته؟!
أم كيف يرحل إلى الله وهو مكبلٌ بشهواته؟!)

لابد أن يمحو السوى.

فكل الصور التي توجد في القلب:

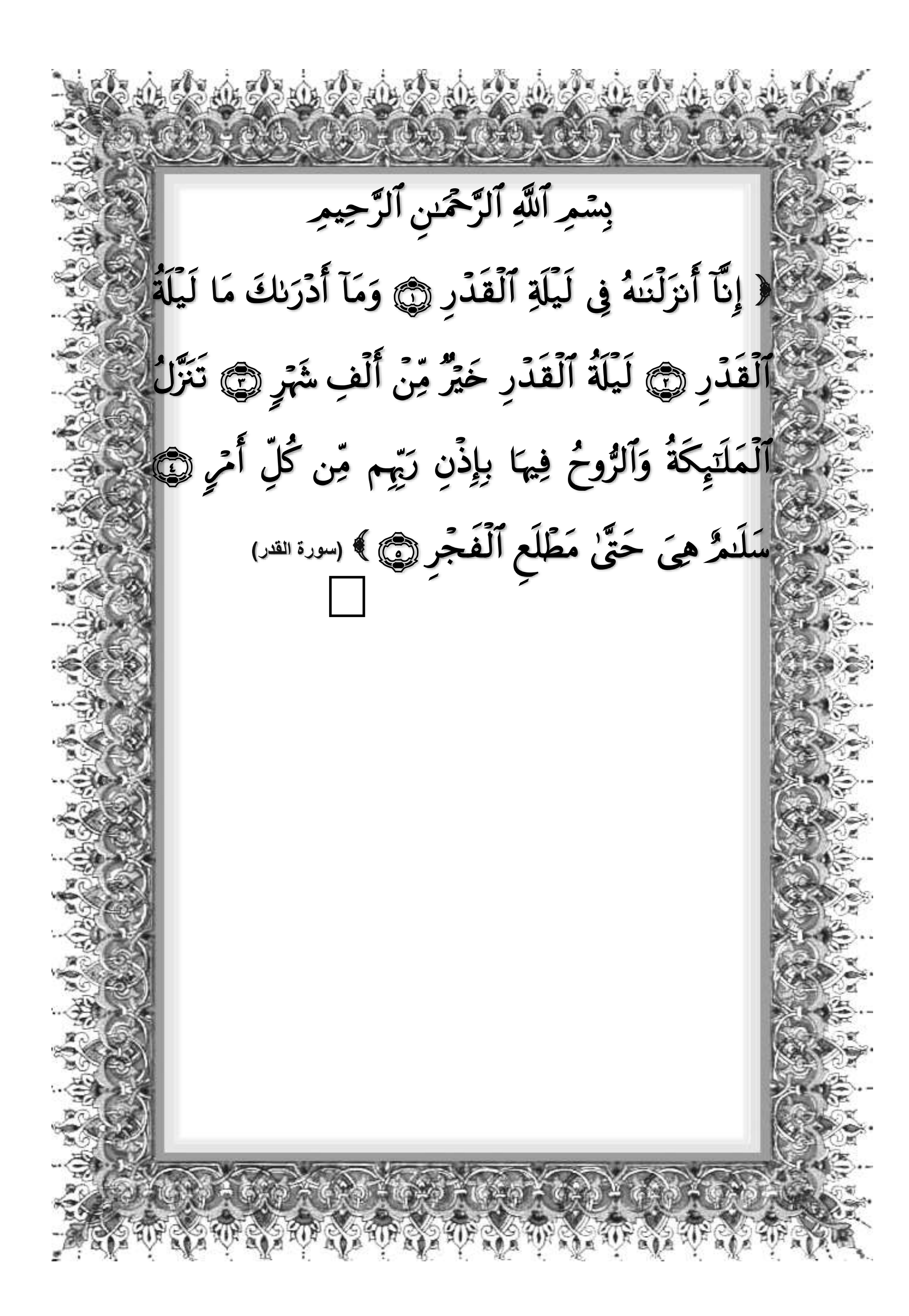
كالصور الكونية والصور الدنيوية والصور الشهوانية، حتى ولو كانت صورٌ جنانية لا بد وأن يمحوها لأن الله عز وجل ملك الملوك، والملوك كما قال الله عز وجل: ﴿ **إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ** ﴾ (34النمل)

إذا دخل ملك الملوك قلباً لا يسمح بالدخول لشيء سواه، إن كان من حوائج الدنيا أو من حوائج الآخرة، لأن الله عز وجل هو السلطان الأعظم على قلوب الصالحين والعارفين والمتقين.

ثم بعد ذلك: ﴿ وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ (١٨الفتح) يأتي بعد ذلك الفتح من الله على حسب ما للعبد من مدد العطاء من مولاه، ومن المنح المصطفوية التي حددها من خزائن الإصطفاء له سيدنا رسول الله ﷺ.

نسأل الله ﷻ أن يعلمنا علماً بغير تعلم، وأن يرزقنا علماً وهبياً، ونوراً كشفياً، وحالاً نبوياً قدسياً، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنة.

وصلى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ٣ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ٥ ﴾ (سورة القدر)

١٢. ليلة القدر

الليلة التي فيها القدر

المنح الإلهية في ليلة القدر

١٢. ليلة القدر

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وصحبه ومن والاه.

ونحن في هذه الليالي الكريمة في العشر الأواخر من رمضان ليالي القدر، خصَّ الله ﷻ ليلة القدر بأعظم المنح الإلهية والعطاءات الربانية، لماذا؟ لأنها الليلة المباركة التي أنزل الله ﷻ فيها القرآن الكريم: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴾ فهذه الليلة كلها بركة وفضل ونفحات وعطاءات من الله ﷻ.

ولماذا سُميت بليلة القدر؟ لأسباب كثيرة:

أولاً: لأن فيها قدرٌ من الأنوار الإلهية، والعطاءات الربانية، تنزل على المؤمنين وخاصَّة أهل الخصوصية ولا يعلم قدرها ومقدارها إلا الله ﷻ.

ثانياً: أن الله يختار في هذه الليلة الملائكة ذوي القدر والمكانة والوجاهة عند الله في السماوات لينزلوا على المؤمنين ذوي القدر عند الله في العبادات والطاعات والعمل الصالح لله ﷻ في كل الأوقات، فينزل فيها ملائكة ذوي قدر، على مؤمنين ذوي قدر، ليبلغونهم السلام من السلام ﷻ.

ثالثاً: قيل أن هذه الليلة ينزل فيها عددٌ لا يُحصى من ملائكة الله، حتى أن الأرض تضيق من كثرة نزولهم، فكلمة القدر في اللغة لها معنى آخر غير المنزلة والمكانة، وهو الضيق، فتضيق الأرض من كثرة الملائكة النازلين من السماء، يقول فيها سيد الرسل والأنبياء ﷺ:

{ وَإِذَا كَانَتْ لَيْلَةُ الْقَدْرِ يَأْمُرُ اللَّهُ ﷻ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ، فَيَهْبِطُ فِي كَبْكَبَةٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ إِلَى الأَرْضِ وَمَعَهُمْ لِوَاءٌ أَخْضَرُ، فَيُرْكِزُ اللِّوَاءَ عَلَى ظَهْرِ الْكَعْبَةِ، وَلَهُ مِائَةُ جَنَاحٍ مِنْهَا جَنَاحَانِ لا يَنْشُرُهُما إِلا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، فَيَنْشُرُهُما فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ فَيُجَاوِزانِ الْمَشْرِقَ إِلَى الْمَغْرِبِ، فَيَبُثُّ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ الْمَلائِكَةَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ فَيُسَلِّمُونَ عَلَى كُلِّ قَائِمٍ، وَقَاعِدٍ، وَمُصَلٍّ وَذَاكِرٍ يُصَافِحُونَهُمْ، وَيُؤَمِّنُونَ عَلَى دُعَائِهِمْ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ }[١]

وفي رواية أخرى! **((ومعه ثلاثة ألوية، لواء ينصبه على ظهر الكعبة، ولواءٌ ينصبه على بيت المقدس، ولواءٌ ينصبه على مسجدي هذا))**.

فالملائكة من كثرة عددهم تضيق الأرض بهم، وحبيبنا ﷺ ضرب لنا المثال في ذلك، فسيدنا جبريل عليه السلام نزل من السماء فقال:

---

١ شعب الإيمان للبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما، وتمام الحديث للفائدة: ((فَإِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ يُنَادِي جِبْرِيلُ مَعَاشِرَ الْمَلائِكَةِ الرَّحِيلَ الرَّحِيلَ، فَيَقُولُونَ يَا جِبْرِيلُ، فَمَا صَنَعَ اللَّهُ فِي حَوَائِجِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أُمَّةِ أَحْمَدَ ﷺ؟ فَيَقُولُ جِبْرِيلُ: نَظَرَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ فَعَفَا عَنْهُمْ، وَغَفَرَ لَهُمْ إِلا أَرْبَعَةً، فَقُلْنَا:يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ هُمْ؟ قَالَ: رَجُلٌ مُدْمِنُ خَمْرٍ، وَعَاقٌّ لِوَالِدَيْهِ، وَقَاطِعُ رَحِمٍ، وَمُشَاحِنٌ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْمُشَاحِنُ؟ قَالَ: هُوَ الْمُصَارِمُ، فَإِذَا كَانَتْ لَيْلَةُ الْفِطْرِ سُمِّيَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ لَيْلَةَ الْجَائِزَةِ، فَإِذَا كَانَتْ غَدَاةُ الْفِطْرِ يَبْعَثُ اللَّهُ الْمَلائِكَةَ فِي كُلِّ بِلادٍ فَيَهْبِطُونَ إِلَى الأَرْضِ فَيَقُومُونَ عَلَى أَفْوَاهِ السِّكَكِ، فَيُنَادُونَ بِصَوْتٍ يُسْمِعُ مَنْ خَلَقَ اللَّهُ ﷻ إِلا الْجِنَّ وَالإِنْسَ، فَيَقُولُونَ: يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، اخْرُجُوا إِلَى رَبٍّ كَرِيمٍ يُعْطِي الْجَزِيلَ، وَيَعْفُو عَنِ الذَّنْبِ الْعَظِيمِ، فَإِذَا بَرَزُوا لِمُصَلاهُمْ، يَقُولُ اللَّهُ ﷻ لِلْمَلائِكَةِ: مَا جَزَاءُ الأَجِيرِ إِذَا عَمِلَ عَمَلَهُ؟ قَالَ: فَتَقُولُ الْمَلائِكَةُ: إِلَهَنَا وَسَيِّدَنَا جَزَاؤُهُ أَنْ تُوَفِّيَهُ أَجْرَهُ، قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي أُشْهِدُكُمْ يَا مَلائِكَتِي أَنِّي قَدْ جَعَلْتُ ثَوَابَهُمْ مِنْ صِيَامِهِمْ شَهْرَ رَمَضَانَ وَقِيَامَهُ رِضَائِي وَمَغْفِرَتِي، وَيَقُولُ: يَا عِبَادِي، سَلُونِي فَوَعِزَّتِي وَجَلالِي لا تَسْأَلُونِي الْيَوْمَ شَيْئًا فِي جَمْعِكُمْ لآخِرَتِكُمْ إِلا أَعْطَيْتُكُمْ، وَلا لِدُنْيَاكُمْ إِلا نَظَرْتُ لَكُمْ، فَوَعِزَّتِي لأَسْتُرَنَّ عَلَيْكُمْ عَثَرَاتِكُمْ مَا رَاقَبْتُمُونِي، وَعِزَّتِي لا أُخْزِيكُمْ وَلا أَفْضَحُكُمْ بَيْنَ يَدَيْ أَصْحَابِ الْحُدُودِ، انْصَرِفُوا مَغْفُورًا لَكُمْ قَدْ أَرْضَيْتُمُونِي وَرَضِيتُ عَنْكُمْ، فَتَفْرَحُ الْمَلائِكَةُ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِمَا يُعْطِي اللَّهُ ﷻ هَذِهِ الأُمَّةَ إِذَا أَفْطَرُوا مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ)).

{ يَا مُحَمَّدُ ، مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِكَ الْيَوْمَ؟ فَقَدِ اسْتَبْشَرَ بِمَوْتِهِ أَهْلُ السَّمَاءِ ، فَقَالَ ﷺ : لا أَعْلَمُهُ إِلا سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ ، فَقَدْ أَمْسَى دَنِقًا ، مَا فَعَلَ سَعْدٌ؟ فَقَالُوا : قُبِضَ يَا رَسُولَ اللَّه }[2]

وكيف عرفت الملائكة بموت سعد؟ قال ﷺ:

{ اهْتَزَّ عَرْشُ الرَّحْمَنِ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ }[3]

ولا يهتزُّ العرشُ إلا لموت عظيمٍ عند الله في الأرض، نعيه ليس بالميكروفون ولكن باهتزاز العرش لتنزل ملائكة السماء وتحضر جنازته.

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ : { لَمَّا حُمِلَتْ جَنَازَةُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ قَالَ الْمُنَافِقُونَ : مَا أَخَفَّ جَنَازَتَهُ ، وَذَلِكَ لِحُكْمِهِ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : " إِنَّ الْمَلائِكَةَ كَانَتْ تَحْمِلُهُ "}[4]

وروت السيرة أن النبي ﷺ كان يمشي في جنازة سعد على أطراف أصابعه، فسُئل بعد ذلك، وقالوا: يا رسول الله رأيناك تصنع شيئاً ما صنعته من قبل، رأيناك تمشي على أطراف أصابعك، فقال ﷺ: من شدة زحام الملائكة الذين نزلوا لتشييع جنازة سعد، وقد ورد أنّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال:

{ لَقَدْ نَزَلَ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، شَهِدُوا جِنَازَةَ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ مَا وَطِئُوا الأَرْضَ قَبْلَ يَوْمَئِذٍ }[5]

فسُميت ليلة القدر:

---

٢ مسند إسحاق ومصنف ابن أبي شيبة عن عائشة رضي الله عنها
٣ البخاري ومسلم عن جابر ﷺ
٤ جامع الترمذي والحاكم في المستدرك
٥ فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ﷺ

كما قلت لكثرة نزول الملائكة.

والملائكة ينزلون في هذه الليلة للقائمين الراكعين الساجدين الذاكرين والمستغفرين والمصلين على النبي الأمين، الطائعين لله في هذه الليلة أجمعين.

لكن هل الملائكة تنزل لإنسان يجلس أمام التليفزيون يشاهد المسلسلات؟! وهل تنزل الملائكة لإنسان جالس على النت ويشاهد الممنوعات والمحرمات؟! لا، هؤلاء تنزل عليهم الشياطين، فهؤلاء يقول فيهم الله ﷻ:﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾ (الشعراء)

فالملائكة تنزل على المطيعين والعابدين والذاكرين لله ﷻ في هذه الليلة، يبشرونه بفضل الله وبرحمة الله وبإكرام الله وبأمان الله ﷻ.

فكلمة السلام تعني الأمان، يعني أنت قد نلت الأمان، ويوم الخروج من الدنيا تحظى بقول الرحمن:

﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ﴾ (٢٧ إبراهيم)

وفي الآخرة تكون من الذين:

﴿ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٦٢ يونس)

فتكون قد نلت الأمان من الله ﷻ بسبب طاعتك لله، واختيار الله لك لهذا العطاء:

﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾ (القدر4)

يعني من كل عالم من عوالم الأمر، وعوالم الأمر يعني عوالم السماوات:

﴿ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾ (القدر5)

الليلة التي فيها القدر

كما قلنا من قبل أن سيدنا رسول الله ﷺ كان كل ليلة بعد صلاة الفجر يلتفت إلى أصحابه فيقول: أيكم الليلة رأى رؤيا؟ فيقصون له رؤياهم ويئولها ويفصِّلها لهم صلوات ربي وتسليماته عليه.

والإنسان إذا كان منشغلاً بطاعة الرحمن فلحظة المنام تودِّع الروح الجسم وتصعد إلى عالم الملكوت الأعلى، وتأتي من هناك بطرائف الحكمة وبغرائب العلم، وبمكاشفات ومؤانسات، وسيدنا رسول الله ﷺ لما سأله أصحابه عن ليلة القدر قال لهم:

{ أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ، فَمَنْ كَانَ مُتَحَرِّيهَا فَلْيَتَحَرَّهَا مِنَ الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ }[٦]

إقرارٌ بأن هؤلاء القوم قد وصلوا مقام المقربين، وقلوبهم وصلت إلى مقام الرضا عن الله ﷻ والقرب من حضرته ﷻ.

---

٦ البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنه

ذهبوا مرةً ثانية يُلِّحون عليه ويقولون: نريد أن تُعرفنا ليلة القدر!!

ولماذا يريدون معرفة ليلة القدر؟

لأن طبيعة النفس الكسل، فتريد أن تعرفها لتحيي ليلة واحدة، وتنام بقية الليالي، والنبي ﷺ لا يريد ذلك ...

ولكن يريدنا أن نجتهد في العشر الأواخر كلها وليست ليلة واحدة ..!!

فخرج عليهم وهم منتظرون، وأثناء ذلك تجادل اثنان معاً جدالاً حاداً قليلاً وعلت أصواتهما، فقال ﷺ:

{ إِنِّي خَرَجْتُ لأُخْبِرَكُمْ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ ، وَإِنَّهُ تَلاحَى فُلانٌ وَفُلانٌ ، فَرُفِعَتْ وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ }[7]

يعني لو تجادل جماعة من المسلمون فلن يكشف الله لهما عن أمر هذه الليلة الكريمة، لأنها تحتاج إلى صفاءٍ ونقاء: ... ولم يوضِّح لهم رسول الله ﷺ الليلة لكي يجتهدوا في العشر الأواخر! وفي النهاية قال ﷺ لهم:

{ فَالْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ }[8]

ولا يزالون يريدون معرفة هذه الليلة بالضبط:

٧ صحيح البخاري وسنن الدارمي عن عبادة بن الصامت ﷺ

٨ صحيح البخاري وسنن الدارمي عن عبادة بن الصامت ﷺ

ففي خلافة سيدنا عمر ﷺ وأرضاه وهم مجتمعون معه ويتناقشون في مثل هذه الأمور عقد مؤتمراً صحفياً كبيراً وطلب من الصحابة أنَّ من سمع شيئاً عن رسول الله ﷺ في ليلة القدر فليخبر به.

فقال أبو سعيد الخدري ﷺ:

هي ليلة واحد وعشرين، وكانت حجته:

{ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَعْتَكِفُ فِي الْعَشْرِ الأَوْسَطِ مِنْ رَمَضَانَ ، فَاعْتَكَفَ عَامًا حَتَّى إِذَا كَانَ لَيْلَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ ، وَهِيَ اللَّيْلَةُ الَّتِي يَخْرُجُ مِنْ صَبِيحَتِهَا مِنَ اعْتِكَافِهِ ، قَالَ : مَنْ كَانَ اعْتَكَفَ مَعِي ، فَلْيَعْتَكِفْ الْعَشْرَ الأَوَاخِرَ ، وَقَدْ أُرِيتُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ ، ثُمَّ أُنْسِيتُهَا ، وَقَدْ رَأَيْتُنِي أَسْجُدُ فِي مَاءٍ وَطِينٍ مِنْ صَبِيحَتِهَا ، فَالْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ ، وَالْتَمِسُوهَا فِي كُلِّ وِتْرٍ ، فَمَطَرَتِ السَّمَاءُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، وَكَانَ الْمَسْجِدُ عَلَى عَرِيشٍ ، فَوَكَفَ الْمَسْجِدُ ، فَبَصُرَتْ عَيْنَايَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى جَبْهَتِهِ أَثَرُ الْمَاءِ وَالطِّينِ ، مِنْ صُبْحِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ }[9]

سيدنا عبدالله بن أنيس ﷺ كان يقول:

هي ليلة ثلاث وعشرين، وحجته حديث رسول الله ﷺ الذي يقول فيه:

{ أُرِيتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ ، ثُمَّ أُنْسِيتُهَا ، وَأَرَانِي صُبْحَهَا أَسْجُدُ فِي مَاءٍ وَطِينٍ ، قَالَ : فَمُطِرْنَا لَيْلَةَ ثَلاثٍ وَعِشْرِينَ ، فَصَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَانْصَرَفَ ، وَإِنَّ أَثَرَ الْمَاءِ وَالطِّينِ عَلَى جَبْهَتِهِ وَأَنْفِهِ }[10]

[9] البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ
[10] صحيح مسلم عن عبد الله بن أنيس ﷺ

□

سيدنا عبد الله بن عباس قال: هي ليلة سبع وعشرون، واستنتج ذلك بقوله:

- عدد آيات سورة القدر ثلاثون كلمة، وكلمة (هي) رقمها سبعة وعشرون.
- كذلك كلمة (ليلة القدر) مكونة من تسع حروف، وتكررت في السورة ثلاث مرات فيكون عددهم سبعة وعشرون.
- وأن الرقم سبعة جعله الله الأساس في كل العبادات:
  - فالطواف سبعة، والسعي سبعةؤ والسجود على سبع كما قال ﷺ: { **أُمِرْتُ أَنْ أَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةٍ** }[١١]، وصفات الله سبع، والأيام سبع، والأراضين سبعز
- فلذلك هي ليلة سبع وعشرون.

سيدنا أُبي بن كعب ﷺ قال :□

{ وَاللَّهِ إِنِّي لأَعْلَمُهَا ، وَأَكْثَرُ عِلْمِي هِيَ اللَّيْلَةُ الَّتِي أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقِيَامِهَا ، هِيَ لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ }[١٢]□

هم يجتهدون حتى يُحيوا هذه الليلة ليحظوا بمنح الله وعطاءات الله للمؤمنين، هذه الليلة يقول النبي ﷺ في وصفها:

---

١١ البخاري ومسلم عن ابن عباس ﷺ
١٢ صحيح مسلم ومسند أحمد

{ لَيْلَةُ الْقَدْرِ بَلْجَةٌ ، لا حَارَّةٌ وَلا بَارِدَةٌ ، وَلا سَحَابٌ فِيهَا ، وَلا مَطَرٌ ، وَلا رِيحٌ ، وَلا يُرْمَى فِيهَا بِنَجْمٍ ، وَمِنْ عَلامَةِ يَوْمِهَا تَطْلُعُ الشَّمْسُ لا شُعَاعَ لَهَا } [13]

ه غ غ غ عن ﷻ ة غ ﷺ ق ن!

{ أَتَاكُمْ رَمَضَانُ شَهْرُ بَرَكَةٍ ، فِيهِ خَيْرٌ يُغَشِّيكُمُ اللَّهُ فِيهِ ، فَتَنْزِلُ الرَّحْمَةَ ، وَتُحَطُّ الْخَطَايَا ، وَيُسْتَجَابُ فِيهِ الدُّعَاءُ ، فَيَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى تَنَافُسِكُمْ ، وَيُبَاهِي بِكُمْ مَلائِكَتَهُ ، فَأَرُوا اللَّهَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ خَيْرًا ، فَإِنَّ الشَّقِيَّ مِنْ حُرِمَ فِيهِ رَحْمَةَ اللَّهِ ﷻ } [14]

نسأل الله ﷻ أن يُشرق علينا بأنوار ليلة القدر، .... وأن يجعلنا من أهل المنح الإلهية التي تُوزَّع في ليلة القدر، .... وأن يُعلي قدرنا عنده، .... ويرفع شأننا عنده، ويجعلنا من المقربين لديه ....

المنح الإلهية في ليلة القدر

ليلة القدر لها أجر ومنح من الله، أما الأجر فقد ذكره الله ﷻ في قوله:

﴿ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ﴾ (القدر)

يعني من أحيا ليلة القدر كان له عند الله ﷻ من الأجر : أكثر من ألف شهر.. ليلها قيام ونهارها صيام .. وكلها طاعة مقبولة عند الملك العلام ﷻ ... وهذا الأجر يتحقق بإحياء الليلة في طاعة الله .. والليلة تكون كما قال ﷺ:

---

١٣ معجم الطبراني عن واثلة بن الأسقع ﷺ
١٤ مسند الشاميين للطبراني عن عبادة بن الصامت ﷺ

{ الْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ }[15]

الليالي الفردية من العشر الأواخر من رمضان: وأدني إحياء لهذه الليلة يجعل الإنسان يصيب هذا الأجر: .. أن يحافظ المرء علي صلاة الفجر في جماعة، والصبح في جماعة .. في ليالي العشر كلها، لأن ليلة القدر ستكون ليلة منها .. وبذلك يكون قد ضمن هذه الليلة وضمن هذا الأجر من الله ﷻ، قال ﷺ في ذلك:

{ مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ وَالْفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ كَانَ كَقِيَامِ لَيْلَةٍ }[16]وفي رواية أخرى:

{ مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ، فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ، فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ }[17]، وفي رواية لأصحاب الأعذار قال ﷺ:

{ مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَقَدْ أَخَذَ بِحَظِّهِ مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ }[18]

وهناك منح إلهية .. لأهل الجد والاجتهاد من أهل الخصوصية .. الذين يقضون هذه الليالي في طاعة الله وعبادة الله جل في علاه، بعد أن اجتهدوا في تصفية النفوس وخلو القلوب من جهة الخلق ومن جهة الحق: ... من جهة الخلق صفو القلوب من الغل والكره والبغض والغش والحقد والحسد لجميع خلق الله ﷻ، ومن جهة الله ﷻ صفو القلوب من الشك في الديان، أو الشرك معه بأن يتوجه بالعمل لله يقصد به نفعاً من بني الإنسان، أو يكون على غير يقين في موعود الله في القرآن، لكن لا بد أن يكون الإنسان عنده يقين كامل في حضرة الرحمن ﷻ.

---

١٥ البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما
١٦ صحيح ابن حبان عن عثمان بن عفان رضي الله عنه
١٧ صحيح مسلم عن عثمان بن عفان رضي الله عنه
١٨ معجم الطبراني عن أبي إمامة رضي الله عنه

إذا صفا القلب من هؤلاء،واجتهد في الطاعات والعبادات تتوالى عليه المنح من الله ﷻ، وأهم هذه المنح التي أخبر عنها رسول الله ﷺ: أنها ليلة إجابة؛ يستجاب فيها الدعاء ... واستجابة الدعاء تحتاج لشروط إجابة الدعاء.

- وأولها أن يتحرى الداعي المطعم الحلال، ..... لأن الله يقول: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (المائدة) وسيدنا سعد بن أبي وقاص قال:

{ يا رسول الله ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: يَا سَعْدُ أَطِبْ مَطْعَمَكَ تَكُنْ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ }[19]

إذاً من هو حريص على اللقمة الحلال: .. فهو ولي لله، ودعاءه مستجاب لله؛ إن كان في ليلة القدر، أو في أي ليلة، أوفي أي يوم، أو في أي وقت من العام؛ ما دام يتحرى المطعم الحلال ,,, لكن إذا كان لا يحرص على المطعم الحلال، وصادف إحياءه ليلة القدر، وأخذ يدعو الله، هذا قال فيه ﷺ:

---

١٩ معجم الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنه

{ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ } [20]

لا يستجيب له : حتى ولو كان وقت إجابة !! حتى ولو كان يطوف بالبيت الحرام !! حتى ولو سمحوا له وفتحوا له باب الكعبة ودخل الكعبة !! لأن مطعمه حرام، فلا يستجيب الله دعاه !! ولا يسمع الله نداه .. ولا يعطيه الله مناه، لأنه خالف أول أساس في دين الله وهو المطعم الحلال: ﴿ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ ﴾، فهذا أول شرط في إجابة الدعاء وتحقيق الرجاء.

- الشرط الثاني في إجابة الدعاء: أن لا يدعو بإثم ولا قطيعة رحم:

ولذلك فإن حضرة النبي ﷺ لم يحدد هذه الليلة، فكل شخص متخاصم مع آخر يدعو عليه في هذه الليلة، وكثير منا يظن أن السماء ملك أيدينا نحركها كما نريد، وهذا الذي يحدث في المجتمع، شخص حدث بينه وبين شخص خلاف، وهذا الرجل حدث له أمر فيقول: أرأيتم كيف أتي الله لي بحقي منه؟!!

---
٢٠ صحيح مسلم والترمذي عن أبي هريرة ﷺ

كأن هذا الرجل ولي من أولياء الله والله غار عليه وأتي له بحقه!! وهذا أمر منتشر، شخص حدث بينه وبين آخر خلاف فيقول له سترى ما سيحدث لك ويهدده ويتوعده، كأن الكون ملك يديه يُصرفه كيف يشاء، وكأن الحق - حاشا لله - يأتمر بأمره، لكن المؤمن لا يدعو بإثم ولا بقطيعة رحم حتى لمن أذاه، لأنه ما أوذي أحد كما أوذي سيدنا رسول الله ﷺ، وعندما قالوا له:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ، قَالَ: إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً } [21]، وعندما كانوا يشتدون في الإيذاء، كان يدعو ويقول: **{ اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ }** [22]، وفي رواية: **{ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ }** [23]

لكي يستجيب الله ﷻ الدعاء لا بد من أن يكون على خُلق أمير المرسلين وسيد الأنبياء سيدنا محمد ﷺ، فسيدنا محمد ﷺ كان لا يغضب لنفسه قط، لا يغضب إلا إذا انتهكت محارم الله ﷻ، لكني أدعو على هذا، وأدعو على هذا، فنقضي على بعضنا بالدعاء ونحن مؤمنين!! هل يجوز ذلك؟!! قال ﷺ:

{ يُسْتَجَابُ لأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ } [24]

يدعو على شخص أن يقع في المعاصي، أو أن يدعو على ولد أن يكون عاقاً لأمه, أو يدعو على أم أن يكون أولادها غير برره بها ... :

---

٢١ صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ
٢٢ الأحاديث المختارة عن ابن عباس ﷺ
٢٣ معجم الطبراني عن سهل بن سعد ﷺ
٢٤ مسند الشاميين للطبراني عن أبي هريرة ﷺ

كل هذه الأدعية لا تجوز في الشريعة المحمدية, ولا يجوز لمن تأدب بأدب القرآن أن يستخدم هذا السلاح لإرهاب عباد الرحمن الذين آمنوا بالله وصدَّقوا برسوله، وسيقفون يوم القيامة بين يدي الله يحاسب كل نفس على ما جنت، إذاً المسلم لا يدعو بإثم ولا قطيعة رحم .. وإذا دعا فلا بد أن يكون ناصح أمين لنفسه، لأنه يوجد أناس عندما يدعون يطلبون الدنيا وينسون الآخرة، لكن الله ﷻ يعلمنا الدعاء ويقول: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ فكما أنك تدعو للدنيا فلا تنسى أن تدعو بشيء لنفسك في الآخرة ولذلك السيدة عائشة تقول:

{يا رسول الله أَرَأَيْتَ إِنْ وَافَقْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ مَا أَدْعُو ، قَالَ : تَقُولِينَ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي } [25]

دعاء بالعفو، والعفو يكون يوم القيامة، فإذا دعا الإنسان يخلص الدعاء لنفسه ولأولاده وبناته في الدنيا، ولا ينسى الآخرة، ولا بد من الإخلاص عند الدعاء، قال ﷺ:

{ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لاهٍ } [26]

لا يجوز أن يدعو باللسان والقلب مشغول بأمرآخر، لكن لا بد أن يكون قلباً وقالباً منفعل بما يتوجه به إلي مولاه، لكي يستجيب الله ﷻ لدعاه.

---

٢٥ سنن ابن ماجة والترمذي
٢٦ جامع الترمذي والحاكم عن أبي هريرة ﷺ

إذا تحقق المرء بشروط الدعاء ودعا فإن الله ﷻ يستجيب له دعاه، والمنح الإلهية في هذه الليلة لا تعد ولا تحد نكتفي منها بهذا القدر ...

نسأل الله ﷻ أن يستجيب لنا دعائنا، وأن يفتح لنا أبواب السماء لقبول دعائنا، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

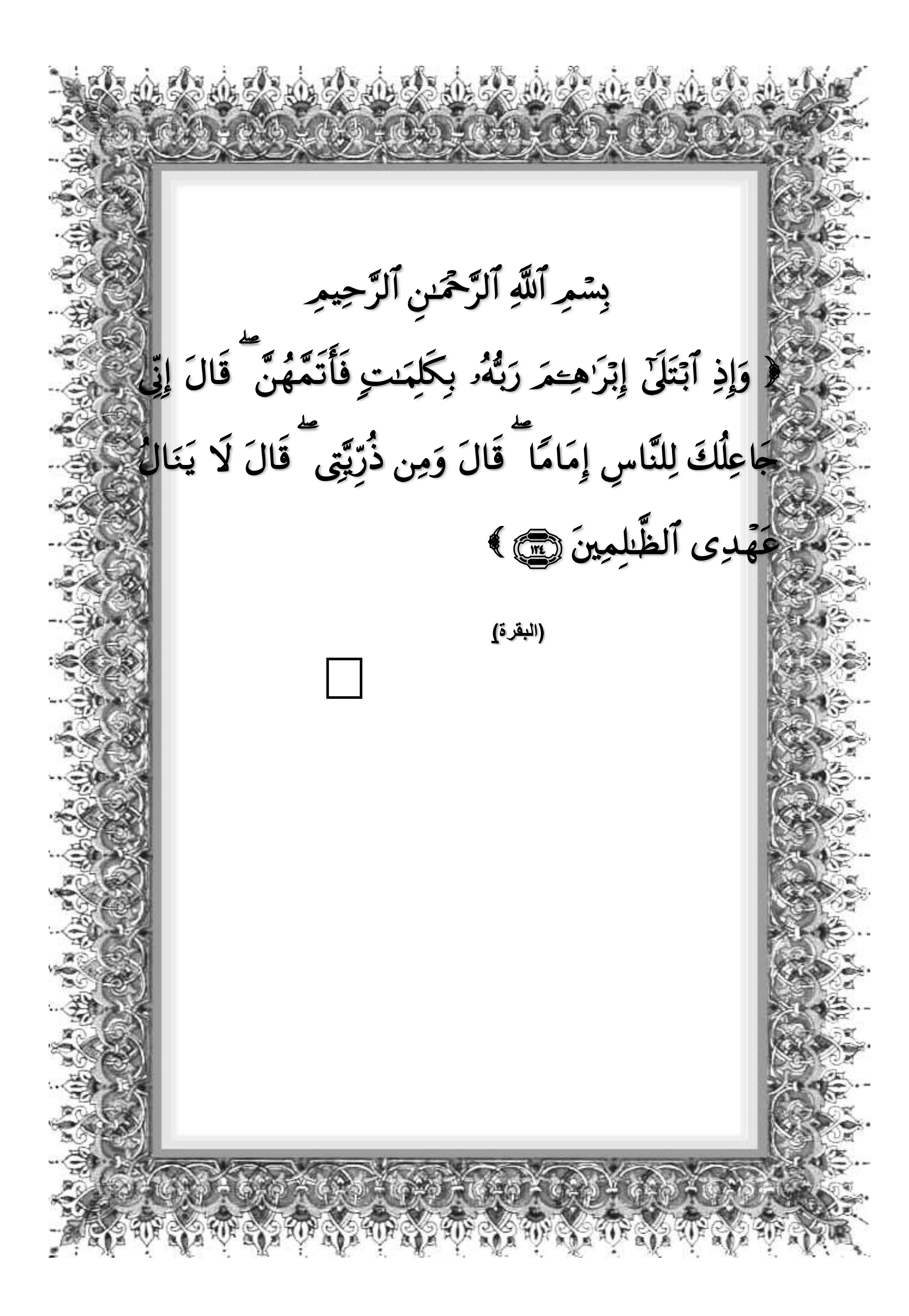
وصلى الله على سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم

الفصل الخامس: الحج

إمامة سيدنا إبراهيم

قصة الفداء

الأضحية



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾

(البقرة)

□

١٣. إمامة سيدنا إبراهيم□

سر اختيار الله للأئمة□

حكمة الابتلاء للأنبياء□

ابتلاء نبى الله إبراهيم□

الإمامة والاقتداء□

كفاية الله للأتقياء□

□

١٣ . إمامة سيدنا إبراهيم

سر اختيار الله للأئمة

الدرس الجليل في هدى الخليل ... ذكره لنا الرب العظيم ﷻ في محكم التنزيل؛ أن أى إمام يريده الله ﷻ أن ينشر دعوة الله لخلق الله، وأى رجل يجتبيه الله ويصطفيه ويحبوه ويمنحه ويعطيه، ويأمره بتبليغ دعوته إلى خلق الله حوله لابد أن يمر بهذه الأطوار التي ذكرها لنا العزيز الغفار ﷻ، حتى يجعله الله إماماً، قال في شأنه:

﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ بعد أن ابتلاه الله بالكلمات وأتمهن: ﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ فالاجتباء والاصطفاء لا يكون إلا بعد الاختبار والابتلاء، قال ﷺ:

{ إذا أَحَبَّ الله عَبْداً ابْتَلاَهُ ، فَإِنْ صَبَرَ اجْتَبَاهُ ، وَإِنْ رَضِيَ اصْطَفَاهُ }[١]

على قدر مقامه في قبوله لإبتلاء الله يكون مقامه في القرب من حضرة الله، فإذا تحلى بحلل الصابرين فله الإجتباء! ﴿ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ ﴾

١ في الأثر المرفوع فى(منازل السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين)، وفى لباب الحديث بزيادة (بِبَلاَءٍ لاَ دَوَاءَ لَهُ)، وفى تفسير حقى وتفسير تنوير الأذهان لإسماعيل البروسوى.

وإذا تحلى بحلل الرضا، والرضا أعلى من الصبر! لأن الصابر قد يصبر على مضض لكن الراضى ليس في قلبه لا مضضٌ ولا مرض !!.. فيرضى عن الله في كل أفعاله ... ويرضى عن الله في كل أحواله ...، فهذا له مقام الإصطفاء: ﴿ **ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ** ﴾

هذه السنة الإلهية جعلها الله مع المرسلين والنبيين وجعلها أيضاً مع الصالحين إلى يوم الدين فقال في شأنهم! ﴿ **وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةً يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ** ﴾

صبروا على ماذا؟

صبروا على البلاء الذي يطهر الله ﷻ به القلوب.

وكلمة البلاء أول ما نسمعها يأتى لنا في أذهاننا المفهوم العام عنها أى الإمتحان أو الإختبار وهذا بيننا معشر البشر !!

لكننا لا يجب أن نقيس كلام الله على كلام البشر، إذ أن كلام الله له فحواه ومغزاه ومعناه الذي لا يعقله ولا يعلمه إلا من علَّمه الله.

فإذا سمعت قول الله مثلاً ﴿ وَيَمْكُرُون ﴾ فهذا مكر البشر !، ﴿ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ﴾ إياك أن تجعل مكر الله كمكر البشر، قياس الغائب بالشاهد قياس فاسد لا ينبغى مع حضرة الربوبية، لكن مكر الله هنا أى تدبير الله أى التدبير الإلهى، لكنه لأنه يخاطب البشر! فخاطبهم على شاكلتهم، لكن ليس معنى ذلك أن الله ﷻ له مكر كمكر البشر، دهاء وحيل وكيد فهذا لا يليق بحضرة الربوبية.

فإذا سمعت! ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ ﴾!

أول ما ينصرف الذهن أن البلاء هو الإنتقام أو الإختبار أو الإمتحان !! لا !! ..فالبلاء بالنسبة للأنبياء تطهير القلب وصفاء السر والسريرة لمن بيده مقاليد السموات والارض، قال داوود عليه السلام:

{ إلهي أمرتني أن أطهر قلبي فبماذا أطهر؟ قال: ياداود بالهموم والغموم }[٢]

فلا يطهر القلب إلا الهموم!، لأن الذي يجمع حقائق الإنسان على الله هو الهمُّ، فعندما ينتاب الإنسان همٌ أو غمٌ .. يتوجه بالكلية إلى الحضرة الإلهية !!، فإذا توجه بالكلية إلى الحضرة الإلهية !! فإن ذلك يجمع تجاويف القلب! ويطهره من المشاغل والشواغل.. ويطهره مما نقول فيه معشر الصالحين من الأغيار وهى أى شيء غير الله ، فأى شيء غير الله في قلب العبد لا يرضاه الله! لأن الله يريد القلوب خالصة لحضرته..، والخلق لهم الأجساد .. ولهم النفوس .. ولهم الظاهر!! أما الباطن فلا يكون إلا لله ﷻ.

٢ روح البيان، وتفسير حقى، وتنوير الأذهان لإسماعيل البروسوى.

حكمة الابتلاء للأنبياء

إذاً الإبتلاء لتطهير القلوب، وصفاء السرائر حتى تستنير البصائر، وحتى يصير العبد وهو إلى ربه سائر .. يكون فيه قول مولاه:

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ (٧٥الأنعام).

أى أن هذه هى تربية الله لكل الموقنين، فالموقنون كثيرون ومن جملتهم أبونا إبراهيم عليه السلام، ولذلك ورد في الأثر:

{ لا تخلو الأرض إلاَّ وفيها أربعة عشر – وقيل أربعون على قدم الخليل إبراهيم – يدفع الله بهم عن أهل الأرض ويخرج بركتها إلاَّ زمان إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فإنه كان وحده }[٣]

لا يخلو زمان من أربعين رجلاً أو أربعة عشرة على الأقل على قدم إبراهيم في خلته لله جل في علاه...

والكلمات قد تكون كلمات قَدَرِية فإن الله عز وجل يخلق بكلمة! **﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾** (يس) وكن فيكون ليس حرفين فما بين الكاف والنون يقضى الله شئون ويخفى شئون:

---

٣ عن شهر بن حوشب، عمدة القاري

بـيـن نَـفَـس ونَـفَـس شــئـون تـتـجـلـى حـتـى تـراهـا الـعـيـون

فهذا أيضاً تقريب للأذهان لأن الله ﷻ لا يتكلم بلسان وشفتين، وإنما الحق ﷻ له مقاليد السموات والأرض.

وقد تكون الكلمات أوامر ونواهى وتشريعات شرعها الله ﷻ على الأنبياء والمرسلين !! وأمرهم بالقيام بها ليتحقق لهم تمام الإصطفاء عند رب العالمين ﷻ.

ابتلاء نبى الله إبراهيم□

ما خصَّ الله ﷻ به نبى الله إبراهيم خاض فيه المفسرون والمؤولون على قدرهم، وعلى قدر ما وصل إليه علمهم، واستندوا في أقاويلهم إلى ما ورد إليهم من أصحاب النبى الأمين في تأويل كلام رب العالمين ﷻ: ﴿ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ ﴾ [illegible]

يُعلِّمهم الله فيقولون عن تأويل من الله جل في علاه، فاستند جلّ المفسرين إلى ما ورد عن سيدنا عبد الله بن عباس ﵄ أن الكلمات التي ابتلى الله ﷻ بها إبراهيم هى خصال الفطرة التي أمره الله بها ليطهر ذاته وكانت فريضة عليه وسنة عندنا، فقال:

{ ابْتَلاهُ اللَّهُ ﷻ بِالطَّهَارَةِ خَمْسٌ فِي الرَّأْسِ، وَخَمْسٌ فِي الْجَسَدِ، فِي الرَّأْسِ: قَصُّ الشَّارِبِ، وَالْمَضْمَضَةُ، وَالاسْتِنْشَاقُ، وَالسِّوَاكُ، وَفَرْقُ الرَّأْسِ، وَفِي الْجَسَدِ: تَقْلِيمُ الأَظْفَارِ، وَحَلْقُ الْعَانَةِ، وَالْخِتَانُ، وَنَتْفُ الإِبْطِ، وَغَسْلُ مَكَانِ الْغَائِطِ وَالْبَوْلِ بِالْمَاءِ } [4]

هذا قول عن سيدنا عبدالله بن عباس ولا بأس به، وهذه سنن سنها لنا رسول الله ﷺ وأمرنا بها، والأمر فيها عام لجميع الأنام.

وسيدنا عبد الله بن عباس نفسه جلس مع قوم أعلى في الفهم وأرقى في الذوق فذكر لهم حقيقة أخرى في هذه الكلمات وقال لهم:

{ الإسلام ثلاثون سهماً وما ابتلي بهذا الدين أحد فأقامه إلا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، قال الله تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾، فكتب الله له براءة من النار } [5]

وتفصيلها:

عشرٌ في سورة التوبة في قوله تعالى!

﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ (التوبة)

٤ سنن البيهقي والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما
٥ عن عكرمة ، عن ابن عباس رضي الله عنهما في المستدرك على الصحيحين

ىلج وعشر في أول سورة المؤمنون:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَـٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾

٣- وعشر في سورة الأحزاب:

﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْقَـٰنِتَـٰتِ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلصَّـٰدِقَـٰتِ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰبِرَٰتِ وَٱلْخَـٰشِعِينَ وَٱلْخَـٰشِعَـٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَـٰتِ وَٱلصَّـٰٓئِمِينَ وَٱلصَّـٰٓئِمَـٰتِ وَٱلْحَـٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَـٰفِظَـٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾

هؤلاء الثلاثون:

هم أسهم الإسلام وشرائع الإسلام!

ولا بد للإنسان ليكون إماماً عند الله أن يتحقق بهؤلاء الثلاثين:

أى يقوم بالعمل بهن كما ينبغى !!!

من يستطيع ذلك؟!.

وقال بعض الصالحين إن هذه الكلمات أوحى الله لإبراهيم فيها:

(أنك لما سلمت مالك للضيفان، وولدك للقربان، ونفسك للنيران، وقلبك للرحمن اتخذناك خليلا)[٦]

أى أن الله ابتلاه :

- في جسده بالنار بأن ألقى في نار عظيمة!!
- ، وابتلاه في ماله بالضيفان فكان كلما يأتيه ضيف يأتى بعجل حنيذ !!
- وابتلاه في ولده بأن أمره بذبحه ..: ﴿ **إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ** ﴾ (الصافات)
- وابتلاه في قلبه ألا يكون فيه موضع لغيره ﷻ .

ففاز بالمقام حتى قال فيه الله مهنأه بهذا المقام:

﴿ **وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ** ﴾ (النجم) أي وفىّ بذلك.

---

٦ رواه أبو الحسن المسعودي في كتاب أخبار الزمان، وقد نقلناه من كتاب "سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر"، و أيضاً في "خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادى عشر".

الإمامة والاقتداء□

وقال البعض، وأنا أميل إلى ذلك:

﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾:

الإمامة نفسها هى الابتلاء!!

هل هناك ابتلاء أو بلاء أكثر من إمامة الخلق؟!

**ولا يعرف الشوق إلا من يكابده		ولا الصبابة إلا من جرى فيها**

فالإمامة هى البلاء الأعظم ...

- لأن من أقامه الله هذا المقام لا يستطيع أن يتحرك حركة كبيرة أو صغيرة في نفسه أو في ماله أو في أى شيء له أو حوله إلا بإذن ممن يقول للشيء كن فيكون.
- لا يستطيع أن يعتذر عن أمر كلفه به الله ﷻ: **﴿ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾** ﰈ غلرسلاىغأ.
- ولا يستطيع أن يتكاسل أو يتباطئ أو يتوانى لأنه قدوة والخلق يقتدون به.
- فلابد أن يكون أكملهم وأعظمهم وأقومهم في القيام بأمر الله جل وعلا.

كان رسول الله ﷺ وهو إمام الأئمة وقد غفر الله وقال له: ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ (٢الفتح) ..

- ومع ذلك كان يصوم صيام الوصال !!!
- وكان يقوم الليل كله على قدم واحدة يتذلل ويتضرع لحضرة الله ... وتقول له زوجته الطاهرة الوفية السيدة عائشة: يا رسول الله ألم يغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فيقول ﷺ:

{ يا عائِشَةُ أفلا أكُونُ عَبْداً شَكُوراً }[٧]

- وكان لا يقوم إلا على ذكر، ولا يدخل إلا على ذكر، ولا يجلس إلا على ذكر، وإذا نام تنام عيناه وقلبه لا ينام.
- ويأبى إلا أن يشارك إخوانه في أى عمل، فإذا أمرهم ببناء المسجد كان يقوم بنفسه بحمل الطوب معهم، فيقولون: يا رسول الله إنا نكفيك هذا العمل، فيرفض، فيقولون:

---
٧ صحيح مسلم ومسند الإمام أحمد

لـئـن قـعـدنـا والـنـبـى يـعـمـل لـذاك مـنـا الـعـمـل الـمضـلـلـل

كيف يتقاعدون ويتكاسلون والرسول أمامهم يعمل؟!

- وإذا سافر يوزعون العمل فيختار الأشق، فقد ورد فى الأثر الشهير أنه:

(كان ﷺ في سفر فأمر بإصلاح شاةٍ، فقال رجل يا رسول الله عليّ ذبحها، وقال آخر عليّ سلخها، وقال آخر عليّ طبخها فقال رسول الله ﷺ: وعليّ جمع الحطب، فقالوا يا رسول الله نحن نكفيك، فقال: قد علمتُ أنكم تكفونني ولكني أكره أن أتميّز عليكم، فإن الله يكره من عبده أن يراه متميّزاً بين أصحاب، وقام فجمع الحطب.)[8]

- **(وكان في سفر فنزل إلى الصلاة ثمّ كرّ راجعاً فقيل يا رسول الله أين تريد فقال: أعقل ناقتي، فقالوا نحن نعقلها، فقال: لا يستعِنْ أحدكم بالناس ولو في قُضْمة من سواكٍ)** [9]

---

٨ هذا الأثر على شـــهرته لايعرف له إســـناد قال في الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث: (إن الله يكره العبد المتميز عن أخيه): لا يعرف، لكن روي أنه أراد أن يمتهن نفسه في شيء قالوا نحن نكفيك يا رسول الله قال قد علمت أنكم تكفوني ولكن أكره أن أتميز عليكم فإن الله يكره من عبده أن يراه متميزا عن أصحابه. وفي المقاصد الحسنة للسخاوي: حديث: (إن الله يكره العبد المتميز على أخيه): لا أعرفه وسيأتي في لا خير في صحبة من لا يرى لك من الود مثل ما ترى لهم، رأيت في جزء تمثال النعت الشريف لأبي اليمن بن عساكر في الكلام على الأثرة ما نصه ويؤيده ما روي أنه أراد أن يمتهن نفسه في شيء (قالوا نحن نكفيك يا رسول الله قال: قد علمت أنكم تكفوني ولكن أكره أن أتميز عليكم فإن الله يكره من عبده أن يراه متميزا على أصحابه) وشرف وكرم.وقد ذكره الزرقاني في شرحه) فقال: ومن تواضعه عليه الصلاة والسلام أنه كان في سفر، وأمر أصحابه بطهو شـــاة، فقال أحدهم: علي ذبحها، وقال آخر: علي ســـلخها، وقال ثالث: على طبخها، فقال ﷺ: ((وعلي جمع الحطب)) فقالوا يا رسول الله، نكفيك العمل، فقال: ((علمت أنكم تكفونني، ولكن أكره أن أتميز عليكم، وإن الله سبحانه وتعالى يكره من عبده أن يراه متميزاً بين أصحابه)).

٩ الوافى بالوفيات، لصلاح الدين الصفدى، وفى سيرة اليعمرى وفى تاريخ الخميس لأحوال أنفس نفيس للإمام حسين بن محمد بن الحسن الديار بكري المكى المتوفى سنة ٩٦٦ هـ.

أرأيتم لمشقة الإمامة:

– حتى في أشق اللحظات عندما كان يعانى من سكرات الموت ربط رأسه بعصابة وقام مستنداً على العباس وعليّ عندما سمع أذان الصلاة، لماذا ؟ لأنه علَّمهم أنه:

{ لاَ خَيْرَ فِي دِينٍ لاَ رُكُوعَ فِيهِ } [10]- أي صلاة ..

هذه هى الإمامة، ما معنى الإمامة؟

أن يكون هو أول الناس قياماً بأمر الله ليكون قدوة لمن خلفه يقتدون بفعاله قبل أقواله، ولذلك كان ﷺ يأمر باليسر وبالأخف !! ويأخذ نفسه بالأشد !! فكان أصحابه الحكماء الفقهاء العلماء الذين كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء يقتدون بهديه قبل أن يعملون بقوله:

لأنه يأمر باليسر ويأخذ نفسه بالأشد فكانوا يقتدون بفعاله، تلكم هى المسئولية:

{ كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ } [11]

﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾:

- الإمامة إذا كانت إمامة الصلاة تحتاج إلى أن يكون المرء الذي يؤم المصلين أفقههم في دين الله وأقرؤهم لكتاب الله وأرعاهم لحدود الله !

---

١٠ عن عثمان بن أبى العاص، المسند الجامع

١١ البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما

- فما بالكم بإمامة الخلق في الدعوة إلى الله؟.
- فهذه تحتاج إلى أن يكون المرء:
  - شديد الحذر، شديد الورع، شديد الأخذ بدين الله.
  - شديد التمسك بحبيب الله ومصطفاه في كل أنفاسه:
    - فلا يتحرك حركة! ولا يسكن سكنة !
    - إلا إذا قاسها بما ورد عن حبيب الله ومصطفاه.
    - ولا ينطق بكلمة إلا إذا وزنها! لأنه يؤخذ منه بالكلمة، كلمته ميزان !!يزن بها الناس أحوالهم وأعمالهم وأفعالهم:

- ﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ﴾ (153الأنعام)

فانظر لم يقل الله ﷻ فامشوا عليه! ولكن (**فَٱتَّبِعُوه**) !..

إذاً الصراط المستقيم في الآية رسول الله ﷺ.

- فقد وصل في دقته في العمل بأوامر الله إلى أنه صار كالصراط المستقيم والذى ذكر ذلك هو مولاه جل في علاه، وصل في دقته في مراعاة حدود الله وتطبيق أوامر الله إلى أن قال لنا فيه الله:

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ (الحشر)

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴾ (النجم)

كفاية الله للأتقياء

لو كان الابتلاء سخطاً وغضباً من الله كما تصور بعض المسلمين:

لما ابتلى الله ﷻ رسله وأنبيائه أجمعين!!

لكن كما ي غ ه !

{ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاءً؟ فقَالَ : الأَنْبِيَاءُ ، ثُمَّ الصَّالِحُونَ ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ }[12]

ومن هنا كانت قصة الابتلاء لإبراهيم عليه السلام :

لزيادة الإيمان وقوة الإسلام لعباد الرحمن ﷻ، وهذا أول دليل جعله الله ﷻ لكل مؤمن وثق في الله وتوكل على مولاه ولم يفوض أمره إلا إلى الله ﷻ.

فهذا رجل من أصحاب رسول الله ﷺ هو سيدنا أبو إدريس الخولاني، أرسله رسول الله ﷺ إلى الأسود العنسي رجل ادَّعى النبوة وزعم أنه ينزل عليه قرآن في زمن رسول الله ﷺ، فذهب إليه:

---

١٢ مسند أحمد عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

(فقال له بعد أن سمعه ، أتؤمن أني نبي الله؟ قال : لا أسمع ، قال : أتؤمن أن محمداً رسول الله؟ قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .□

فكررها عليه عدة مرات ، وكلما قال له أتؤمن بي؟ قال : لا أسمع ، فإذا قال له أتؤمن بمحمد رسول الله كرر الشهادتين .□

فجمع له الحطب وألقوه في النار ، ولكنه بفضل الله حدث له ما حدث مع إبراهيم الخليل ، فقد خرج من النار ولم تضره بشيء ولم تحرق إلا حباله ، حتى ثيابه لم تحرقها النار .□

فقال له قوم الأسود : إن أبقيت هذا الرجل بين ظهرانينا فتن به قومك ، فأخرجه من هنا ، فخرج إلى المدينة .□

وكان رسول الله ﷺ قد لحق بالرفيق الأعلى ، لكنه كان قد أنبأ أصحابه بذلك ، فخرج سيدنا أبو بكر وسيدنا عمر لاستقباله وأحاطوا به واعتنقوه . وقال سيدنا عمر ﷺ :□[3]

الحمد لله الذي أحياني حتى شهدت شبيه الخليل إبراهيم عليه السلام في أمة محمد ﷺ)[1]!!.

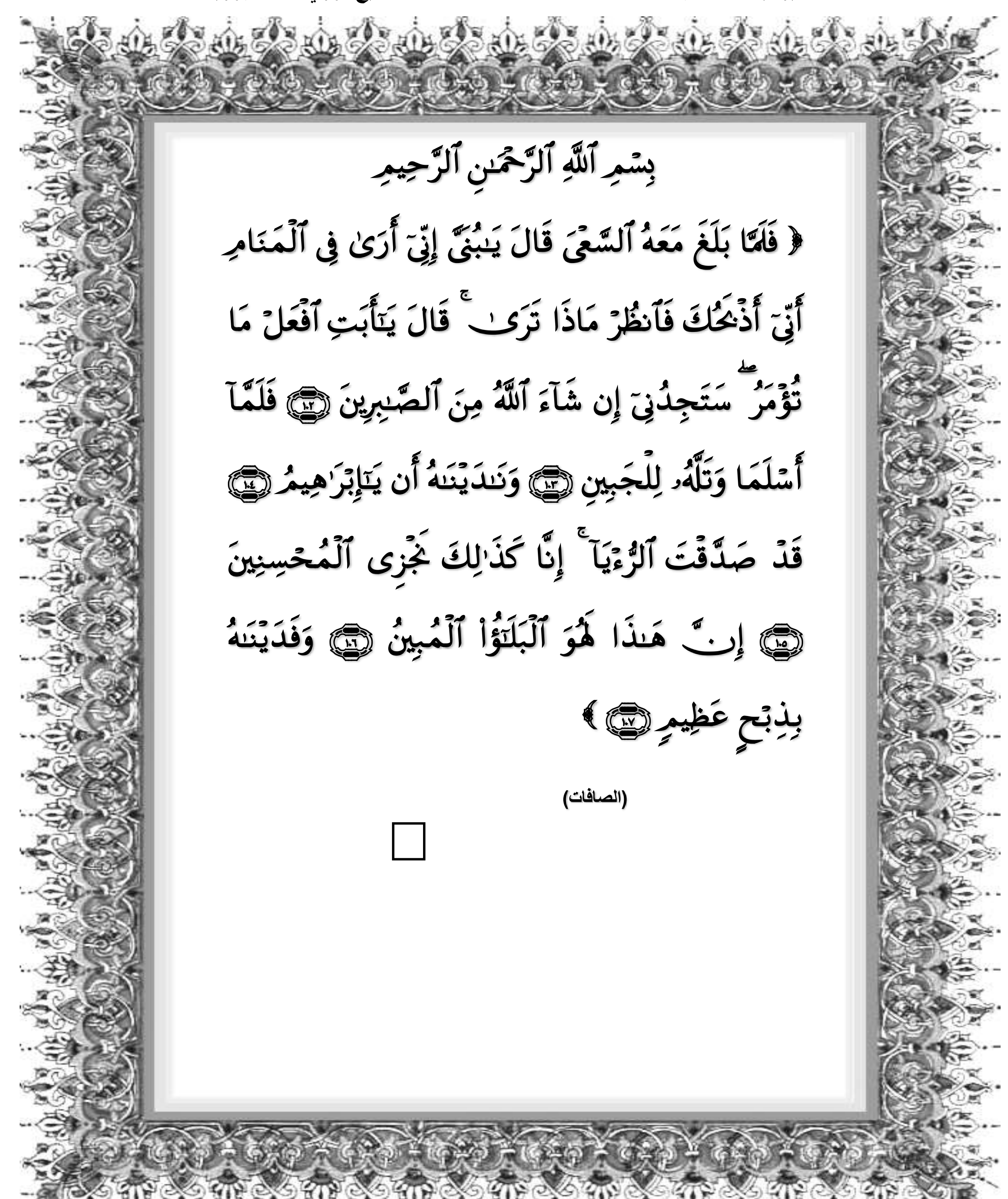
فكل مؤمن يذكر الله ويتوكل على مولاه فله نصيب وافر من معونة الله وتوفيق الله في كل أمر ينتابه في هذه الحياة لأن الله قال في كتابه عز شأنه:

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ ﴾ (الطلاق) أي كافيه ... يكفيه كل هم وكل عناء وكل بلاء.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

---

١٣ سير أعلام النبلاء وأكثر كتب التاريخ .



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ﴿١٠٧﴾ ﴾

(الصافات)

١٤. قصة الفداء

تكريم الله لإبراهيم

الذبيح إسماعيل

١٤. قصة الفداء

رأى إبراهيم في منامه يوم الثامن من ذي الحجة أنه يذبح ابنه، فتروَّى في أمره، وأخذ يُفكر، ورأى ذلك مرة أخرى في يوم التاسع، فظن أنها من الشيطان، ورآها مرة ثالثة في يوم العيد يوم العاشر من ذي الحجة فتيقن أنها رؤيا حقة، فأحضر إبنه وقال له:

﴿ يَـٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴾ !

يشاوره حتى في ذبحه، لأن الله يريد أن يُعلِّمنا الشورى في كل أمر، فكثير من الأحباب لا يحب الشورى، يقول بعض الصالحين: لو شاور آدم الملائكة ما خرج من الجنة!! ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾ [illegible] ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [illegible].

سيدنا إبراهيم شاور إبنه، وشرح له بالتفصيل:

﴿ يَـٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴾ :

ولأنه متعلم في بيت النبوة ﴿ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُ ﴾ عرف أن رؤيا الأنبياء وحي،

كما قال ﷺ:

{ إِنَّ رُؤْيَا الأَنْبِيَاءِ وَحْيٌ }[1]

﴿ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾

لم يقل صابراً، سيدنا موسى قال: ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا ﴾ (الكهف) ولم يصبر، لكن سيدنا إسماعيل أدخل نفسه في الصابرين، فصبر، لذلك يجب على المؤمن أن يُدخل نفسه في وسط الصالحين:

﴿ لَنُدۡخِلَنَّهُمۡ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (العنكبوت) حتى يستطيع أن يصل إلى ما يريد، وأن يحقق

الله ﷻ له الطريق السديد، فأخذه وذهب به إلى مِنى، وتظاهرا بأنهما ذهبا ليصطادا أو ليجمعا الحطب، ومعهما حبل وسكين، وقال لأبيه: اشحذ المدية، وكبني على وجهي حتى لا تنظر إلى وجهي فتجزع عند تنفيذ أمر الله، فأمر الله ﷻ الأمين جبريل أن يهبط سريعاً وأن يضع يده على رقبته، ولذلك ورد في الأثر:

---

١ صحيح البخاري والترمذي عن ابن عباس ﷺ

{ أن النبي ﷺ قال لجبريل عليه السلام : يا جبريل أنت مع قوتك هل أعييت قط؟ قال : نعم يا محمد ثلاث مرات :□

الأولى : يوم ألقي إبراهيم في النار فأوحى الله إلي وأنا تحت العرش أدركه فوعزتي وجلالي لئن سبقك إلى النار لأمحونَ اسمك من ديوان الملائكة فنزلت إليه بسرعة فأدركته بين النار والهواء وقد أعييت فقلت : يا إبراهيم ألك حاجة؟ قال : أما إليك فلا .□

الثانية : حين أمر إبراهيم يذبح ولده أوحى الله إلى أن أدركه فوعزتي وجلالي لئن سبقك السكين إلى حلقه لأمحونّ اسمك من ديوان الملائكة فنزلت بسرعة حتى حولت السكين في يديه بفداء ولده .□

الثالثة : حين رمى يوسف في الجب فأوحى الله إلي أن أدركه فوعزتي وجلالي لئن سبقك إلي قعر الجب لأمحون اسمك من ديوان الملائكة فنزلت بسرعة فأدركته في الفضاء□

□ □

فرفعت له صخرة كانت في قعر الجب فأنزلته عليها سالماً فعييت وكان الجب مأوى الحيات والأفاعي فلما أحسن به قالت كل واحدة لصاحبتها إياك أن تتحركي فإن نبياً كريماً نزل بجوارنا فلم تخرج واحدة من وكرها إلا أفعى فإنها خرجت وقصدت لدغه فصحت بهن صيحة صمتت آذانهنّ إلى يوم القيامة }[٢]

ولذلك قال ﷺ:

﴿ فَلَمَّآ أَسْلَمَا ﴾ : باطناً وظاهراً لله، وهذا إسلام الوجه لله:

﴿ وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ : ونزل الكبش الذي قدَّمه هابيل وتقبله الله ﷻ منه، وكان يرعى في الجنة، وظل يرعى حتى أنزله الله ﷻ وفدى به نبي الله إسماعيل عليه وعلى نبينا وعلى أبيه إبراهيم أفضل الصلاة وأتم السلام.

---

٢ القرطاس عن أبى هريرة ﷺ

تكريم الله لإبراهيم□

تكريم الله ﷻ لإبراهيم لا يُعد ولا يُحد، فإن الله ﷻ جعل لإبراهيم الأولية في أشياء لا تعد ولا تحد، في الملة الحنيفية والشريعة الإسلامية، فإبراهيم أول من اختتن، وختن أبناءه وذريته، وإبراهيم أول من قلَّم أظفاره، وإبراهيم أول من نبت الشيب في رأسه، فقال:

{ يَا رَبِّ، مَا هَذَا؟ فَقَالَ: وَقَارًا يَا إِبْرَاهِيمُ، قَالَ: رَبِّ، زِدْنِي وَقَارًا } [٣]□

وإبراهيم عليه السلام أول من يُكتسى يوم القيامة قال ﷺ:

{ إِنَّ أَوَّلَ مَنْ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ } [٤]□

وحتى يتضح المعنى: كلمة أول نأخذها دائماً بعد الحبيب ﷺ، فإبراهيم أول من يُكسى بعد رسول الله ﷺ، جعل الله ﷻ النبوة في ذريته، مع أنه عندما قال الله ﷻ له: ﴿ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ لا شأن لنا بالظالمين، وقال الله تعالى: ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴾

٣ شعب الإيمان للبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه
٤ البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما

لكن جعل الله ﷻ أنبياء بني اسرائيل كلهم من إبنه إسحاق، فإسحاق منه يعقوب، وكلهم منه، مع أن إبراهيم كان له حوالي خمسة عشر ولد غير إسحاق من زوجات أخريات تزوج بهن في فلسطين، لكن النبوة كانت في إسحاق، وجعل الله ﷻ خيار الأنبياء في الدنيا والآخرة وخاتمهم من ذرية إسماعيل وهو سيدنا محمد ﷺ.

الذبيح إسماعيل

وكثير من المفسرين ومدَّعو العلم يجعلون الذبيح هو إسحاق وليس إسماعيل، بالاعتماد على الروايات الإسرائيلية التي نقلوها بغير تمحيص، مع أن الشيخ محمد متولي الشعراوي رحمة الله عليه تولى دحض ذلك حتى من التوراة والإنجيل، وقال رحمة الله عليه: مع أن هؤلاء القوم حرَّفوا إلا أن الله ﷻ حفظ بعض الآيات في التوراة من التحريف والتي فيها تأييد لهذا الدين الذي جاء به سيد الأولين والآخرين ﷺ، ومن هذه الآيات ما ورد في التوراة: (ذَبَح إبراهيم بكره وحيده)

والبكر هو إسماعيل وكان وحيداً، لكنهم تركوا هذه الآية وجاءوا بما ورد عنهم من أقاصيص فيها عجب عجاب، لكنها ليست صحيحة في كتاب الله ﷻ، وسورة الصافات واضحة وضوح لا لبس فيه:

﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (101) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (102) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (103) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (104) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (105) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (106) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (107) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (108) سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (109) كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (110) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (111) وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (112) ﴾ بعد قصة الذبيح بشَّره بإسحاق نبياً من الصالحين، ثم أن الذبح تم في موضع البيت الحرام، وأين إسحاق من موضع البيت لحرام؟!! وإسحاق كان في فلسطين، قال رجل للنبي ﷺ: { يَا ابْنَ الذَّبِيحَيْنِ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِ }[5]

5 الحاكم في المستدرك عن معاوية بن أبي سفيان ﷺ

والرسول ﷺ لا يهادن في خطأ، فلو كان هذا غير صحيح لقال له: لا تقل ذلك، لكنه إبن الذبيح إسماعيل، وإبن الذبيح عبد الله، عندما أراد أبوه أن يذبحه وافتداه بمائة جمل، فالذبيح على القول الصحيح هو سيدنا إسماعيل لكن هذه الأقوال لانجادل فيها، ولا نُكثر الحديث فيها، عرفنا الحق اليقين، فلا نجادل المشككين ولا المتشككين، ونحمد الله ﷻ أن أتانا اليقين.

جعل الله ﷻ على يد إبراهيم خليل الرحمن بناء بيت الله الحرام، ووضحه له وبيَّنه له: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ ﴾ وجعل على يد ذريته بناء بيت المقدس،

حيث الذي بناه أول مرة هو سيدنا يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام.

جعل الله له لسان صدق في الآخرين: ﴿ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴾

فلا نُصلي صلاة إلا ونصلي ونُسلم على سيدنا محمد وعلى سيدنا إبراهيم، وعلى آل سيدنا إبراهيم لأنه طلب من الله أن يكون له لسان صدق مع الأمة الصادقة في الآخرين.

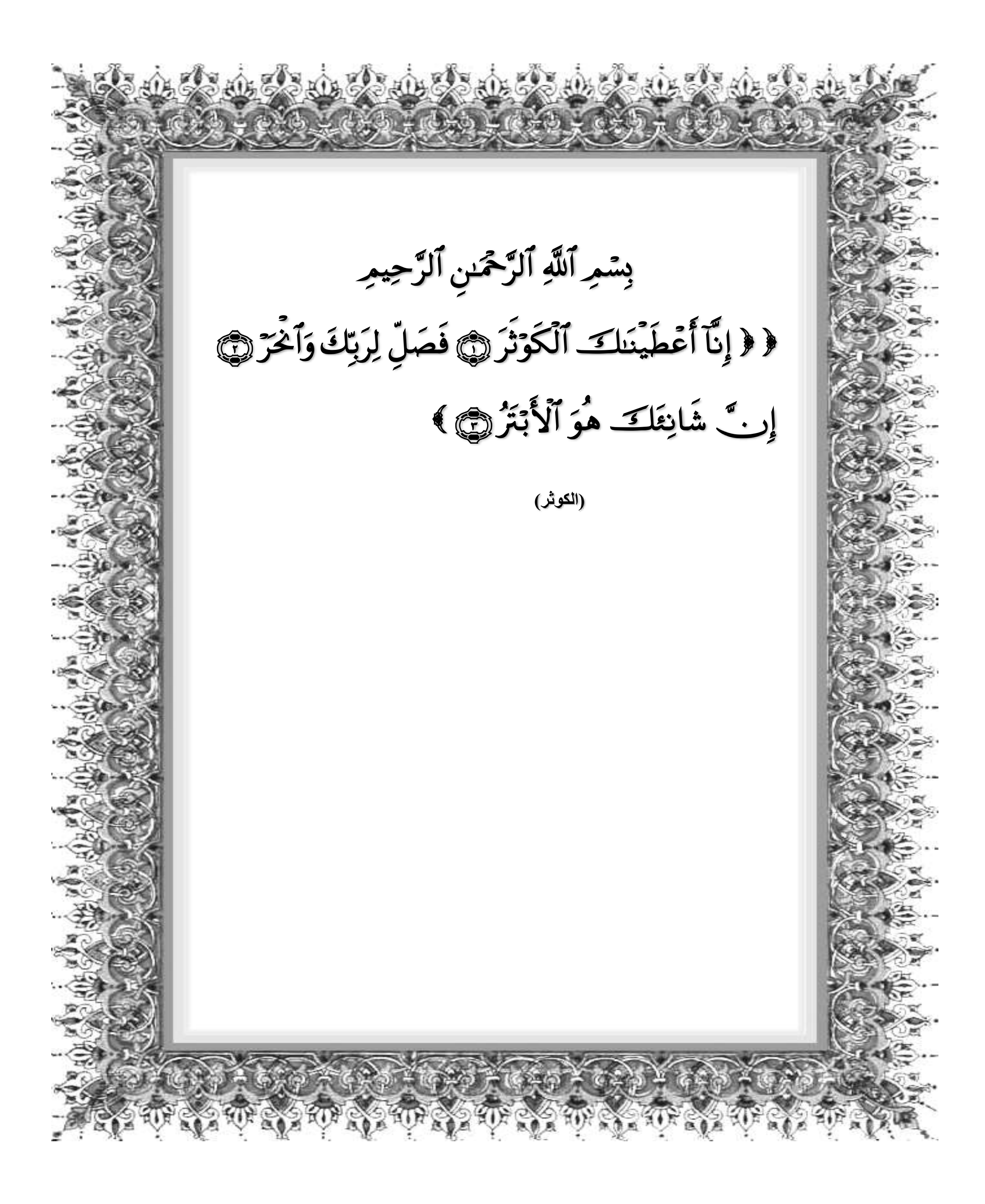
وجعل الله ﷻ إبراهيم أول من نسَّك مناسك الحج، فلم يكن قبل ذلك حج، كان هناك طواف: ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ﴾ فأراهم المناسك.

وجعل الله ﷻ مناسك الحج:

تذكرة دائمة للمؤمنين بأفعال إبراهيم وزوجه وإبنه، يطوفوا بالبيت الذي بناه إبراهيم وإسماعيل، ويسعوا في الموضع الذي سعت فيه هاجر زوجة إبراهيم، ويشربوا من النبع الذي أنبعه الله ﷻ لإسماعيل، ويقفوا على الموضع الذي عرَّف الله ﷻ فيه إبراهيم على عرفات مناسك الحج، قال له جبريل: عرفت، قال: نعم، ويرمون الجمرات في الموضع الذي رمى فيه إبراهيم إبليس عندما أراد أن يصده عن تنفيذ أمر الله .. فالحج كله تذكرة بخليل الله إبراهيم، وزوجه هاجر، وإبنه إسماعيل عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

مقامات سيدنا إبراهيم في القرآن لا تتناهى[٦]، ونحن ذكرناها عداً وشرحها يحتاج إلى وقت طويل، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

٦ راجع كتابنا "أسرار خُلَّةُ إبراهيم ﵇".



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ٣ ﴾

(الكوثر)

١٥. الأضحية

الثواب الأول: مغفرة الذنوب

الثواب الثاني: زيادة الحسنات

الثواب الثالث: اجتياز الصراط سريعاً

١٥. الأضحية[1]

سر عيد الأضحى هو قصة الذبيح إسماعيل مع أبيه إبراهيم، وسنَّ لنا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم الأضحية، والأضحية فعل لو عمله المرء له ثواب لا يُعد ولا يُحد وسنحاول أن نبين بعضه لنعرف فائدة هذا العمل الذي قال لنا فيه سيدنا رسول الله ﷺ:

{ سُنَّةُ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ }[2]

يعني سُنَّة عن سيدنا إبراهيم، ورسول الله ﷺ فعل هذه السُنة، ومن رحمته جاء بكبشين وذبحهما بنفسه، والكبش الأول قال فيه:

{ اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا عَنْ أُمَّتِي جَمِيعًا مِمَّنْ شَهِدَ لَكَ بِالتَّوْحِيدِ ، وَشَهِدَ لِي بِالْبَلاغِ }[3]

يعني ضحَّى النبي عنا كلنا، حتى لا يشقُّ أحدٌ على نفسه، والثاني قال فيه:

{ هَذَا عَنْ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ }[4]

الثواب الأول: مغفرة الذنوب

ولذلك بدأ المسلمون في عصره في التضحية وقد حثَّهم على ذلك، لماذا؟ لأنه بيَّن عندما حضَّ إبنته السيدة التقية النقية السيدة فاطمة على الأضحية وقال لها:

---

١ بنها - مسجد سيدي الضعيف ٧ من ذي الحجة ١٤٣٧هـ ٢٠١٦/٩/٩م
٢ سنن ابن ماجة ومسند أحمد عن زيد بن أرقم رضي الله عنه
٣ مسند أحمد والحاكم عن أبي رافع القبطي رضي الله عنه
٤ مسند أحمد والحاكم عن أبي رافع القبطي رضي الله عنه

{ يَا فَاطِمَةُ ، قَوْمِي إِلَى أُضْحِيَّتِكِ فَاشْهَدِيهَا ، فَإِنَّهُ يُغْفَرُ لَكِ عِنْدَ أَوَّلِ قَطْرَةٍ تَقْطُرُ مِنْ دَمِهَا كُلُّ ذَنْبٍ عَمِلْتِهِ } [5]

يعني عندما نُضحي فإن كل ذنبٍ فعله المُضحي يُغفر له، والسادة العلماء قالوا: أن المضحي وزوجه وأولاده الذين معه وتحت رعايته يندرجون تحت هذه المغفرة.

والإبن الذي كبُر نقول له: ضحِّ عن نفسك وعن زوجتك، لكن الذي ما زال معي فكل واحدٍ منهم ينال نفس الثواب، فيُغفر له ما تقدم من ذنبه بعد الأُضحية.

الثواب الثاني : زيادة الحسنات

قَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : { يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا هَذِهِ الأَضَاحِيُّ؟ قال : سُنَّةُ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ، قَالُوا : فَمَا لَنَا فِيهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ ، قَالَ : بِكُلِّ شَعَرَةٍ حَسَنَةٌ ، قَالُوا : فَالصُّوفُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ ، قَالَ : بِكُلِّ شَعَرَةٍ مِنَ الصُّوفِ حَسَنَةٌ } [6]

غ ه ي غ غ مغ همعهغ هعه ق ﷻ ه

ع ط ه ز ه !

{ مَا عَمِلَ آدَمِيٌّ مِنْ عَمَلٍ يَوْمَ النَّحْرِ ، أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ إِهْرَاقِ الدَّمِ ، إِنَّهَا لَتَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقُرُونِهَا ، وَأَشْعَارِهَا ، وَأَظْلافِهَا ، وَأَنَّ الدَّمَ لَيَقَعُ مِنَ اللَّهِ بِمَكَانٍ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ مِنَ الأَرْضِ ، فَطِيبُوا بِهَا نَفْسًا } [7]

---

٥ الحاكم في المستدرك والبيهقي عن عمران بن حصين رضي الله عنه
٦ سنن ابن ماجة ومسند أحمد عن زيد بن أرقم ﷺ
٧ جامع الترمذي وابن ماجة عن عائشة رضي الله عنها

الناس في زمننا هذا أصبحت حساباتهم مادية دنيوية وليست حسابات أُخروية، آباؤنا مع أنهم كانوا أُمِّيين كانت حساباتهم أُخروية، يقول: أنا أريد أن أُضحي، تسأله لماذا؟ يقول لك: من أجل الثواب يا بني.

لكن الآن الكثير يحسبها فيقول: لماذا أشتري أُضحية بألفين جنيه؟!!

أنا أشتري لحم بمائتين أو ثلاثمائة جنيه مثلاً وأُوفر الباقي!!، فهذه حسبة دنيوية!! ولكن السابقون يحسبونها حسبةً أُخروية؛ أنه ومن حوله تُغفر ذنوبهم، ويروا ما سينالهم من حسنات بهذا الأمر الذي وصفه وبيَّنه رسول الله ﷺ.

ومتي أقوم بها؟ كل مسلم يقوم بها ولو مرةً في العمر، ولو أن المسلم عزم على فعلها مرةً في العُمر فلن يُعجزه هذا، فلو ادخرت كل سنة مائة جنيه، ألن يأتي عليَّ سنة من السنين فأُضحي؟!! لكن المتيسر عليه أن يُضحي كل عام، ولذلك شدَّد النبي ﷺ على المتيسرين وقال لهم:

{ مَنْ وَجَدَ سَعَةً فَلَمْ يُضَحِّ، فَلا يَقْرَبَنَّ مُصلانَا }[٨]

لأنه لا بد أن يُوسِّع على الفقراء والمساكين، ويُوسع على نفسه أيضاً، لكن بالنسبة للفقراء فيحاولوا أن يفعلوها ولو مرة في العُمر فتكون قد أديت هذه السُنَّة عن سيدنا إبراهيم والتي سنَّها الحبيب ﷺ.

٨ مسند أحمد والدارقطني عن أبي هريرة رضي الله عنه

فلا يأتي إنسان ويقول: أنا لا أستطيع أن أُضحي لأنني طوال عمري مضغوط، كيف ذلك؟! وإذا زوَّجت إبنتك تكلفها خمسين أو ستين ألف جنيه وتمر المشكلة، أو تريد شراء شقة لإبنك فإنك تنفق كذلك مبالغ كبيرة وتمر المشكلة، فكذلك لو وضعت في حسابك وفي ميزانيتك هذه الأضحية فإنك ستقدر على ذلك، المهم أن تعزم: ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ (١٥٩آل عمران) إذا عزمت فإن الله سيعينك على تأدية هذه الأُضحية ولو مرةً في العمر، أو حسب تيسير الله ﷻ، وما يعين الإنسان على أن يؤدي هذه الأضحية هو الله ﷻ.

الثواب الثالث: اجتياز الصراط سريعاً□

وضع الله ﷻ على جهنَّم جسور، فجهنم لها سبعة أبواب ولها سبعة جسور، وكل جسر منها كما وصفه حضرة النبي: ألف عام صعود وألف عام إستواء وألف عام هبوط، هذه السبعة جسور لكي نجتازهم نحتاج إلى واحد وعشرين ألف سنة، لأن اليوم كله خمسين ألف سنة.

وكيف نعبر هذه الجسور؟ منا من يعبر راكباً، ومنا من يعبر ماشياً، من يعبر ماشياً ستحتوشه النار من تحته، فماذا يركب هناك؟ هل سيحجز في سوبر جيت، أو في طائرة، أو في قطار، أو غير ذلك؟!! الأُضحية التي يذبحها هنا هي التي سيركبها هناك على الصراط، فلا بد أن يُضحِّي ولو لمرة لتكون له هناك ركوبة، قال ﷺ:

{ اسْتَفْرِهُوا ضَحَايَاكُمْ، فَإِنَّهَا مَطَايَاكُمْ عَلَى الصِّرَاطِ }[٩]

أي استسمنوا ضحاياكم، لأنها مطيتكم على الصراط، وما سُرعتها؟ على حسب عملك الصالح، منها من تكون سرعتها كالبرق، ومنها من تكون سرعتها كالريح الشديدة، ومنها من تكون سرعتها كالقطار السريع، فكل إنسان سرعته على حسب تقواه وعمله، المهم أنه سيركب.

والذين يمشون منهم لأنهم عملوا الخير فإن الله يُوسِّع عليهم الجسر، كما ورد أنه يتسِّع للمؤمن حتى يصير عرضه كمسيرة ثلاثة أيام، ولذلك حثَّ حضرة النبي ﷺ على الأُضحية.

والأضحية لأنال ثوابها لا بد وأن أُراعي الشروط الشرعية التي جعلها النبي للأضحية، حضرة النبي في يوم العيد قال لأصحابه:

---

٩ التدوين في أخبار قزوين للرافعي عن أبي هريرة رضي الله عنه

{ إِنَّ أَوَّلَ مَا نَبْدَأُ بِهِ فِي يَوْمِنَا هَذَا أَنْ نُصَلِّيَ ، ثُمَّ نَرْجِعَ فَنَنْحَرَ ، مَنْ فَعَلَهُ فَقَدْ أَصَابَ سُنَّتَنَا ، وَمَنْ ذَبَحَ قَبْلُ ، فَإِنَّمَا هُوَ لَحْمٌ قَدَّمَهُ لِأَهْلِهِ ، لَيْسَ مِنَ النُّسُكِ فِي شَيْءٍ } [10]

فلا تصِحّ الأُضحية إلا بعد صلاة العيد: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ (2الكوثر) فالذبح بعد الصلاة، ومن ذبح قبل الصلاة فإنما هو لحمٌ قدمه لأهله، وليس له ثواب.

فلا بد أن يكون الذبح بعد صلاة العيد، والناس تتعجَّل هذا الأمر فمبجرد أن يصلي العيد يُسرع ليذبح، لكن الأئمة قالوا يجب أن ينتظر حتى يسمع الخطبة، حتى يؤدي العبادة كما ينبغي، وكما قال صلى الله عليه وسلم:

{ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلا أَنْ يُتْقِنَهُ } [11]

فتُصلي العيد ثم بعدها تسمع الخُطبة، ثم بعدها الذبح، ويصِحّ في أول يوم، أو في ثاني يوم، أو في ثالث يوم، أو في رابع يوم، فليس شرطاً أن يكون الذبح في أول أيام العيد، فلو كان في اليوم الرابع تنال هذا الثواب الذي ذكره النبي الأواب ﷺ.

ما شروط الأُضحية؟ أن تكون مستوفية من جهة اللحم، لا هزيلة ولا ضعيفة، ولا مريضة، لأن اللحم المريض يُمرض آكله، وحضرة النبي بيَّن لنا حكمة عالية اكتشفها العلم الحديث، فعَنْ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قَالَ:

---

[10] البخاري ومسلم عن البراء بن عازب رضي الله عنه

[11] شعب الإيمان للبيهقي والطبراني عن عائشة رضي الله عنها

{ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَكْلِ الْجَلالَةِ وَأَلْبَانِهَا } [12]

والجلَّالة:

هي الدواب التي تأكل العذرة والنجاسات، وذلك لأن شارب ألبانها وآكل لحومها يجد فيها طعم ما أكلت من الخبائث العذرةِ والنجاسات.

وهكذا أيضًا الدَّجاج، فإنهُ يوجد في لحمها وبيضها رائحةُ ما ترعاه من هذه النجاسات، فإذا حُبِسَت هذه الدواب وهذه الطيور أياماً حتى يذهب ما أكلته في بطونها صفت ونقت، وعند ذلك يجوز أكلها.

فمثلًا:

إن أردت ذبح الإبل حبستها فلا تتركها تذهب تأكل من خشاش الأرض في هذه الأمكنة وإنما تقيدها وتربطها أربعين يومًا حتى تستفرغ ما في بطونها، والبقر دون ذلك شهرٌ، والغنم دون ذلك سبعة أيام، والدَّجاج دون ذلك ثلاثة أيام، وقد كان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما إذا أراد ذبح الدجاج حبسه ثلاثة أيام.

إذاً لا بد للأضحية أن تكون سليمة وخالية من العيوب:

[12] جامع الترمذي وسنن أبي داود

لأنك تُقدم شيئاً لله، وما تقدمه لله يكون لا بد أن يكون كامل المعاني، فهل يجوز أن تقدم لله أُضحية عمياء أو عوراء أو جرباء أو مريضة؟! لا، بل يجب أن تقدم أُضحية لله سليمة وخالية من العيوب، قال صلى الله عليه وسلم:

{ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إِلا طَيِّبًا } [١٣]

فيجب أن تكون خالية من العيوب، وسمينة.

وقد ذكر الأئمة السابقون:

أنه لا بد أن يكون الكبش عُمره لا يقل عن ستة شهور وسمين.

والعنزة لا تقل عن سنتين حتى يكفي لحمها.

والعجل لا يقل عن سنتين.

ولكن كانت المراعي في زمنهم طبيعية، ولكن الآن في زمننا أصبح عندنا مراعي صناعية، فالعجل يكون عمره ستة أشهر وفيه ما شاء الله خمس مائة كيلو من اللحم، والمهم عندنا اللحم لأنني سآكل منه وأعطي للفقراء والمساكين.

إذا كُنت وحدي في الأضحية فيكفيني خروف، أو نعجة، أو جدي، أو معزة.

وإذا كنا مجموعة ونريد أن نشترك في الأضحية فيكفي بقرة أو جمل، ولكن لا يزيد عن سبعة أفراد، ولا مانع أن يقل، فيصح ستة، أو خمسة، أو أربعة.

---

١٣ صحيح مسلم وجامع الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه

ولكن لو زادت عن ثمانية أفراد فلم تعد أُضحية، ولكن أصبحت لحماً، لذلك لا بد أن نراعي هذه السنن النبوية في الأُضحية.

الجزار الذي سيذبح كان في الماضي يأخذ الكبد مثلاً ويقول: هذه أُجرتي، وهذا خطأ، فحضرة النبي أمر سيدنا علي أن يذبح بالنيابة عنه، ـ لأن في الشرع يحوز أن يذبح أحدٌ بالنيابة عن المضحي.

يقول الإمام علي ﷺ:

{ أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَقُومَ عَلَى بُدْنِهِ ، وَأَنْ أَتَصَدَّقَ بِلَحْمِهَا ، وَجُلُودِهَا ، وَأَجِلَّتِهَا ، وَأَنْ لا أُعْطِيَ الْجَزَّارَ مِنْهَا ، قَالَ : نَحْنُ نُعْطِيهِ مِنْ عَنْدِنَا } [١٤]

لِحِ إياك أن يأخذ الجزار أُجرته من الذبيحة، ولكن أعطه مما معك أنت.

ولذلك نكون سبعة مشتركين في أُضحية كعجلٍ، فنضع مع ثمن الذبيحة أجر الجزار، لأن هذا خارج لحم الذبيحة، فإذا أردت أن أعطيه من لحمها هدية بعد ذلك فلا مانع، ولكن يكون خارج الأجر.

ـ ولا يجوز أن أبيع أي شيء من الأُضحية:

لا الجلد ولا الرجل ولا الكرش ولا اللحم ولا أي شيء أبداً.

لكن يجوز أن أتصدق منها.

١٤ صحيح مسلم وسنن أبي داود

وماذا أفعل بالجلد؟

الجلد إما أن أتبرع به لجهة خيرية، ووزارة الأوقاف عملت مشروعاً عظيماً يجمعون الجلود ثم يشترون بثمنها سيارات إسعاف ويسلمونها لوزارة الصحة، وهذا المشروع كلنا في حاجة إليه.

أو أتبرع به لأي جمعية من الجمعيات الخيرية التي تأخذ أموال هذه الجلود وتنفقها في عمل البر وعمل الخير .

أو إن كنتُ سأبيعه وأتصدق بثمنه على الفقراء والمساكين.

لكن لا يجوز أن آخذ ثمن الجلد لنفسي.

وهذا الكلام أُخبر به أهلي، فما يحدث عندنا في البلاد أن الرجل يذبح الأُضحية ثم ينصرف، وزوجته تبيع الجلد لمن يشتري الجلود، ثم تأخذ ثمنه دون علم زوجها، فتكون بذلك قد أضاعت ثواب كل العائلة، لذلك لا بد أن أُعرِّفها هذه القواعد الشرعية حتى نكون كلنا مشتركين لننال هذا الخير الذي قدَّره لنا الله، والذي بيَّنه لنا رسول الله ﷺ.

ولحم الأُضحية كيف أُوزِّعه؟ لا يوجد قاعدة شرعية وردت عن حضرة النبي ولا عن الصحابة في التوزيع، سمعنا من يقول أن ثُلثها لصاحبها، وثُلثها لأقاربه أصدقاءه، والثلث للفقراء، والذي اقترح هذا الموضوع بعض علماء المذهب الشافعي، ولكن الأمر على حسب سعة الإنسان، فلو ضحيت وأنا رجلٌ فقير أحتاج للحم فآكلها كلها، أو ضحيت وأنا رجلٌ غنيٌّ ولست في حاجة للحم أوزعها كلها، أو ضحيت وأنا رجلٌ وسط آخذ جزءاً لي وجزءاً لأقاربي الذين لا أضحية عندهم.

ولكن لو فعلت كما يفعل البعض، أنا عندي أُضحية وآخر عنده أُضحية، فأنا أعطيه وهو يعطيني، فما الذي عملناه؟! ولكن أُعطي لمن لم يضحي، والجزء الأساسي المهم للفقراء الذين لا يملكون أكل اللحم في هذا اليوم السعيد.

البعض يوزعها على حراس العقارات، وهؤلاء يحجزون ثلاجات العمارة كلها لتخزين اللحوم التي جمعوها في هذا اليوم، وبعضهم يبيع هذه اللحوم للجزارين، وهذا لا يصح، ولكن أعطيها لمن؟

﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَـٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ (٢٧٣البقرة).

إذاً التوزيع يكون حسب سعة الإنسان وحالة الإنسان من هذه الأُضحية الكريمة التي يجعلها أولاً إبتغاء وجه الله، وطلباً لمرضاته جل في علاه، ورغبة في الثواب الذي بيَّنه لنا سيدنا رسول الله ﷺ.وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

إنتهى بحمد الله تعالى وتوفيقه

نبذة عن المؤلف: فضيلة الشيخ فوزي محمد أبوزيد



۞ نبذة: ولد فضيلته في ١٨ أكتوبر١٩٤٨م، الموافق ١٥ من ذى الحجة ١٣٦٧هـ بالجميزة، مركز السنطة، غربية، ج م ع، وحصل على ليسانس كلية دار العلوم من جامعة القاهرة ١٩٧٠م، ثم عمل بالتربية والتعليم حتى وصل إلى منصب مدير عام بمديرية طنطا التعليمية، وتقاعد سنة ٢٠٠٩م.

۞النشاط: يعمل رئيسا للجمعية العامة للدعوة إلى الله بمصر، والمشهرة برقم ٢٢٤ ومقرها الرئيسى ١١٤ شارع ١٠٥ المعادى بالقاهرة، ولها فروع في جميع أنحاء الجمهورية.، كما يتجول بمصر والدول العربية والإسلامية لنشر الدعوة الإسلامية، وإحياء المُثل والأخلاق الإيمانية؛ بالحكمة والموعظة الحسنة. هذا بالإضافة إلى الكتابات الهادفة لإعادة مجد الإسلام، من التسجيلات الصوتية الكثيرة والوسائط المتعددة للمحاضرات والدروس واللقاءات على الشرائط والأقراص المدمجة، وأيضا من خلال موقعه على الشبكة www.Fawzyabuzeid.com وهو أحد أكبر المواقع الإسلامية فى بابه وجارى إضافة تراث الشيخ العلمى الكامل على مدى خمسة وثلاثين عام مضت، وقد تم إفتتاح واجهة للموقع باللغة الإنجليزية.

۞دعوته: ١- يدعو إلى نبذ التعصب والخلافات، والعمل على جمع الصف الإسلامى، وإحياء روح الإخوة الإسلامية، والتخلص من الأحقاد والأحساد والأثرة والأنانية وغيرها من أمراض النفس، ٢- يحرص على تربية أحبابه بالتربية الروحية الصافية بعد تهذيب نفوسهم وتصفية قلوبهم.، ٣- يعمل على تنقية التصوف مما شابه من مظاهر بعيدة عن روح الدين، وإحياء التصوف السلوكى المبنى على القرآن والسنة وعمل الصحابة الكرام.

۞ هدفه : إعادة المجد الإسلامى ببعث الروح الإيمانية، ونشر الأخلاق الإسلامية، وبترسيخ المبادئ القرآنية.

۞ مساهمات الشيخ الدعوية للشيخ بالإذاعة والتليفزيون:

ومساهمات فضيلته أكثر من أن تحصى بالإذاعات كلها وبقنوات التلفزيون المصرى المتعددة مع العلم بأن الشيخ يرفض البرامج الخاصة أو برامج التوك شو التى تهدف للبلبلة والإثارة وتأليب الرأى واستغلال الحوادث أو تأجيج الفتن، وهو يرحب ببرامج وبقنوات التليفزيون المصرى أو غيرها من التى تعمل جادة على نشر الدعوة الوسطية والعصرية وتهدف إلى رأب الصدع وجمع الشمل وتوصيل الدعوة الهادفة بالأسلوب الجذاب والراقى.

و نذكر من تلك المساهمات على سبيل المثال لا الحصر :

١- خطبة وصلاة الجمعة : بعض الخطب على الهواء مباشرة منها :*جمع من مسجد النور بحدائق المعادى بالقاهرة[١]، جمع على من مسجد الزاوية الحمراء بالقاهرة، والمسجد الكبير بمدينة بورفؤاد ببورسعيد، ومسجد الأنوار القدسية بالمهندسين وغيرها.

٢-: البرنامج العام: *دعاء الصباح. * المجلة الدينية.

٣- إذاعة القرآن الكريم: أمسيات دينية كثرة متعددة. خطبة وصلاة الجمعة على الهواء.من مساجد متعددة. خطبة وصلاة الجمعة بمسجد التليفزيون المصرى عدة مرات.

٤- إذاعة وسط الدلتا :* حديث الصباح * الأمسية الدينية.

٥- إذاعة الشباب و الرياضة: * برنامج: عصافير الجنة.

٦- القناة الأولى بالتليفزيون: * برنامج من بيوت الله. * برنامج فى زمرة النبى ﷺ.

٧- القناة السادسة: حلقات من برنامج "السيرة العطرة".وبرنامج "آيات محكمات".

٨- القناة الثامنة: سلسلة حلقات من برنامج "لقاءات إيمانية".

٩- القناة الثقافية: برنامج "فتاوى على الهواء"

١٠- إذاعة القاهرة الكبرى: "أمسيات دينية متعددة" من مساجد مختلفة.

١١- القناة التعليمية : * حلقات برنامج أولياء الله الصالحون .

١ الشيخ يخطب أول جمعة من كل شهر ميلادى بمسجد النوربالمعادى منذ أكثر من عشرين عاماً.

١٢- قناة القاهرة بالتليفزيون: حلقات من برنامج فقه المرأة وبرنامج جدد حياتك ولا يزالا مستمراًن إلى تاريخه، وفى شهر رمضان ٢٠١٨ برنامج "من آيات القرآن"، وكذلك "الدعاء" بعد آذان المغرب طوال الشهر الكريم.

١٣- قناة الدلتا التليفزيونية: برنامج "جدد حياتك" ومازال مستمرا.

۞ المساهمات الإعلامية والدعوية بكليات ومعاهد الجامعات و مراكز الشباب و الأندية الثقافية والجمعيات الدينية و الثقافية و العلمية :

أحيى الشيخ العديد من المناسبات الدينية والإحتفالات بالكثير من الجامعات بالوجه البحرى والصعيد، وكذا بالنوادى الرياضية والجمعيات والمستشفيات، والمراكز الثقافية والرياضية بالوجهين البحرى والقبلى.كما شارك الشيخ وأحيى العديد من المناسبات بدعوات من عديد من المؤسسات الإجتماعية بالقاهرة ومختلف المحافظات، و دعى إلى عدد من إحتفالات الصلح بالصعيد على مدارالسني، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

۞ قائمة مؤلفات الشيخ

المطبوعة حتى تاريخه 29 يونيو ٢٠١٨م

م	الكتاب (ط: طبعات، ت: ترجمة)	ط	ت	م	الكتاب (ط: طبعات، ت: ترجمة)	ط	ت
عدد خمس عشرة سلسلة تحتوى على ١٠٩ كتاب							
	السلسلة الأولى : فى تفسير القرآن الكريم : ١١			٤	نفحات من نور القرآن ١	١	
١٤	نفحات من نور القرآن ٢	١		٤٨	أسرار العبد الصالح وموسى عليه السلام	٣	
٩١	الآداب القرآنية مع خير البرية ﷺ	١		٩٣	أسرار خلة إبراهيم عليه السلام	١	
٩٦	تفسير آيات المقربين: ج١	١		١٠٢	تفسير آيات المقربين: ج٢	١	
١٠٣	حكمة لقمان وبر الوالدين	١		١٠٥	تفسير آيات المقربين : ج٣	1	
١٠٨	تفسير آيات المقربين : ج٤	١		١٠٩	تفسير آيات المناسبات	1	
	السلسلة الثانية : الفقـــــه: ٩			٢	زاد الحاج والمعتمر	٣	
٥	مائدة المسلم بين الدين و العلم	٢		٥٢	كيف تكون داعياً على بصيرة	١	
٥٤	مختصر زاد الحاج والمعتمر	٢		٧١	الصيام شريعة وحقيقة	١	
٧٢	إكرام الله للأموات	١		٩٥	صيام الأتقياء	١	
١٠٠	دلائل الفرح بالرحمة المهداة	١		١٠٤	سنن الهدى	١	
	السلسلة الثالثة : الحقيقة المحمدية: ١١			٧	حديث الحقائق عن قدر سيد الخلائق	٤	
١٣	إشراقات الإسراء ج	٢		٢٢	الكمالات المحمدية	٢	
٢٣	الرحمة المهداة	٢		٣٣	واجب المسلمين المعاصرين نحوه ﷺ	٢	
٣٥	إشراقات الإسراء ج٢	١		٦١	السراج المنير	١	
٧٠	ثانى اثنين	١		٨٥	الجمال المحمدى ظاهره وباطنه	١	
٨٧	تجليات المعراج	١		٩٠	شرف شهر شعبان	١	
	السلسلة ٤ : من أعلام الصوفية: ٧			١	الإمام أبو العزائم المجدد الصوفى	٢	
٣	الشيخ محمد على سلامه سيرة	١		٤١	المربى الربانى السيد أحمد البدوى	١	
٤٥	شيخ الإسلام إبراهيم الدسوقى	٢		٥٩	الشيخ الكامل السيد أبو الحسن الشاذلى	١	
٩٧	الإمام أبو العزائم، سيرة حياة	١		١٠٧	الشيخ عبد الرحيم القنائى ومدرسته	١	
	السلسلة الخامسة : الدين والحياة: ٧			٢٦	إصلاح الأفراد والمجتمعات فى الإسلام	٢	
٣٤	كيف يحبُّك الله	٤		٣٩	كونوا قرآنا يمشى بين الناس	٢	
٥٠	قضايا الشباب المعاصر	١		٦٧	بنو إسرائيل ووعد الآخرة	١	
٧٥	أمراض الأمة وبصيرة النبوة	١		٩٢	فقه الجواب (الإجابة على أسئلة الموقع)	١	
	السلسلة٦: الخطب الإلهامية للمناسبات : ٧			١٦	خطب المولد النبوى	١	
١٧	خطب شهر رجب والإسراء والمعراج	١		١٨	خطب شهر شعبان و ليلة الغفران	١	
١٩	خطب شهر رمضان و عيد الفطر	١		٢٠	الحج و عيد الأضحى	١	
٢١	خطب الهجرة ويوم عاشوراء	١		٥٥	الخطب الإلهامية: مجلد مناسبات دينية:	٢	

السلسلة السابعة: الخطب الإلهامية العصرية:١			٧٨	الأشفية النبوية للعصر	١

السلسلة الثامنة: المرأة المسلمة:		٥	٩	تربية القرآن لجيل الإيمان	١
43	المؤمنات القانتات	٢	٤٤	فتاوى جامعة للنساء	٢
74	الحب والجنس فى الإسلام.	١	١٠٦	المرأة المسلمة بين الإباحة والنهى	١

السلسلة التاسعة : الطريق إلى الله: ١٢			٦	طريق الصديقين إلى رضوان رب العالمين	٢
٢٥	طريق المحبوبين وأذواقهم	١	٢٨	المجاهدة للصفاء و المشاهدة	٢
٣٠	علامات التوفيق لأهل التحقيق	١	٣١	رسالة الصالحين	١
٣٢	مراقى الصالحين	٢	٥٧	تحفة المحبين في عاشوراء للقاوقجى (تحقيق)	١
٦٠	نوافل المقربين	١	٦٤	أحسن القول	١
٧٩	دعوة الشباب العصرية للإسلام	١	٨٨	مجالس تزكية النفوس ج١	١
٨٩	مجالس تزكية النفوس ٢	١			

السلسة العاشرة: الأذكار والأوراد: ٧			٨	مفاتح الفرج	٦
١٥	أذكار الأبرار	١	٣٧	مختصر مفاتح الفرج	٥
٣٨	أذكار الأبرار صغير	٣	٤٠	أوراد الأخيار تخريج وشرح	٢
٥٦	نيل التهانى بالورد القرآنى	١	٧٣	جامع الأذكار والأوراد	٢

السلسلة ١١: دراسات صوفية معاصرة: ١٦			١٠	الصوفية و الحياة المعاصرة	١
١١	الصفاء والأصفياء	١	١٢	أبواب القرب ومنازل التقريب	١
٢٩	الصوفية فى القرآن والسنة	٣	٣٦	المنهج الصوفى والحياة العصرية	١
٤٢	الولاية والأولياء	١	٤٩	موازين الصادقين	١
٥١	الفتح العرفانى	١	٥٣	النفس وصفها وتزكيتها	١
٥٨	سياحة العارفين	١	٦٣	منهاج الواصلين	١
٦٥	نسمات القرب	١	٦٨	العطايا الصمدانية للأصفياء	١
٧٧	شراب أهل الوصل	١	٨٣	مقامات المقربين	١
٩٨	آداب المحبين لله	١			

السلسلة الثانية عشر : الفتاوى: ٦			٢٤	فتاوى جامعة للشباب	١
٧٦	فتاوى فورية ج١	١	٨٠	فتاوى فورية ج٢	١
٨٤	فتاوى فورية ج٣	١	٨٦	فتاوى فورية ج٤	١
١٠١	يسألونك	١			

السلسة الثالثة عشر: أسئلة صوفية: ٣		
٦٩	الأجوبة الربانية للأسئلة الصوفية	١
٢٧	نور الجواب على أسئلة الشباب	٢
٩٩	إشارات العارفين	١

السلسلة الرابعة عشر: حوارات مع الآخر: ٣		
٨٢	حوارات الإنسان المعاصر	١
٨١	سؤالات غير المسلمين	١
٩٤	أسئلة حرة عن الإسلام والمسلمين	١

السلسلة الخامسة عشر: شفاء الصدور: ٤		
٤٧	بشائر المؤمن عند الموت	٣
٦٦	بشائر الفضل الإلهي	١
٤٦	علاج الرزاق لعلل الأرزاق	٢
٦٢	بشريات المؤمن في الآخرة	١

أين تجد المؤلفات

لفضيلة الشيخ فوزى محمد أبوزيد

إسم المكتبه	رقم الهاتف	القاهـــرة
مكتبه المجلد العربي	٢٥٩١٢٥٢٤	١١٦ شارع جوهر القائد الازهر
مكتبه الجندي	٢٥٩٠١٥١٨	سوق ام الغلام ميدان الحسين
دار المقطم	٢٧٩٥٨٢١٥	٥٢ شارع الشيخ ريحان،عابدين
مكتبه جوامع الكلم	٢٥٨٩٨٠٢٩	١٧ الشيخ صالح الجعفرى الدراسه
مكتبه التوفيقيه	٢٥٩٠٤١٧٥	١ عمارة الاوقاف بالحسين
بازار انوار الحسين	٠١٢٢٧٤٧٥٩٣١	٢ زقاق السويلم خلف مسجد الحسين
مكتبه العزيزيه	٢٥٩١٥٢٢٤	١١ ميدان حسن العدوى بالحسين
الفنون الجميله	٢٥٩٠٠٧٨٦	١٣٠ شارع جوهر القائد بالدراسه
مكتبه الحسينيه	٢٥٩٠٢٥٤١	٢٢ شارع المشهد الحسينى بالحسين
مكتبه القلعه	٢٥١٠٨١٠٩	١ شارع محمد عبه خلف الأزهر
مكتبه نفيسه العلم	٢٥١٠٤٤٤١	٩ ميدان السيدة نفيسه .
المكتب المصري الحديث	٢٣٩٣٤١٢٧	عمارة اللواء ٢ شارع شريف
الاديب كامل كيلانى	٢٣٩٦١٤٥٩	٢٨ شارع البستان بباب اللوق
مكتبه دار الإنسان	٣٣٣٥٠٠٣٣	١٠٩ شارع التحرير، ميدان الدقي
مكتبه مدبولى	٢٥٧٥٦٤٢١	٦ ميدان طلعت حرب
مدبولى مدينه نصر	٢٤٠١٥٦٠٢	طيبه ٢٠٠٠، شارع النصر مدينه نصر
النهضه المصريه	٢٣٩١٠٩٩٤	٩ شارع عدلى جوار السنترال
هلا للنشر والتوزيع	٣٣٤٤٩١٣٩	٦ ش د. حجازي، خلف نادي الترسانه
المكتبه الازهريه للتراث	٠١٠٠٥٠٤٢٧٩٧	درب الاتراك، خلف الجامع الأزهر
مكتبة أم القرى	٢٥٨٩٨٢٥٣	١٢٨ شارع جوهر القائد الأزهر
المكتبة الأدبية الحديثة	٢٥٩٣٤٨٨٢	٩ شارع الصنادقية بالأزهر
مكتبة الروضة الشريفة	٢٦٤٤٤٦٩٩	٢١شارع د.أحمد أمين، مصر الجديدة

		الإســـكندريه
كشك سونا	٠١٢٢٤٦٠٩٠٨٢	محطه الرمل، امام مطعم جاد
الكتاب الإسلامى الثقافى	٠١٠٠١٢٣٢٦٩٨	محطه الرمل، صفيه زغلول
كشك محمد سعيد	٠١١١٤١١٤٣٠٠	٦٦ شارع النبى دانيال، محطـه مصر
مكتبة الصياد	٠٣ـ٣٩٢٨٥٤٩	٤ ش النبى دانيال، محطه مصر
مكتبه سيبويه	٠٣ـ٥٤٦٢٥٣٩	٢٣ المشيراحمد إسماعيل، سيدى جابر
الكشك الابيض	٠١٢٨٨٣٤٣٥٥٥	محطه الرمل- ا/ احمد الابيض
		الاقـــــاليم
كشك عبد الحافظ	محمد -------	الزقازيق- بجوار مدرسة عبد العزيز على
مكتبة عبادة	٠٥٥ـ٢٣٢٦٠٢٠	الزقازيق – شارع نور الدين
مكتبة تاج	٠٤٠ـ٣٣٣٤٦٥١	طنطا- أمام مسجد السيد البدوى
مكتبة قربة	٠٤٠ـ٣٣٢٣٤٩٥	طنطا- ٩ش سعيد والمعتصم أمام كلية التجارة
كشك التحرير	٠١٠٠٨٩٣٥١٨٢	كفر الشيخ - شارع السودان أمام السنترال، أ/سامى أحمد عبد السلام
مكتبة صحافة الجامعة	٠١٠٠٢٢٨٥٢٥٣	المنصورة - شارع جيهان بجوار مستشفى الطوارىء أ/عماد سليمان
مكتبة الرحمة المهداة	٠١٠٠١٤٢١٤٦٩	المنصورة، عزبة عقل، ش الهادى، أ/عاطف وفدى
مكتبة صحافة الثانوية	٠١٠٠٥٧٣١٥٥٠	المنصورة- شارع الثانوية بجوار مدرسة ابن لقمان، الحاج كمال الدين أحمد
صحافة أخبار اليوم الحاج محمد الأتربى	٠١٢٢٤٩١٧٧٤٤	طلخا – المنصورة- بجوار مدرسة صلاح سالم التجارية، أمام كوبرى طلخا
مكتبه الإيمان	٠١٢٢٦٤٦٨٠٩٠	فايد- ا حماده غزالى بربرى
كشك الصحافه	٠١٢٢٧٩٦٠٤٠٩	السويس،ش الشهداء، ح حسن محمد خيرى
اولاد عبدالفتاح السمان	٠٩٣ـ٢٣٢٧٥٩٩	سوهاج- شارع احمد عرابي امام التكوين المهنى
كشك ابو الحسن	٠١٠٦٩٥١٨٦١٦	قنا- امام مسجد سيدي عبد الرحيم القناوى
كشك القرايا- إسنا	٠١٠٠٨٦٩٨٦٦٤	القرايا- إسنا - ش السيدة زينب- الحاج محمد الريس والأستاذ محمد رمضان محمد النوبى
كشك حسنى بإسنا	٠١١١١٤٩١٨٢٣	كشك حسني محمد عبد العاطى الميسى أمام مستشفى الرمد بإسنا - الأقصر

أيضاً بدور الأهرام والجمهورية والأخبار والمكتبات الكبرى بجميع أنحاء الجمهورية،

ويمكن أيضاً قراءة الكتب وتنزيل النسخ المطبوعة مجانا من موقع الشيخ www.fawzyabuzeid.com،

أوعلى موقع www.askzad.com **موقع الكتاب العربى.**

أو الناشر: دار الإيمان والحياة، ١١٤ ش١٠٥ حدائق المعادي بالقاهرة،

الفهرست

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

تحت الطبع

****

الدعاء المستجاب

خصائص النبى ﷺ

إعادة طبع

****

المربى الربانى السيد أحمد البدوى

الشيخ الكامل السيد أبو الحسن الشاذلى

شيخ الإسلام السيد إبراهيم الدسوقى